محمد بن ناصر العبودي

في

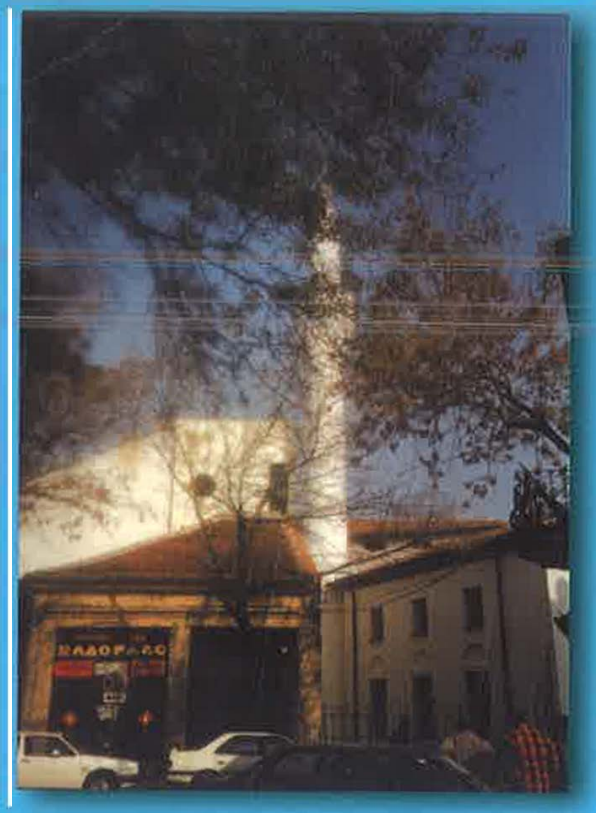

بلغاريا ومقدونيا

الطبعة الأولى
١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م

رحلات في بلاد البلقان

بلغاريا ومقدونيا

جولة وحديث في شؤون المسلمين

بقلم

محمد بن ناصر العبودي

المستودع الدعوي الرقمي
Osoul Center For Studies

https://dawa.center

ح محمد ناصر العبودي ، ١٤٢٢هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

العبودي ، محمد ناصر

بلغاريا ومقدونيا - الرياض.

٢٣٠ ص ، ١٧×٢٤ سم

ردمك : ١-١٢٢-٣٩-٩٩٦٠

١ - المسلمون في بلغاريا ٢ - المسلمون في مقدونيا أ - العنوان

ديوي ٢١٠.٩١٤٩٧٧ ٢٢/٠٨٨٥

رقم الايداع : ٢٢/٠٨٨٥

ردمك : ١-١٢٢-٣٩-٩٩٦٠

مطابع العلا تلفون : ٤١٩٤٦٩١ - ٤٨٣٤١٧١

Ola P. Press Tel.: 4194691 - 4834171

بسم الله الرحمن الرحيم

كتب مطبوعة في الرحلات للمؤلف

(١) في إفريقية الخضراء: مشاهدات وانطباعات وأحاديث عن الإسلام والمسلمين - بيروت دار الثقافة ١٣٨٨هـ/١٩٦٨م.

(٢) رحلة إلى جزر مالديف إحدى عجائب الدنيا -الرياض دار العلوم ١٤٠١هـ/١٩٨١م.

(٣) مدغشقر بلاد المسلمين الضائعين - الرياض النادي الأدبي١٤٠١هـ/ ١٩٨١م.

(٤) جولة في جزائر البحر الزنجي أو حديث عن الإسلام والمسلمين في جزر المحيط الهندي - الرياض - المطابع الأهلية للأوفست ١٤٠٢هـ ١٩٨٢م.

(٥) رحلة إلى سيلان - الرياض - جمعية الثقافة والفنون ١٤٠٣هـ/١٩٨٢م

(٦) صلة الحديث عن إفريقية مشاهدات وانطباعات وأحاديث عن الإسلام والمسلمين - نشرته دار العلوم في الرياض ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م.

(٧) مشاهدات في بلاد العنصريين، رحلة إلى جنوب إفريقية وحديث في شؤون المسلمين - نشره نادي القصيم الأدبي في بريدة ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م.

(٨) إطلالة على نهاية العالم الجنوبي - مكة المكرمة - نادي مكة الثقافي ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م.

(٩) زيارة لسلطنة بروناي الإسلامية - طبع بمطابع الرياض الأهلية للأوفست عام١٤٠٥هـ/١٩٨٤م.

(١٠) شهر في غرب إفريقية مشاهدات وأحاديث عن المسلمين - الرياض - المطابع الأهلية ١٤٠٥هـ/١٩٨٤م.

(١١) في نيبال بلاد الجبال، رحلة وحديث في شؤون المسلمين - الرياض - مطابع الفرزدق ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م.

(١٢) رحلات في أمريكا الوسطى - المطابع الأهلية للأوفست في الرياض ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م.

(١٣) إلى أقصى الجنوب الأمريكي رحلة في الأرجنتين وتشيلي - الرياض ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م.

(١٤) على ضفاف الأمازون، رحلة في المنطقة الاستوائية من البرازيل - نشره النادي الأدبي في أبها ١٤١٠هـ/١٩٩٠م.

(١٥) على قمم جبال الأنديز - الرياض مطابع الفرزدق التجارية ١٤١٠هـ/١٩٩٠م.

(١٦) في غرب البرازيل - الرياض - مطابع الفرزدق التجارية ١٤١٢هـ/١٩٩١م.

(١٧) في بلاد المسلمين المنسيين: بخارى وما وراء النهر - طبع في مطابع الفرزدق التجارية عام ١٤١٢هـ/١٩٩١م.

(١٨) بقية الحديث عن إفريقية - مطابع الفرزدق التجارية في الرياض عام ١٤١٢هـ.

(١٩) جولة في جزائر البحر الكاريبي - مطابع الرياض الأهلية للأوفست عام ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م.

(٢٠) جولة في جزائر جنوب المحيط الهادئ - مطابع الفرزدق في الرياض عام ١٤١٠هـ/١٩٩٠م.

(٢١) داخل أسوار الصين (مجلدان) - مطابع الفرزدق التجارية - الرياض عام ١٤١٣هـ/١٩٩٢م.

(٢٢) بلاد الداغستان - طبع مطابع الفرزدق التجارية بالرياض عام ١٤١٣هـ.

(٢٣) الرحلة الروسية - مطابع الفرزدق عام ١٤١٤هـ.

(٢٤) مع المسلمين البولنديين - مطابع الفرزدق في الرياض عام ١٤١٣هـ.

(٢٥) جمهورية أذربيجان - طبع مطابع الفرزدق التجارية في الرياض عام ١٤١٣هـ/١٩٩٢م.

(٢٦) في أعماق الصين الشعبية - نشرته مجلة المنهل.

(٢٧) بين الأرغواي والبارغواي - مطابع الفرزدق التجارية في الرياض عام ١٤١٣هـ/١٩٩٢م.

(٢٨) بورما الخبر والعيان - طبع بيروت عام ١٤١٢هـ.

(٢٩) مقال عن بلاد البنغال - طبع بالرياض عام ١٤١٤هـ/١٩٩٣م.

(٣٠) ذكريات من يوغسلافيا - مطابع الفرزدق التجارية في الرياض عام ١٤١٤هـ/١٩٩٣م.

(٣١) كنت في بلغاريا - مطابع الفرزدق عام ١٤١٤هـ/١٩٩٣م.

(٣٢) في جنوب الصين - طبعته رابطة العالم الإسلامي بمطبعتها في مكة المكرمة عام ١٤١٤هـ.

(٣٣) كنت في ألبانيا - مطابع الفرزدق التجارية بالرياض عام ١٤١٤هـ.

(٣٤) ذكرياتي في إفريقية - محاضرة طبعتها رابطة العالم الإسلامي في مكة المكرمة.

(٣٥) أيام في النيجر - طبع بيروت عام ١٤١٤هـ.

(٣٦) على أرض القهوة البرازيلية - مطابع الفرزدق التجارية في الرياض عام ١٤١٥هـ.

(٣٧) نظرة في شرق أوربا وحالة المسلمين بعد الشيوعية - طبع بيروت عام ١٤١٤هـ.

(٣٨) بين غينيا بيساو وغينيا كوناكرى - مطابع الفرزدق التجارية عام ١٤١٤هـ.

(٣٩) من أنقولا إلى الرأس الأخضر - مطابع الفرزدق بالرياض عام ١٤١٤هـ.

(٤٠) سياحة في كشمير - مطابع الفرزدق عام ١٤١٢هـ/١٩٩٢م.

(٤١) يوميات آسيا الوسطى - مطابع الفرزدق التجارية عام ١٤١٤هـ.

(٤٢) نظرة في وسط إفريقية - مطابع الفرزدق عام ١٤١١هـ/١٩٩١م.

(٤٣) بلاد القرم - نشرته دار القبلة في جدة.

(٤٤) قصة سفر في نيجيريا (مجلدان) - مطابع الفرزدق التجارية في الرياض.

(٤٥) حديث قازاقستان - نشرته دار القبلة في جدة (تحت الطبع).

(٤٦) المسلمون في لاوس وكمبوديا: رحلة ومشاهدات ميدانية - نشرته رابطة العالم الإسلامي في سلسلة دعوة الحق، وطبعته في مطبعتها عام ١٤١٦هـ.

(٤٧) في جنوب الهند من سلسلة الرحلات الهندية - طبع في مطابع الفرزدق التجارية في الرياض عام ١٤١٧هـ.

(٤٨) رحلات في أمريكا الجنوبية: غيانا وسورينام، مطابع التقنية في الرياض عام ١٤١٩هـ.

(٤٩) إطلالة على أستراليا - طبع في مطابع التقنية للأوفست - الرياض عام ١٤١٧هـ.

(٥٠) أيام في فيتنام - نشرته دار خضر للطباعة والنشر في بيروت عام ١٤١٧هـ.

(٥١) في غرب الهند - من سلسلة الرحلات الهندية - نشرته رابطة العالم الإسلامي عام ١٤١٧هـ.

(٥٢) إطلالة على موريتانيا - نشرته دار خضر للطباعة والنشر في بيروت عام ١٤١٧هـ.

(٥٣) حديث قيرغيزستان، دراسة في ماضيها ومشاهدات ميدانية - نشرته دار خضر للطباعة والنشر في بيروت عام ١٤١٨هـ/ ١٩٩٧م.

(٥٤) زيارة رسمية لتايوان، نشر دار خضر للطباعة والنشر في بيروت عام ١٤١٨هـ/ ١٩٩٧م.

(٥٥) سطور من المنظور والمأثور عن بلاد التكرور - مطابع النرجس التجارية بالرياض عام ١٤٢٠هـ-٢٠٠٠م.

(٥٦) راجستان: بلاد الملوك من سلسلة الرحلات الهندية - مطابع الفرزدق التجارية بالرياض عام ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م.

(٥٧) في شرق الهند، من سلسلة الرحلات الهندية - طبع في مطابع التقنية للأوفست في الرياض عام ١٤١٩هـ.

(٥٨) العودة إلى الصين، من سلسلة الرحلات الصينية - طبع في مطابع النرجس في الرياض عام ١٤٢٠هـ.

(٥٩) في شرق البرازيل، من سلسة الرحلات البرازيلية - طبع في مطابع التقنية في الرياض، عام ١٤١٩هـ.

(٦٠) هندوراس ونيكاراقوا وكوستاريكا (من سلسلة الرحلات في جمهوريات الموز)، مطابع التقنية في الرياض، عام ١٤١٩هـ.

(٦١) من بلاد القرتشاي إلى بلاد القبرداي، من سلسلة الرحلات القوقازية - طبع في مطابع التقنية للأوفست في الرياض، عام ١٤٢٠هـ.

(٦٢) بلاد التتار والبلغار، من سلسلة رحلات الشمال - نشرته رابطة العالم الإسلامي، وطبعته بمطبعتها في مكة المكرمة عام ١٤٢٠هـ-١٩٩٩م.

(٦٣) بلاد الشركس: الإديغي - طبع مطابع التقنية في الرياض عام ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م.

(٦٤) مواطن إسلامية ضائعة - مطابع التقنية في الرياض عام ١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩م.

(٦٥) تائه في تاهيتي - طبعته مطابع التقنية بالرياض عام ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م.

(٦٦) نظرة إلى الفلبين بين زيارتين: رسمية وخاصة. مطابع النرجس في الرياض عام ١٤٢٠هـ.

(٦٧) ذكريات من الاتحاد السوفييتي. مطابع النرجس بالرياض عام ١٤٢٠هـ

(٦٨) نظرة إلى الوجه الآخر من الأرض أو رحلة إلى أبعد مكان: جولات في أقصى جزر المحيط الهادئ الجنوبي. طبع في مطابع التقنية في الرياض عام ١٤٢٠هـ- ١٩٩٩م.

(٦٩) في إندونيسيا أكبر بلاد المسلمين. طبع في مطبعة النرجس في الرياض عام ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م.

(٧٠) قرينادا وسانتالوسيا ودومنيكا، من سلسلة الرحلات الكاريبية.

(٧١) مشاهدات في تايلند .

(٧٢) مع العمل الإسلامي في القارة الأسترالية، جولة وحديث في شؤون الإسلام.

(٧٣) فطاني أو جنوب تايلند، مطابع المسموعة في الرياض ١٤٢١هـ ٢٠٠٠م.

(٧٤) المستفاد من السفر إلى شاد، مطابع التقنية في الرياض ١٤٢١هـ ٢٠٠٠م.

(٧٥) في جنوب البرازيل، من سلسلة الرحلات البرازيلية، مطابع التقنية في الرياض عام ١٤٢١هـ ٢٠٠٠م.

(٧٦) شمال شرق الهند، رحلة في ولايتي بيهار وإترابراديش وحديث عن المسلمين.

(٧٧) بلغاريا ومقدونيا، من سلسلة رحلات في بلاد البلقان، وهو هذا الكتاب.

(٧٨) بلاد البلطيق، طبع في مطابع الجاسر في الرياض، عام ١٤٢١هـ - ٢٠٠١م.

(٧٩) « العودة إلى ما وراء النهر » جولة في آسيا الوسطى، وحديث عن شؤون المسلمين، طبع في وكالة ياقوت للطباعة، الرياض، ١٤٢١هـ- ٢٠٠١م..

مؤلفاته المطبوعة في غير فن الرحلات

(٨٠) معجم بلاد القصيم (في ستة مجلدات) - نشرته دار اليمامة بالمطابع الأهلية للأوفست بالرياض عام ١٣٩٩هـ، ثم طبع مرة أخرى في عام ١٤١٠هـ.

(٨١) أخبار أبي العيناء اليمامي - طبع في الرياض وبيروت عام ١٣٩٨هـ.

(٨٢) الأمثال العامية في نجد (خمسة مجلدات) ساعدت دارة الملك عبد العزيز في الرياض على طبعه، ونشرته دار اليمامة للطبع والنشر عام ١٣٩٨هـ.

(٨٣) كتاب الثقلاء - نشرته الجمعية العربية السعودية للثقافة والفنون في سلسلة الكتاب السعودي.

(٨٤) نفحات من السكينة القرآنية - طبع أكثر من مرة آخرها طبعة لوزارة المعارف لتوزيعها على مكتبات المدارس - نشرته دار العلوم في الرياض عام ١٤٠٣هـ.

(٨٥) مأثورات شعبية - نشرته الجمعية العربية السعودية للثقافة والفنون في سلسلة الكتاب السعودي.

(٨٦) سوانح أدبية - طبع مطابع الفرزدق التجارية بالرياض عام ١٤٠٥هـ.

(٨٧) صور ثقيلة - مطابع الفرزدق التجارية بالرياض عام ١٤٠٥هـ.

(٨٨) العالم الإسلامي والرابطة - نشرته رابطة العالم الإسلامي، وطبع في مطبعتها عام ١٤١٤هـ.

(٨٩) نظرة إلى العلاقات العربية مع أهالي جنوب الصحراء - مطابع التقنية في بالرياض عام ١٤١٨هـ/ ١٩٩٧م.

(٩٠) المقامات الصحراوية - مطابع التقنية في الرياض عام ١٤١٨هـ/ ١٩٩٧م.

(٩١) مساعدات المملكة العربية السعودية للمسلمين، وبخاصة الأقليات المسلمة - بمناسبة مرور مائة عام على تأسيس المملكة العربية السعودية - نشرته لجنة الاحتفال بمرور مائة عام على التأسيس، وطبعته في مطابع الناشر العربي في الرياض ١٤١٩هـ.

(٩٢) كلمات عربية لم تسجلها المعاجم، أحد بحوث المؤتمر الثاني للأدباء السعوديين، ونشرته جامعة أم القرى في مكة المكرمة عام ١٤٢٠هـ.

(٩٣) المملكة العربية السعودية بين الماضي والحاضر (لمناسبة مرور مائة عام على تأسيس المملكة) - ونشرته رابطة العالم الإسلامي، وطبعته في مطابعها في مكة المكرمة.

(٩٤) مدلولات كلمات قضى عليها حكم الملك عبد العزيز، نشرته الجمعية العربية السعودية للثقافة والفنون (لمناسبة مرور مائة عام على تأسيس المملكة العربية السعودية).

(٩٥) رابطة العالم الإسلامي إحدى القنوات السعودية لمساعدة المسلمين - نشرته رابطة العالم الإسلامي، وطبعته في مطبعتها بمكة المكرمة عام ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م.

(٩٦) الدعاة إلى الله: شرف مهمتهم، وطرق دعمهم. نشرته رابطة العالم الإسلامي، وطبعته في مطبعتها في مكة المكرمة عام ١٤٢٠هـ.

(٩٧) واجب المسلمين في بلاد الأقليات. نشرته رابطة العالم الإسلامي عام ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م.

(٩٨) " العالم الإسلامي: واقع وتوقعات " نشرته مجلة (العربية) التي

تصدر في الرياض مصاحباً لعدد ذي الحجة ١٤٢٠هـ منها

(٩٩) الدعوة الإسلامية وإعداد الدعاة، طبعته وكالة ياقوت للطباعة، الرياض، ١٤٢١هـ- ٢٠٠١م.

(١٠٠) « حِكَمُ العوام »، طبعت في مطابع الجاسر، الرياض، ١٤٢١هـ- ٢٠٠١م.

(١٠١) في لغتنا الدارجة: كلمات قضت، (كتاب لغوي) طبعته بنفقتها ونشرته ضمن منشوراتها دارة الملك عبد العزيز في الرياض (تحت الطبع) في أربعة أجزاء.

(١٠٢) حكايات تحكى (قصص)، نشره نادي القصيم الأدبي في بريدة، عام ١٤٢١هـ.

الحمد لله الذي لا نحصي ثناء عليه تبارك ربنا وتعالى، والصلاة والسلام على أفضل رسله وخاتمهم نبيه المصطفى ورسوله المجتبى محمد ابن عبد الله، وعلى آله وأصحابه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد، فإن هذا الكتاب هو الثاني والعشرون بعد المائة من كتب الرحلات التي كتبتها متعلقة ببيان أحوال المسلمين الحاضرة، وتسجيل المعلومات الميدانية عنهم، إلى جانب ما يهتم به الرحالة الكاتب في العادة.

وذلك جعلني أعتقد أنني أكثر من كتب بالعربية في هذا الفن منذ أن عُرِفَت العربية ووجد من يكتب بها، فلا أعرف من كتب بالعربية مائة وواحداً وعشرين كتاباً في أدب الرحلات قبلي، ولا أعرف اللغات الأخرى، وإلاّ لكنت رأيت رأياً فيمن كتبوا فيها كتباً في هذا الموضوع، وإن كنت أستبعد أن يكون أحد كتب بمفرده ومن دون أن تكون جهة من الجهات القادرة، أو جمعية من الجمعيات العلمية الحكومية أو غير الحكومية ذات النفوذ قد أرسلته وفرغته لهذا الغرض.

وقد طبعت منها حتى كتابة هذه السطور تسعة وسبعين كتاباً، وتعاقدت مع المطابع على عدد من الكتب لطباعتها.

ولا شك في أنه لولا التشجيع الذي لقيته من الإخوة القراء، المتمثل في قراءاتهم الكتب التي ألفتها ابتداء من أول كتاب صدر لي من هذا النوع وهو (**في إفريقية الخضراء**)، وما أسمعوني من الثناء عليها، وما كتبه الكاتبون من الأدباء والصحفيين عنها في الصحف والمجلات لما سرت في تأليفها إلى هذا المدى الذي بلغته.

والمثل الأول الذي أضربه لتشجيع القراء لكتبي جاءني من رأس

الدولة وأكبر شخص فيها ، وهو قائدها وملكها خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبد العزيز آل سعود حفظه الله الذي أفضل وقرأ كتابي الأول في الرحلات وهو (**في إفريقية الخضراء**)، وزاد على ذلك بأن نوه بالكتاب في إحدى جلسات مجلس الوزراء، كما أخبرني بذلك أحد أصدقائي من الوزراء، كما كرم أيضاً - جزاه الله خيراً - فنوه بكتابي هذا وأثنى عليه في مجلس العلماء الذين كان يجتمع بهم كل أسبوع.

ثم زاد على ذلك بأن أرسل إليَّ برسالة ملكية شفهية حملها إليَّ صديقي الأستاذ عبد العزيز المسند يأمر فيها بأن ألقاه في مكتبه في رئاسة مجلس الوزراء في الرياض، وخصص من وقته الثمين جزءاً ممتداً ذكر لي فيه أنه قرأ كتابي، وأنه أحاط بما ذكرته من أمور كثيرة فيه، ومنها على سبيل المثال التحليل الذي ذكرته لسبب نكبة العرب في زنجبار. ثم ذكر أنه قرأ مقترحاتي حول دعم الدعوة الإسلامية ودفعها إلى الأمام التي ذكرتها في نهاية الكتاب، وقال: ستقوم المملكة العربية السعودية إن شاء الله بكل ما يتطلبه العمل الإسلامي المخلص مما ذكرته وغيره بإذن الله.

ثم قال لي بعد ذلك بثلاث سنين عندما قابلته في جدة: ألم تكتب كتباً أخرى مثل كتابك الأول ؟ والتفت إلى صاحب السمو الملكي ولي العهد أخيه الأمير عبد الله بن عبد العزيز قائلاً: يا أخ عبد الله أنا إذا قرأت كتب فلان أحسست كأنني أسير معه على قدمي في إفريقية.

قال ذلك جزاه الله خيراً أمام جماعة من الناس كانوا حاضرين.

فكان ذلك حافزا لي على الاستمرار في كتابة هذه الكتب؛ وبخاصة عندما قبل الملك فهد بن عبد العزيز حفظه الله إهداء كتابين من

كتبي المخطوطة إليه وهما: (**شهر في غرب إفريقية**) و(**رحلات في أمريكا الوسطى**)، وقد تم طبعهما وعليهما الإهداء.

ثم لا أنسى أن أذكر فضل وزارة الإعلام في المملكة العربية السعودية وبعض الإدارات الحكومية التي كانت تشجعني على مواصلة التأليف بشراء نسخ من كتبي المطبوعة وتوزيعها على مكاتبها، أو مبادلتها بالمؤلفات الأجنبية، وبعثها إلى الملحقين الثقافيين السعوديين في الخارج.

وهذا الكتاب؟.

وهذا الكتاب يتحدث عن قطرين من أقطار البلقان هما (بلغاريا) و(مقدونيا)، أما بلغاريا فقد زرتها في عام ١٤١٢هـ- ١٩٩٣م، وكتبت عن ذلك كتاباً عنوانه: (**كنت في بلغاريا**) طبع ونفدت نسخه منذ فترة.

وأما (مقدونيا) فإنني لم أزرها من قبل، ولذلك كتبت عنها بشيء من التوسع بخلاف بلغاريا التي تحدثت هنا عن أماكن فيها لم أزرها من قبل واقتصرت على ذلك. وكذلك كنت كتبت دراسة مختصرة مجملة عن ماضي المسلمين فيها وعلاقاتهم بحكامها، لم أرَ داعياً لإعادة ذكرها هنا. وإنما شرعت بكتابة اليوميات مع لمحة معتادة عنها معروفة لبعض الناس.

بخلاف مقدونيا التي ذكرت فيها مثل تلك الدراسة المجملة عن تاريخ البلاد، وأحوال المسلمين فيها.

وقد سرت في هذا الكتاب على الطريقة التي سرت عليها في كتبي

المماثلة وهي تسجيل المشاهدات وما يتعلق بها من المسموعات، والعناية بما يتعلق من ذلك بأحوال المسلمين وأخبارهم، إلى جانب ذكر ما يهتم به السائح عادة، وما يقرؤه من يحب الاطلاع على كتب الرحلات.

وكان رفيق الرحلة كلها الأستاذ رحمة الله بن عناية الله مدير إدارة الدراسات والبحوث في رابطة العالم الإسلامي الذي اعتدت على أن أجعله يرافقني في رحلاتي في البلدان الشيوعية السابقة والحالية، كالصين الشيوعية لتخصصه بالمعرفة بأحوالها، وتكلمه بالعديد من لغاتها التي تتصل باللغة التركية القديمة.

كما صحبني في جزء من الرحلة اللواء المتقاعد كمال سراج الدين عضو مجلس الشورى في الوقت الحاضر، وهو من المتعاونين مع رابطة العالم الإسلامي فيما يتعلق بأمور المسلمين في أوروبا الشرقية.

المؤلف

محمد بن ناصر العبودي

الفصل الأول

بلغاريا

البحر
الأسود
فارنا
بورجاس
نوبيوخن
تركيا
روسن
سلفن
بامبون
رومانيا
بلفن
خابروفو
ستارا زاجورا
خاسكوف
فراتسا
بلفدف
سموليان
صوفيا
برنيك
اليونان
صربيا
والجبل
الأسود
مقدونيا

بلغاريا

يوم الإثنين ٢ جمادى الأولى ١٤١٧هـ الموافق ١٤ أكتوبر ١٩٩٦م

من جدة إلى إسطنبول:

غادرنا مطار الملك عبد العزيز الدولي في جدة في الثامنة والدقيقة الخامسة والثلاثين على طائرة للخطوط السعودية من طراز بوينج ٧٤٧ الضخم المسمى في أول ما عرفه الناس منها بالجامبو، ولم تتأخر عن الموعد المحدد لقيامها في الأصل إلا خمس دقائق، وهذا قيام ممتاز لأن تأخر خمس دقائق إلى ربع ساعة لا تعده شركات الطيران تأخراً يقتضي الاعتذار عنه من الركاب.

كان ركوبنا في الدرجة الأولى التي شغلت جميع مقاعدها بالركاب دون وجود كرسي خالٍ، وأقلعت رغم وجود أعداد من مقاعد الدرجة السياحية فيها خالية، وكلهم من السعوديين ما بين رجال مال وأعمال تجارية وغيرهم.

وأعلنوا أن الطائرة ستنزل في مطار المدينة المنورة، وأن الطيران للمدينة سيستغرق أربعين دقيقة.

ذكريات من مطار المدينة المنورة:

ليس في الرحلة إلى المدينة المنورة اليوم ما يستحق الذكر، أو يسترعي الانتباه، إلا أنها بالنسبة لي أثارت ذكريات قديمة عزيزة، ذلك بأنني عملت في المدينة المنورة (١٤ سنة) أميناً عاماً للجامعة الإسلامية فيها، ثم وكيلاً للجامعة، وكنت أقدم بالطائرة كثيراً من جدة إلى

المدينة، ومن القصيم إلى المدينة المنورة عندما كان الطيران بالطائرات المروحية الصغيرة المؤذية، ولكنها كانت مريحة لنا غاية الراحة؛ لأنها تجعلنا نتفادى السفر بالسيارات على طرق طويلة غير مزفتة في ذلك الحين.

ولذلك استعدت ذكريات تلك السنوات الخوالي التي مضى الآن على بدايتها سبع وثلاثون سنة، وكانت أولاها رحلة طريفة في عام (١٣٨٠هـ) إذ أعلن الملك سعود بن عبد العزيز – رحمه الله – عن اعتزامه فتح جامعة إسلامية في المدينة المنورة، وتبرعه بجزء من القصور الملكية هناك لتشغلها الجامعة، وقد أصدر أمره بتعييني مديراً للجامعة، كما أخبرني شيخنا العلامة الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ المفتي الأكبر للمملكة العربية السعودية، وكان أيضاً رئيس الكليات والمعاهد العلمية التي أصبح اسمها الآن جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، وكنت (مدير المعهد العلمي في بريدة) الذي كان ثاني المعاهد العلمية تلك افتتاحاً بعد معهد الرياض العلمي، وكنت مديره الذي افتتحه، فرشحني الشيخ محمد بن إبراهيم -رحمه الله - عند الملك سعود لإدارة الجامعة، فوافق على ذلك وأمر بأن أسافر مع أحد رجاله وهو (سليمان بن حماد الشبيلي) المدير العام للقصور الملكية إلى المدينة المنورة للاطلاع على الأبنية التي تبرع بها للجامعة، ومن أجل أن أخبرهم بما يجب أن يدخل عليها من تعديل أو تحوير حتى تنسجم مع ما تتطلبه الدراسة في الجامعة.

وسافرنا بالفعل أنا وهو على طائرة خاصة مروحية من الرياض إلى المدينة المنورة، ولم تكن الخطوط السعودية قد افتتحت آنذاك خطاً جوياً من الرياض إلى المدينة المنورة، وأبرق الديوان الملكي إلى إمارة المدينة بأن

سليمان الشبيلي سيتوجه إلى المدينة بصحبة الشيخ محمد، فظن المسؤول في إمارة المدينة أن الشيخ محمد المذكور هو سماحة المفتي الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ الذي هو أيضاً رئيس القضاة في المملكة، وليس (محمد العبودي) ذلك النكرة الذي لا يعرفون عنه شيئاً في ذلك الوقت، لأنه وإن كان معروفاً في منطقته، فإنه ليس معروفاً في المناطق الأخرى آنذاك، لأن وسائل الاتصال بين المناطق التي تنقل الأخبار المحلية هي قليلة.

لذا فوجئنا أنا والأخ سليمان الشبيلي عندما وجدنا عند سلم الطائرة في مطار المدينة المشايخ والقضاة في المدينة، وعلى رأسهم الشيخ الجليل عبد العزيز بن صالح رئيس محاكم المدينة والدوائر الشرعية فيها، وبعض رجال الإمارة.

ويا لخيبة أملهم، أو لكثرة عجبهم من أن يجدوا الشيخ محمد هو كاتب هذه السطور بديلاً من رئيس القضاة المفتي الأكبر للمملكة العربية السعودية، ولو كانوا يعلمون ذلك لما خرجوا إلى المطار.

وقد اطلعت على الأبنية المذكورة فوجدتها ثمانية وعشرين دارة (فيلا) فرسمت لهم كل ما تحتاج إليه من تغيير أو تعديل مثل إزالة الحواجز بين بعض الغرف، وإصلاح أماكن أخرى، وحجز أماكن لسكن الطلاب فيها عن أماكن الدراسة ممل جعل المدير العام للقصور الملكية الذي رافقني وهو الشيخ سليمان الشبيلي يستكثر النفقات، ويطلب مني اختصارها، وجعلني أقول له: إن ذلك ضروري للعمل في الجامعة، وإن ذلك أمر مهم لأنها ستكون مزاراً لكل الشخصيات المسلمة التي تزور المدينة المنورة في الحج أو العمرة، وقد أصبحت كذلك بعد ذلك.

كانت هذه الطائرة السعودية الضخمة تهم بالنزول في مطار المدينة المنورة الواسع الساحات، الطويل المدارج، الأنيق المباني، وأنا أركز نظري في شيئين أحدهما قديم وهو الحرة الجديدة التي تركب الحرة الشرقية للمدينة المنورة، وهي الحرة التي لم تخلق حجارتها إلا منذ ٧٦٦ سنة بالضبط لأنها كانت مقذوفات بركانية، خرجت من الأرض على هيئة نار عظيمة سجل المؤرخون حدوثها، بل ذكروا وصفها بالتفصيل في كتبهم في حوادث عام (٦٥٤هـ)، ومنهم العلامة ابن كثير في تاريخه (**البداية والنهاية**)، وقد رأيتها كما كانت واضحة المعالم متميزة عن حجارة الحرة القديمة التي تركبها الحرة الجديدة، وتكون القديمة أسفل منها، والثاني ذلك النمو العظيم بل الهائل للمدينة المنورة؛ إذ وصلت المنازل والشوارع إلى قرب المطار، على حين كان المطار عندما قدمت للمدينة في الرحلة المذكورة عام ١٣٨٠هـ في خلاء خالٍ من كل شيء يدل على الحياة، حتى المزارع والقرى كان خالياً منها.

أعلن مضيف الطائرة أن الطائرة ستبقى في مطار المدينة ساعة واحدة.

وقد استأنفت الطيران إلى إسطنبول بعد أن صعد إليها عدد كبير من الركاب الجدد، في الحادية عشرة إلا عشر دقائق، وأعلنوا أن الطيران إلى إسطنبول سيستغرق ثلاث ساعات. وقدموا وجبة غداء معتادة، من الطريف أو المخجل فيها أنهم لم يعطوا الركاب الفوطة المعتادة التي يضعها الراكب فوق ركبتيه وصدره لتقي جسمه مما قد يقع عليه من طعام عند الأكل والشرب، واعتذروا عندما ذكرت لهم ذلك بأنها لم تكن موجودة في الطائرة.

انقضت الرحلة بسرعة في الحديث مع الركاب في الدرجة الأولى حتى صارت الطائرة تحلق وهي تتدنى فوق إسطنبول ومضيق البوسفور الذي يفصل قارة آسيا عن أوروبا، وأنا أتذكر التاريخ العطر الحافل بالانتصارات الإسلامية الباهرة في هذه المنطقة؛ حيث تمكن السلطان محمد من فتح القسطنطينية التي هي إسطنبول، وسمي بذلك (محمد الفاتح) مكملاً بذلك عملاً قام به قبله بما يزيد على ٧٠٠ عام مسلمة بن عبد الملك بن مروان عندما حاصرها بجيوش المسلمين، وكان فيهم من الصحابة أبو أيوب الأنصاري ﷺ الذي توفي آنذاك ودفن عند أسوارها القديمة حسب بعض الأقوال، وكان فتح إسطنبول على يد السلطان محمد الفاتح عام ١٤٥٣م.

وقد تكلم علماء المسلمين من البلدانيين الذي عنوا بذكر الديار وأحوالها، وعلى رأسهم ياقوت الرومي - رحمه الله - في كتابه (**معجم البلدان**) عن إسطنبول قبل فتحها بقرون وكانوا يسمونها القسطنطينية. فقال: (إسطنبول) - بسكون السين، وضم الباء، وسكون الواو واللام - هو اسم لمدينة القسطنطينية، وهناك يبسط القول فيها إن شاء الله، وقد بسط القول في ذكر القسطنطينية.

في مطار إسطنبول:

حطت الطائرة في المطار بعد ثلاث ساعات إلا خمس دقائق من الطيران، وذلك في الثانية إلا ربعاً ظهراً، ووجدنا في المطار عند مكاتب الجوازات عدداً من المستقبلين الكبار الذين سمح لهم باستقبالنا من داخل منطقة القدوم قبل تسليم الحقائب، وعلى رأسهم الدكتور نديم حافظ

إبراهيم غنجيف رئيس المجلس الإسلامي في بلغاريا ومفتي بلغاريا سابقاً، ويحمل جواز سفر (دبلوماسيا) بلغارياً، ومعه عدد من كبار الإخوة الأتراك منهم الدكتور كمال أرستون، والدكتور مصطفى كهرمان بول مستشار الرئيس سليمان ديمريل رئيس جمهورية تركيا لشؤون البلقان.

العمل يبدأ من المطار:

كان من المقرر أن نذهب من مطار إسطنبول بالسيارات إلى بلغاريا، وقد أحضر الدكتور نديم غنجيف معه سيارتين لهذا الغرض إحداهما سيارة جيب قوية والأخرى صغيرة من دون أن ندخل مدينة إسطنبول؛ لأنه ليس لنا عمل فيها، غير أننا اضطررنا للدخول إليها لبضع دقائق من أجل تسليم معونة مالية كنا في الرابطة قد قررناها للقائمين على مؤتمر يتعلق بتاريخ وثقافة تركستان سوف يعقد في الحادي والعشرين من شهر أكتوبر الحالي في إسطنبول.

فذهبنا إلى مكتب (تركستان الشرقية) في إسطنبول، وهي إقليم يقع الآن في الصين، أو ما يسمى عندهم شنجاك، وتشتهر عالمياً باسم (سنكيانغ)، وقد ألفت عنها كتاباً خاصاً بعد زيارتي لها أثناء زيارة رسمية قمت بها إلى الصين على رأس وفد من رابطة العالم الإسلامي في عام (١٤٠٤هـ -١٩٨٤م) بعنوان ((في مهد الترك)).

وصلنا المكتب بسرعة - رغم كثرة السيارات في شوارع إسطنبول- وكان أحد الاخوة قد هاتفهم بذلك، ولهذا وجدناهم أعدوا الأوراق والأختام لتسلم المبلغ ومعها شاي حار كان له وقع حسن في جو إسطنبول

البارد نسبياً بعد جو مكة المكرمة الشديد الحرارة في هذا الوقت.

وصلينا الظهر والعصر جمعاً لديهم.

من إسطنبول إلى بلغاريا:

غادرنا مكتب تركستان في إسطنبول في الثالثة والنصف من بعد الظهر وسط زحام اشتد من سيارات إسطنبول التي امتلأت بها شوارعها، ولا شك أنها ليست أكثر في العدد من السيارات في شوارع جدة أو الرياض، غير أن شوارعنا ليست بشوارعهم، فهي أرحب رحابة وأكثر استقامة من شوارع إسطنبول، وفيها من الجسور والأنفاق أكثر مما في إسطنبول بكثير رغم كثرة عدد سكان إسطنبول الذي قيل إنهم يبلغون اثني عشر من الملايين.

وأجمل المناظر في إسطنبول منظر مآذن المساجد الرشيقة المتقنة، وقد اختلط قديمها بحديثها، في تماثل عجيب، مبعثه المحافظة على طراز المساجد التركية القديمة.

والأكثر عجباً أنه رغم كثرة المساجد القديمة في إسطنبول، ورغم كون الحكومة التركية علمانية، فإن بناء المساجد الجديدة يسير على قدم وساق، ويقوم على التبرعات الشعبية، وكأنما لسان حال بناة المساجد من الشعب التركي ينشد مع القائل:

نبني كما كانت أوائلنا تبني، ونفعل مثلما فعلوا

ولكن المسؤولين في الحكومة التركية لم يفعلوا - مع الأسف - مثلما فعلت أوائلهم من الجهاد في سبيل الله؛ بل حتى من الانتماء الرسمي

للإسلام من قبل الدولة التركية التي لا ترضى أن يقول أحد عنها إنها إسلامية، وإذا كان القائل لذلك تركياً كان نصيبه العقوبة الصارمة، لأنه معادٍ للعلمانية التي لم تكسب الشعب التركي أي مجد، بل إنها جعلته مجرد تابع من التوابع للأوروبيين والأمريكيين.

غادرنا مدينة إسطنبول بالسيارات متجهين شمالا إلى حدود بلغاريا التي تبعد (٢٢٥) كيلو متراً من إسطنبول على طريق جيد معتنى به من حيث الصيانة، ولا يبعد كثيراً عن بحر مرمرة الذي كان يقع منا إلى اليسار وهي جهة الغرب.

وقفنا في الريف الذي رأينا فيه بيوتاً قليلة لا تختلف عن البيوت الأوروبية في كونها ومعظمها إسمنتية ذات سقوف من الآجر.

كنت أركب بجانب المفتي الدكتور نديم غنجيف على سيارته التي يقودها بنفسه، وخلفنا الأخوان المرافقان: اللواء المتقاعد كمال سراج الدين والأستاذ رحمة الله بن عناية الله، وتتبعنا سيارة الجيب التي يركب فيها المرافقون الآخرون من البلغاريين.

ربيع الخريف:

رأيت الريف التركي أخضر معشباً، وبعض عشبه مزهر، فذكرت ما نقله علماؤنا الأوائل من اللغويين عن العرب من كونهم يسمون الخريف الربيع الأول، وذلك لأن القيظ بحره وسمومه يكون ولى وأدبر، وقد ينزل مطر في آخره فتعشب الأرض منه، وقالوا: ثم يكون بعده الشتوي وهو المطر الذي يصيب الأرض في الشتاء، يأتي بعده الربيع الثاني وهو الصيف

عندهم، وليس الصيف بالذي يسبق الخريف ذلك هو القيظ.

ولم أر في بلادنا النجدية ربيعاً خريفياً إلاَّ في القليل النادر من السنين، ولكني رأيته اليوم في ريف هذه المنطقة الشمالية من تركيا ثم فيما كان عنها شمالاً من بلاد البلقان كما سيأتي.

هذا والطريق كما قلت جيد، والمناظر مونقة، والسيارات غير كثيرة فيه الآن، ثم وصل الطريق المزفت إلى شاطئ بحر مرمرة، فصار يلاصقه مرة أو يكاد، ويبتعد عنه مرات، والشمس مشرقة ذات حرارة محببة وكأنها شمس الشتاء في الرياض.

وقد نسيت أن أذكر لك أن درجة الحرارة في إسطنبول كانت عند وصولنا ١٧ درجة مئوية، ولا شك في أنها الآن قد انخفضت درجتين أو ثلاثاً لاقتراب الوقت من المساء، وبعدنا عن تأثير البحر.

منتجع سليم باشا:

كانت الساعة قد بلغت الرابعة والثلث عندما وقف القوم في محطة لبيع المحروقات بجانبها بقالة كبيرة في منتجع يسمى (سليم باشا) يمتد من شاطئ بحر مرمرة ويدخل قليلاً إلى البر حيث الطريق المزفت الذي نسير عليه والمحطة، وذلك لأخذ وقود قليل للسيارتين ذكروا أن كونه قليلاً من اجل أن أسعار المحروقات في بلغاريا أرخص منها في تركيا، فيتزودون بما يكفي للوصول إلى بلغاريا. ثم استأنفنا السير موغلين في الريف التركي المعشب الذي همد عشبه فهو هامد ﴿ وَتَرَى الأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنزَلْنَا عَلَيْهَاالْمَاء اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ (٥) ﴾ صدق الله العظيم، وذلك لكونه بعد القيظ.

وقد صار الطريق سريعاً وذا اتجاهين منفصلين، وهو جديد لا يزالون يعملون في إصلاحه.

قطعنا ٢١٠ كيلات لم نشعر بمرورها لأن الحديث مع أخينا الدكتور نديم غنجيف شيق في مضمونه الذي يتعلق بأحوال المسلمين في بلغاريا وما طرأ على ذلك من تطورات، وفي شكله الذي كان يدور بالعربية، حتى إذا كان الدكتور وهو يتكلم سها أو شذ فكره بحيث لم يعد يتذكر ما ينبغي أن يقوله بالعربية لجأ إلى التركية، فيترجم ذلك رفيقنا في الرحلة الأستاذ رحمة الله بن عناية الله.

واعترضتنا على الطريق بوابات لجباية رسم، أو لنقل بالعربية الفصحى لجباية مكس من السائقين، لأن المكس في الفصحى هو ما يصح أن يسمى بالجمرك أكثر مما يصح أن يسمى بالرسم، لأن الرسم يكون في بعض الأحيان مقابل خدمة مبذولة ممن يتقاضاه، مثلما تدعي الشركة التي بنت الطريق، وتعهدت للحكومة بالقيام عليه أن ذلك الرسم هو مقابل ما أنفق على بناء الطريق من نفقات، ولكنها تستمر في العادة على تقاضيه حتى بعد أن تستوفي جميع النفقات التي أنفقتها على بنائه وما يكفي لصيانته، فيكون بذلك مكساً تستفيد منه الدولة لميزانيتها العامة.

وقد شوه جمال الريف هذا سحب من دخان ناجم عن إحراق الفلاحين أعشاب القيظ من تنقية الأرض للزراعة الحقلية فيما بعد، ويرون أن رماد الأعشاب المحترقة يخصب الأرض أيضاً.

الحدود بين تركيا وبلغاريا:

وصلنا حدود تركيا مع بلغاريا التي كانت هي حدود العالم الإسلامي من هذه الجهة الغربية من الشمال، وإن لم تكن حدود سكن المسلمين، وكانت في القديم الزاهر في أعماق العالم الإسلامي إذْ وصلت حدوده في وقت من الأوقات أبواب مدينة فيينا عاصمة النمسا متجاوزة بلغاريا هذه إلى رومانيا والمجر ثم أجزاء من الأراضي النمساوية.

ويسمى مكان الحدود من الجانب التركي (كابا كولي)، ومعناه: بوابة كولي بالتركية، وتلك تسمية صادقة إذا نظرنا نظراً مجرداً إلى بوابات الحدود التي يسلكها العابرون، سواء منهم المشاة أو الراكبون. والمهم في الأمر أن بوابة الحدود هذه تزينها منارتان شامختان لجامع ضخم ذي قبة مهيبة ومظهر رائع لم يستكمل بناؤه بعد، ويقع في الأراضي التركية بعد تجاوز البوابة ليكون معلماً للقادمين والمغادرين بأن أرض تركيا هي أرض إسلامية يرتفع فيها مناره ويعلو شعاره.

وهذه طريقة حميدة من إخواننا الأتراك، رأيت مثيلاً لها قبل سنة أو تزيد عندما قدمت إلى تركيا بطريق البر من إقليم (آجاريا) المسلم في جمهورية جورجيا، وهي بلاد الكرج عند أسلافنا العرب داخلاً إلى الحدود التركية الشمالية من منطقة القوقاز، وقاصداً مع أخوين اثنين من المرافقين مدينة طرابزون التركية التي كانت تسمى عند أسلافنا العرب (طرابزنده)، وقد ذكرها بهذا الاسم منهم العلامة العبقري أبو الريحان البيروني قبل ألف سنة أو تزيد.

رأيت أول ما رأيت من أرض تركيا مسجداً شامخ البناء، عالي

الهامة، يتلألأ نوراً في تلك المنطقة المجاورة لمنطقة كان الشيوعيون فيها رفعوا راية الإلحاد ليضعوا بذلك - بزعمهم - من راية الدين ﴿ **والله غالب على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون** ﴾ ، فسقطت الشيوعية وسقط معها أهلها، ولكن بعضهم رفع بدل راية الشيوعية راية دين الأكثرية من أهلها وهو النصرانية؛ غير أن ذلك المسجد الشامخ على الحدود بين جورجيا وتركيا يعلن بذلك أننا دخلنا أرض الإسلام، أرض الأحلام بأن ينصر الله الدين وأهله بعد أن يوفق أهله أو قادة بعض أهله إلى نصرته بالرجوع إليه، والعمل بما أمر به ورسوله، مثلما أن هذا المسجد الجامع على الحدود بين تركيا وبلغاريا يعلن ذلك.

هذا وقد اشترينا فاكهة تركية جيدة قبل الدخول إلى الحدود، ولكنها ليست رخيصة، وإلى ذلك فإن بعضها كالمندرين المعروف عندنا باليوسفي ليس في جودته في بلادنا العربية مثل سورية وفلسطين.

ودخلنا مع بوابة الحدود التركية وهي أشبه بالمظلة المعتادة الممتدة عرضاً، أي من اليمين والشمال بالنسبة إلى الوالج فيها والخارج منها.

فأوقفنا سيارتنا عند مكتب اطلع ضابط فيه على جوازاتنا ثم تركنا نمر بالسيارة حيث وجدنا مكتباً آخر ختم الجوازات، ثم ثالثاً بعده اطلع على أختامها فتركنا سائرين لعدة أمتار، كل ذلك في الأراضي التركية ومن دون أن ننزل من السيارة، وإنما كان مرافقونا يسلمون الجوازات للموظفين ويتسلمونها منهم.

ثم الحدود البلغارية وقد حل الظلام فأوقفنا السيارة ونزلنا منها، وطلبوا منا الحضور لضابط الجوازات. وكان الدكتور نديم غنجيف، وهو

شخص معروف في بلغاريا ويحمل جواز سفر (دبلوماسياً)، قام بما يحتاج إليه الأمر من إجراءات، وترجم ما يحتاج إلى ترجمة.

وقد تفحص الضابط وجه كل واحد منا وقارنه بصورته على الجواز ثم أعطانا سمات الدخول، ولم نكن نحملها من قبل، لأنه لا توجد سفارة أو ممثلية لبلغاريا في بلادنا، ولم ندخل مدينة إسطنبول إلا بضع دقائق، وإلا لكنا حصلنا على السمة من قنصليتها فيها، إضافة إلى أن رفيقنا الدكتور نديم غنجيف واثق من حصولنا على سمة الدخول من الحدود، وقد حصل ذلك بالفعل.

وقد بقينا فترة عند الحدود البلغارية، وهي معتادة لهم، وأقل من المعتادة.

وكان أول ما استرعى انتباهنا في الحدود البلغارية الكتابة بالحروف السلافية التي تسمى الحروف الكيريلية نسبة إلى واضعيها، وهما أخوان يقال لهما (كيريل)، و(ميتودي) اللذين سيأتي في آخر الكتاب حديث عن مشاهدة تمثال لهما في غربي مقدونيا.

على أراضي بلغاريا:

انتهت الإجراءات من الحدود البلغارية في السابعة والنصف مساء من وقت تركيا المساوي لوقت المملكة في الزمن الراهن، وهو المعروف بالتوقيت الصيفي فيها، وهي الساعة السادسة والنصف بوقت بلغاريا المتأخر عن ذلك بساعة واحدة.

دخلنا أراضي بلغاريا في الظلام فلم نبصر الأشياء بوضوح إلا أن الذي

لا تحتاج معرفته إلى إبصار هو الطريق الذي نسير عليه، فهو ضيق رديء تكثر فيه الخشونة، بل الحفر، وأكتافه ترابية رديئة، ولا يمكن مقارنته بالطريق الذي سلكناه في تركيا، فالتركي أفخم وأجمل وأوسع وأعمر مع أنه دون الطرق السريعة في بلادنا بكثير.

رأيت عجباً في الحدود البلغارية، إذْ توجد محطتان لبيع وقود السيارات على جانبي الطريق ملاصقتين لبوابة الدخول إلى بلغاريا، أخبرنا الدكتور نديم غنجيف أن إحداهما قديمة أنشئت في العهد الشيوعي الذي لا يزال هو وأمثاله الذين عاشوه يسمونه العهد الاشتراكي. أما الثانية فإنها بعد سقوط العهد الشيوعي، وسبب إنشائهما أن المحروقات رخيصة جداً بالنسبة إلى أثمانها في تركيا، فكانت السيارات التي تغادر بلغاريا إلى تركيا تتزود منها بالوقود الذي تحتاجه، والداخلة إليها مثل ذلك بعد أن تكون قد أخذت من تركيا ما لا يزيد عن حاجتها إلى الوصول إلى الحدود.

كان الظلام قد حل وحان معه وقت العشاء، فذكر أحدهم ذلك للدكتور نديم مقترحاً أن نتعشى في أي مكان في الطريق، فقال الدكتور نديم: سيكون العشاء في (خاصكوفو)، وقد ذبحنا لكم خروفاً، فذكرت في ذهني قولاً له مماثلاً عندما كنت معه في جولة على بلغاريا في المرة الأولى، وقد سافرنا من العاصمة صوفيا إلى مدينة رازا قراد، فكان يقول: لقد ذبحت لكم خروفاً في قريتي التي سنمر بها، وكنا نتوقف في المدن التي فيها مساجد، فنرى المساجد ونتحدث مع أئمتها والقائمين عليها، ولم نتغدَّ آنذاك إلا في التاسعة والنصف ليلاً باعتبار بلادنا، وهي

كانت ساعة الغروب في بلادهم في ذلك الوقت الصيفي الذي زرنا فيه بلغاريا حينذاك.

ضحك الدكتور نديم لأنه تذكر ذلك، وقال: هذا غير ذاك، فنحن لن نتوقف دون (خاصكوفو).

كان الظلام قد غدا دامساً رغم كون الأفق لا تزال فيه ثمالة من نور شأن الأقطار الشمالية التي لا يذهب فيها نور الشفق سريعاً، كما يكون في الأقطار الاستوائية وما قرب منها، ولذلك لم نجد أية متعة في هذا السفر الليلي البهيم. وحتى الشفق فقد غاب مبكراً هذه المرة ففصل الشتاء يقترب الآن، وقد أصبح النهار قصيراً.

وصلنا مدينة (خاصكوفو) في التاسعة، واخترقناها مع شارعها العام، وكنت أظن أننا سوف نبيت بها إلى الصباح، إلا أن القوم تراجعوا فيما بينهم، وقرروا أن نبيت في منتجع خارجها، يبعد عنها نحو ١٨ كيلو متراً، وأن نعود إليها في الصباح.

وتركناها موغلين في ريف قليل الأضواء؛ بل هو مظلم حتى أنوار المنازل الريفية فيه هي خافتة، ولم يستطع جمال المنطقة الذي تجلى لنا في الصباح أن يفصح عن نفسه في هذا الظلام حتى يخفف من وقع سوء الطريق على النفس.

المغطس المعدني:

وهذه ترجمة لاسم المكان الذي وصلناه، ومن المقرر أن نبيت فيه وهو (باني مينرال)، وباني في لغتهم تصغير كلمة (بانيو) المعروفة لدينا.

وهي مغطس الحمام الذي يملأ بالماء، ويغطس فيه المستحم جسمه. و(مينرال): معدني، والمراد به الماء المعدني، وقد أصبحت كلمة (مينرال) في اللغات الأوروبية مصطلحاً على الماء المعدني.

وقد سمي هذا المكان بهذا الاسم لوجود مياه معدنية حارة وباردة فيه، يذهب إليه الناس لأجل الاستشفاء بها.

أنزلنا الإخوة في فندق فيه اسمه (ديد قال هوتيل)، وهو فندق شيوعي رغم زوال الشيوعية بما يدل عليه عندي مصطلح (شيوعي) في الفنادق والمرافق العامة، وذلك من واقع ما شاهدته وخبرته من أمرها في عقر دارها الاتحاد السوفييتي السابق ووريثته جمهورية روسيا الاتحادية، وقد اختاروا شقة رئيسية فيه، هي أغلى ما فيه، مؤلفة من طابقين: الأول وهو الطابق الأول من الفندق غرفة جلوس مؤثثة بأثاث معتاد لا طابع له، ولا فخامة فيه، بجانبه مائدة للطعام، ولعقد الاجتماعات، وفيها خزانة ملابس يصعب فتح بابها على العادة في الفنادق الشيوعية، ومنها يصعد سلم خشبي بجانب الحائط يهتز جانبه الآخر إذا صعدت عليه، وهو صعب المرتقى لأنه قصير حيث يصعد إلى الطابق الثاني المؤلف من غرفتين، في كل غرفة سريران ضيقان، إلا أنهما متقاربان بحيث يمكن المرء أن ينام عليهما، فيكونان بمثابة السرير الواحد العريض.

وفي هذا الطابق الثاني حمام واحد، وليس فيه خزانة للملابس، فكان علي أن أخلع ملابسي في الطابق الأرضي وأن أصعد بملابس النوم إلى الطابق الثاني حيث غرف النوم في جو بارد، لأن الغرفة غير مدفأة على اعتبار أن الحاجة لا تدعو إلى ذلك عندهم، وهي كليالي الشتاء في

الرياض.

ومن المشكل أن باب هذه الشقة الغالية التي هي أكبر من ا لجناح، لا يفتح إلا إذا جاء فراش الفندق يفتحه لصعوبة في ذلك، ثم على المرء بعد فتح القفل أن يجمع قواه ويهجم على الباب بجسمه يضغط عليه لينفتح، لأنه لا يفتح بالطريقة المعتادة.

أما السرير فإنه ضيق، وعليه غطاء شيوعي أيضاً، وهو بطانية من الصوف مدخلة في وعاء من القماش ومفتوحة من الوسط؛ بحيث يدخل النائم رجليه فيها فلا تنزلق عنه لعدم سعتها، وهذا كله كان طراز الأغطية في الفنادق الشيوعية، وليس في الغرفة أي شيء بجانب السرير يضع عليه النائم ساعته أو ما يحتاج إليه، وليس فيها خزانة للملابس، أو حتى أدراج توضع فيها الأشياء.

العشاء البلغاري:

نادوا علينا بالعشاء في التاسعة والنصف، فنزلنا إلى غرفة خاصة أرضية أقاموا عليها مائدة خاصة لنا، ونحن خمسة عشر، وانضم إلينا من أهل البلاد عدد من الأئمة والمفتين كانوا ينتظروننا.

وكان نجم المائدة الماء المعدني الموجود في المنطقة معبأ في زجاجات كبيرة يشرب منه عللاً بعد نهل، ومعه المشروبات الغازية الأخرى.

وجدنا مقدمات الطعام وهي الباردة موضوعة على المائدة، ومعها الفاكهة من هذه المنطقة، وهي العنب والتفاح، والسلطة البلغارية التي لا بد أن يغطيها الجبن البلغاري الأبيض الشهير يضعونه فوقها، وهي من

الخيار والطماطم، فيبدو كما لو كان قد ذرَّ فوقها ذرّاً، ومن المقدمات سمك نهري صغير لذيذ الطعم، ومع ذلك الخبز والزبد، وجبن بلغاري أيضاً أصفر اللون.

العشاء في منتجع (باني مينرال) في بلغاريا

فأكلنا من هذه المقدمات اللذيذة الخفيفة حتى كدنا نشبع، ثم جاؤوا بالطعام الرئيس، وهو خروف كامل مصلي، والصَّلي هو تعريض الذبيحة للنار من دون أن تمسها، بحيث تنضج من دون أن تحترق، وهي غير المشوي الذي ينضج عن طريق مسه بالنار. والخروف محشو بالأرز والبهارات، فكان خادم المائدة وهو واحد لا يكاد يكفي للخدمة فيها، فكان لا يكاد يسلّم الصحن مليئاً لشخص حتى يكون الآخر قد فرغ مما معه؛ واللحم البلغاري كاللحم التركي لذيذ الطعم، لأن الماشية تتغذى على الأعشاب البرية، وليس على الأعلاف المصنعة.

كان الطعام لذيذاً، وكان حديث الرفقة عن الأمور المستجدة

بالنسبة للمسلمين في بلغاريا أكثر منه لذة، فكان حاصل الحديث أن حالتهم الآن احسن مما كانت عليه من قبل من حيث نظرة الحكومة إليهم ومجاملتها إياهم، إلا أنّ الأمر الذي شددوا عليه أن حالة المسلمين سيئة لأسباب أخرى، منها الأسباب العامة التي حاقت بالبلاد نتيجة التحول من الاقتصاد الشيوعي الموجه من الدولة إلى اقتصاد السوق الحر وما صحب ذلك من ارتباك الإدارة التي كانت سيئة من قبل، فزادتها قلاقل الانتقال سوءاً على سوء، مما مس جميع فئات الشعب بضائقة مالية شديدة، ومنها أسباب خاصة بالمسلمين من حيث إن عددهم ضئيل في الوظائف الحكومية لأسباب، منها عدم حمل أكثرهم مؤهلات الوظائف، ومنها تعصب رؤساء الإدارات من غير المسلمين لقومهم وإيثارهم بالوظائف حتى ظل المسلمون كما كانوا زمن الشيوعية فقراء، وبعضهم ازداد فقراً لعدم الحصول على رأس المال الذي يستطيع به تسيير أموره، مثل كونه لا يستطيع أن يجد ثمن بقرة أو بقرتين ليعيش منهما، مع وجود الأعلاف في الأرض، ولا يمكنه أن يقترض من الحكومة أو من المصارف الأخرى؛ لأنها تطلب فوائد ربوية مجحفة، حتى ذكر بعضهم أن الفائدة على النقد الوطني وهو (الليوا) تصل إلى ٢٠٠٪ سنوياً، وهذا شيء لا يصدق.

وتحدثوا عن الغلاء، فذكروا أن عملتهم قد انحدرت من مساواتها للدولار من أول إصدارها حيث الدولار الأمريكي يساوي (ليوا) واحداً إلى ٢٢٠ (ليوا) بالدولار الآن ، وزادت تبعاً لذلك أسعار الحاجات الضرورية، ومنها الأغذية إلى مقادير لا يستطيعون تحملها، فمثلاً كان سعر كيلو الجبن البلغاري الأبيض عندما زرت البلاد عام ١٤١٢هـ ثلاثين (ليوا)

وكانوا يشكون من ذلك مرّ الشكوى، لأنه في زمن الشيوعية كان يباع بثلاثة (ليوات) والآن بـ ٤٠٠ (ليوا) !.

ولو كانت الدخول زادت بنسبة زيادة الأسعار، أو بما يقرب من ذلك لكان الأمر معتاداً، ولكن الدخول والرواتب لم تزد بمثل تلك النسبة، ولا بما يقرب منها.

ولذلك صارت البطالة متفشية في صفوف المسلمين، وكانوا يقولون ذلك وأنا أعجب من قولهم على خصب البلاد، وسهولة تربية الأنعام من البقر والأغنام، وصلاحية أرضها لغراس الفاكهة المثمرة، غير أنهم ذكروا أن الحصول على أرض يزرعها الرجل الذي لا يملك أرضاً صار شديد الصعوبة، فقد باعت الحكومة بعض العقارات والأراضي، وصارت أسعارها مرتفعة لا يستطيع الفقراء لها وصولاً.

قالوا: وفيما يتعلق بأحوال الإخوة من القائمين على الجمعيات الإسلامية الاجتماعية التي وصلت إلى بلغاريا بدافع الإحسان للإخوة المسلمين البلغاريين فإنها لم تتفهم الأمر على واقعه الناتج عن ماضيه؛ بل صارت تطلب من المسلمين أن يكونوا في درجة من الدين على مثل ما هم عليه في البلدان العربية، وأخذت على أكثرهم كونهم لا يلتزمون بالدين التزاماً صحيحاً كاملاً، فصاروا يضنون بالمساعدة على من يكونون كذلك، وأكثر أهل البلاد من هذا النوع نتيجة للحكم الشيوعي الملحد، ولانعدام التربية الدينية في السابق.

قالوا: ولو كانت الجمعيات الخيرية ركزت على إقراض الإخوة المسلمين المحتاجين مبالغ قليلة تكفي لشراء بقرة أو بقرتين، أو قطعة

أرض صغيرة، ولو اشترك فيها جماعة منهم، لكان في ذلك التخفيف من الضائقة المعيشية؛ بل الضنك الذي يعيشونه الآن، وقد سارعت جمعيات التنصير إلى استغلال ذلك؛ حيث بذلت المعونات للمسيحيين، وهذا أمر طبيعي ومفهوم السبب، ولكنها صارت تتقرب إلى بعض الشبان من أولاد المسلمين بالإغراءات حتى يتركوا دينهم، أو على الأقل يتركون الالتزام به على أمل منهم في أن يتخلوا عنه في المستقبل، وقد حدثت حوادث فردية من حوادث الارتداد عن الدين لهذا السبب، ولكنها قليلة جداً ومنعزلة.

يوم الثلاثاء: /٣/ ٦ / ١٤١٧هـ- ١٥/١٠/١٩٩٦م.

صباح بلغاريا:

بعد نوم غير مريح في هذه الشقة الغالية الباردة التي أخذوا أجرتها ثمانين دولاراً؛ على حين كانت الغرف المعتادة بأربعين دولاراً، ولا شك أن سعرها ليس عالياً بالنسبة إلى أجور الفنادق العالمية، ولكنه كثير بالنسبة إلى وضعها، ولذلك قلت لأحد الإخوة المرافقين مازحاً: إنني أرجو أن تقبل مبادلة شقتي بغرفتك، لأنك تستطيع أن تسكن فيها دون أن تصعد وتنزل، وأنا لا أستطيع ذلك.

أزحت ستارة النافذة عن منظر أنيق هو منظر واد أخضر ضيق جداً فيه أشجار الفاكهة المثمرة المزدهرة، تحيط به حافتا ربوتين متطامنتين قد جللتهما الأشجار الخضر التي لوحت ريح الخريف أطرافها بلون أحمر خفيف، لن يلبث أن يصير رمادياً هامداً، فتسقط تلك الأوراق، وتصبح تلك الأشجار عارية جرداء بعد وقت قريب.

ومع كراهية منظر الاحتضار ثم الموت الذي حاق بأوراق الأشجار، فإن حمرتها صارت تشبه الزهور التي تبدو متعلقة بأطرافها وتوشي حواشيها.

ثم كان النزول إلى المطعم، والمائدة المعدة في الغرفة المنعزلة من مطعم الفندق، فكان طعام الإفطار جاهزاً، وهو أربعة أنواع من الجبن البلغاري الجيد، وبيض وزبد وعسل محلِّي - بكسر اللام - وخبز وشاي أو قهوة.

ورأيت عاملات الفندق في هذا الجو البارد يمسحن بلاطه وينظفنه وهن من الشابات، فقلت: بئس الحرية التي جلبت لهن الشقاء، ولو كن في بلاد مثل بلادنا لكنّ مخدرات في بيوتهن، أو كن يعملن عملاً مناسباً لطبيعتهن، إن لم يكن من الطالبات الجامعيات اللاتي تدفع لهن الدولة مكافآت مالية في مقابل أن يتفرغن للدراسة.

خرجنا بعد الفطور إلى السيارات، فكان الندى قد غسلها حتى سال من على ظهورها.

وكان كل شيء ندياً خصباً إلى درجة عجيبة، وكانت الأعشاب كثيفة بل متراكمة على الأرض، فقلت لهم: أين من يريد أن يعيش من تربية الحيوانات على هذه الأعشاب ؟ فقالوا متسائلين أيضاً: أين من يملك أن يكون له شيء من الحيوان ؟

هذا وقد تأملنا منطقة الفندق من الخارج، فوجدناهم اختاروا موقعه جيداً خاصة أنهم بنوه على نبع معدني مائي حار، وقد نزلنا إلى مغطس فيه ينزل إليه بدرجة أسفل الفندق، ورغم كونه حاراً فإنه معزول أيضاً، فيغتسل فيه الناس، ويبقون في مائه الحار فترة من الوقت حسبما ينصحهم الأطباء، ورأيت الماء القادم لتوه من النبع حاراً يطير دخانه.

وكان هذا الفندق حكومياً في أول الوقت مثل سائر الدوائر والمرافق تحت الحكم الشيوعي، ثم صار تجارياً حيث أجرته الحكومة لأحد المستغلين من التجار.

الجولة في بلغاريا:

آثرت كلمة بلغاريا اسماً لهذا القطر البلغاري الذي نحن فيه الآن على ركاكتها بالنسبة للتعبير الفصيح العريق (بلاد البلغار)، فراراً من أن يظن ظان أن (بلاد البلغار) التي وردت في كتب التاريخ العربية هي هذه، مع أن الأمر ليس كذلك، فبلاد البلغار الذين أسلموا في أول القرن الرابع الهجري، وأرسل ملكهم بعد إسلامه إلى الخليفة المقتدر العباسي في بغداد رسالة يطلب فيها منه أن يبعث إليه بعالم من العلماء يفقهه في الدين، وبمن يعمر له قصره .. إلخ ما جاء في كتابه للخليفة، فأرسل الخليفة إليه وفداً كان فيه لحسن حظ العلم والتاريخ الكاتب ابن فضلان الذي سجل أحداث الرحلة منذ أن غادرت البعثة بغداد حتى انتهاء مهمتها في رحلة عرفت برسالة ابن فضلان، وكان من أوائل من لفتوا الانتباه إليها العلامة ياقوت الحموي الرومي في كتابه (معجم البلدان)، ولم يجد العلماء المحدثون نصّ الرسالة كاملة، وإنما وجدوا قطعة منها نشرها المجمع العلمي العربي بدمشق بتحقيق الدكتور سامي الدهان.

فبلاد البلغار المذكورين تقع على نهر إيتل المعروف الآن بنهر الفولقا، ولا تزال عاصمتها تحمل اسم مدينة بلغار حتى اليوم، وقد زرتها قبل سنتين، وذكرت مشاهداتي مفصلة في كتاب « بلاد البلغار والتتار ». وهو كتاب مطبوع.

أما بلغاريا فهي بلاد قوم آخرين من البلغار سكان الفولقا هجروا منطقتهم وهاجروا إلى منطقة البلقان هذه قبل أن يدخل الإسلام بلاد البلغار، وقد ذكرت ذلك بتفصيل أكثر في كتابي: « كنت في بلغاريا »

الذي طبع قبل سنين ونفدت نسخه.

ستكون جولة اليوم في بلغاريا ممتدة من الصباح حتى الليل، والرفقة فيها هم الرفقة الذين كانوا معنا في إسطنبول، وكانوا جاؤوا إلى مطارها لاستقبالنا قد زادوا بعض الإخوة من أهل المنطقة.

غادرنا (المغطس المعدني) في التاسعة وما زال الوقت مبكراً، فسرنا في طريق ريفي شبيه بالذي جئنا منه البارحة، إلا أن الفرق كان عظيماً بين الحالتين، ففي الليل لم نكن نشعر بغير ضيق الطريق وسوئه، أما في هذا الصباح الذي كان شامساً كأيامنا الصافية في الرياض فإن منظر المنطقة تجلى أخضر كثيف الخضرة، وهي خضرة طبيعية كخضرة الربيع المونق الذي ترقشه زهور برية قليلة، وتتألف الأرض من سهول فيها ربى متطامنة وأمكنة مرتفعة تزيد من جمالها.

وقد تكاثفت الأعشاب وركب بعضها بعضاً، وارتفع بعضها عن الأرض مما جعلني أصيح في مرافقي: إن هذه الأعشاب ثروة هائلة، لماذا لا يقطعونها ويدخرونها علفاً للماشية في الشتاء ؟ فيقول البلغاريون: إنهم يفعلون ذلك، ولكنها من الكثرة بحيث لا يبين مكان ما يؤخذ منها. فقلت في نفسي ما قال المثل العامي: « إذا كثر خير الله قلّت رعاته »، وخير الله يريدون به العشب الوفير، وقلت رعاته: لم يبن أثر الرعي فيه.

وعلق البلغاريون على ذلك بقولهم: لا يوجد لدى الأهالي مال ولا خبرة، فلم يرثوا من الشيوعيين شيئاً من ذلك.

والطريق ضيق ولكنه مزفت من قديم، قد تحول بعضه إلى ما يشبه الطريق الطيني المدكوك.

هذا وقد اتضح أن الريف في هذه المنطقة معمور بالمنازل المتباعدة ذات السقوف الحمر

قرية كوليت :

تذكارية عند أسفل مسجد قرية كوليت (تحت الإنشاء) في بلغاريا

وصلنا قرية ريفية اسمها(كوليت)، كان أول ما رأيناه منها على البعد منارة مسجدها الشامخة، لأنهم اختاروا للمسجد أن يكون في رابية مرتفعة تعلو على منازل القرية كلها، فقصدناها حيث وجدنا رئيس القرية المنتخب في استقبالنا ومعه كبار أهلها، والرئيس هو الأخ (مؤمن فائق رمضان)، وهذا اسم عربي كأكثر أسماء المسلمين من أهل البلاد، وإلا فإن الرجل بلغاري عريق، وسألته عن عدد سكان القرية فأجاب: إنه (٢٩٣) نسمة يسكنون في (٦٠) بيتاً تؤلف هذه القرية، وقال: إن في كل بيت من بيوت القرية ثلاثة أولاد، وهذه ميزة لا توجد في قرى البلغاريين من غير المسلمين.

وذكر المرافقون من أهل البلاد أن سكان المدن حتى من المسلمين لا تزيد بيوتهم على أن يكون فيها طفل واحد لضيق المساكن، وصعوبة تربية الأولاد فيها. وقال أحدنا ممازحاً: لماذا لا يسكن المسلمون كلهم في القرى حتى يزيد عددهم أضعافاً مضاعفة، وذكرت في نفسي بهذه المناسبة نكتة نسبت إلى أحد المغفلين وهي قوله عندما قيل له: إن هواء البرية اصح وأنقى من الهواء في المدن: لماذا لم يبن الأولون المدن في البرية ؟ !.

ولكن الجو الروحاني الجديد جعلني لا أورد هذه النكتة، فقد غمرني شعور عظيم من الغبطة والارتياح لمنظر هذا المسجد العالي المنارة في هذه القرية النائية من قرى بلغاريا.

وكان مع المستقبلين إمام المسجد الأخ (أحمد محمد سعد الله).

قال لنا القوم: لقد كنا نذهب لصلاة الجمعة إلى قرية (قرامنسي) فنصلي مع أهلها صلاة الجمعة، والآن وقد وفقنا لبناء هذا المسجد فإننا نصلي فيه ولله الحمد.

والمسجد جديد في القرية، بمعنى أنه أول مسجد يبنى فيها، ولم يكن فيها قبله مسجد.

واخبرونا أن أرض المسجد ممنوحة لهم من قبل الحكومة بدون ثمن تقريباً؛ إذ باعتها عليهم بثمن رمزي وهو ما يعادل خمسين دولاراً أمريكياً، لأن القانون لا يجيز منح الأرض الحكومية لأحد بالمجان، كما حدثونا عن قريتهم بأنها أنشئت منذ (٩٠) عاماً، وكان نصف سكانها من المسيحيين، إلا انهم ذهبوا إلى المدن واشترى المسلمون بيوتهم حتى صارت القرية خالصة للمسلمين لا يشاركهم في سكناها أحد، وأهلها من ذوي

الأصول التركية، ولكن (تركيتهم) هذه بعيدة؛ إذ كانوا ممن جاؤوا مع الأتراك الفاتحين، أو جاؤا أثناء الحكم التركي.

قرية كوليت في بلغاريا كما تبدو من المسجد

ودخلنا المسجد فوجدناه يتألف من طابقين: أحدهما أرضي منخفض السقف ويستعملونه مدرسة لتعليم أولاد المسلمين المهم من أمور دينهم، ذكروا أن الأولاد من بنين وبنات يدرسون فيه، وفوقه المصلى الرئيس وهو مرتفع السقف، من خلفه وهو الجهة الشمالية شرفة تصلي فيها النساء.

وهو مبني بناء قوياً بالإسمنت المسلح إلا انه لم يكتمل بعد، فلم يجر طلاؤه كاملاً، ولا بني حوله سور ولا محلات للوضوء، وكله من تبرعات أهل البلاد إلا بعض المساعدة وردت لهم من تركيا، كما أن رفيقنا في السفر اللواء المتقاعد كمال سراج الدين أعطاهم عشرة آلاف ريال تبرعاً من المحسنين.

وفي جلسة في مكتب رئيس القرية الأخ (مؤمن فائق رمضان) أعطاهم

اللواء المتقاعد كمال سراج الدين عشرة آلاف ريال التي ذكرتها، وقد وعدناهم بالمساعدة المؤكدة إذا أنفقوها وما قد يكون لديهم من مبالغ أخرى، على أن يكتب إلينا الدكتور نديم غنجيف ومفتي بلغاريا الشيخ بصري محمود شريف الذي كان يرافقنا أيضاً بذلك.

وذكروا من بين ما ذكروه من أمر القرية أن اقتصادها يعتمد على الزراعة، ولذلك رأينا أشجار التفاح الكثيرة، إضافة إلى شيء لم يذكروه وهو توفر الإمكانات لتربية الماشية، وقد رأيت عندهم شيئاً آخر يربونه وهو البط والإوز الأبيض الكبير، وهو يتبختر في جماعات كبيرة في حواشي القرية، ووجوده علامة من علامات كون القرية للمسلمين حسبما رأيته في البلدان الندية في القوقاز وروسيا وحتى وسط آسيا، وذلك بكون المسلمين يربونه بدلاً من تربية الكفار للخنازير، إذ البط سهل التربية كما أن الخنازير كذلك، لان الخنازير تأكل الفضلات حتى العذرات، وهي براز بني آدم، كما تأكل من أوراق الأشجار المتساقطة.

إلى مدينة خاصكوفو:

تركنا قرية (كوليت) بعد أن ودعنا أهلها الكرام وداع المحبة والإخاء قاصدين مدينة (خاصكوفو)، وهي المدينة الرئيسية في المنطقة، فسرنا نشق الريف الخصب الندي، ورأينا سرح بقر يرعاها رجل مسن، وأعجب له كيف يستطيع رعايتها وهو في هذه السن، ومنظره منظر التعب المكدود، ولقد عجبت مرة أخرى من جمال الأجسام لشبانهم، ومن عكس ذلك على شيوخهم، فالسنون تفعل في وجوههم وأجسادهم ما لا تفعله في شيوخ كثير من البلدان مثل بلادنا السعودية التي وإن كان المشيب

يصبغ صاحبه بعلامات الشيخوخة، فإنه لا يهرم بسرعة، وكثير من الشيوخ عندنا يظهرون بمظهر جيد.

دخلنا مدينة (خاصكوفو) من مدخل جيد ذي أشجار عالية خضر، وتبادر إلى ذهني عندئذ اسمها الذي نصفه عربي، فمعناه القرية الخاصة، إذ (خاص) هي العربية بمعنى مخصوص، و(كوفو) معناها: قرية باللغة المحلية، وكان هذا الاسم يصدق عليها عندما كانت قرية قبل أن تصبح مدينة.

قصد الإخوة بنا مسجداً جليلاً فيها من دون أن يبدو لهم أننا نرغب في رؤية بعض معالم المدينة، لذلك عندما مررنا بسوق خضار شعبي فيه غير الخضار من المنتجات المحلية القليلة، طلبت منهم الوقوف وقد غدا موكبنا مؤلفاً الآن من ثلاث سيارات.

سوق خاصكوفو

رأيت في هذا السوق أشياء رخيصة رخصاً لافتاً للنظر من حيث

سعره، ومن حيث وجوده، فالسفرجل الذي كنت أظن أنه لا يوجد في البلدان الباردة هو موجود هنا وبسعر لا يصدق، إذ سعر الكيلو الواحد منهم بخمسة وثلاثين ليوا، ومعلوم مما ذكرناه أن الدولار الأمريكي يصرف الآن بمائتين وعشرين ليوا، وعلى هذا يكون في الدولار الأمريكي ستة كيلات من سفرجل نضر، ولا أدري عن جودته، ولا يزول هذا العجب إلا إذا عرفنا أن كيلو الطماطم يباع بثلاثين ليوا، أي بسعر (٧) كيلات ونصف للدولار الأمريكي الواحد، والفلفل الأخضر الذي رأيته كثيراً في السوق كثرة لافتة للنظر، سعره أربعين (ليوا) للكيلو الواحد، وذكر لي الإخوة المرافقون أن الناس هنا يأكلون الفلفل الأخضر كثيراً.

وإذا نظرنا إلى الفاكهة الموجودة في السوق وجدناها في غاية الرخص كذلك، فالتفاح الأخضر الطازج الذي قطف لتوه من شجره سعره (٦٠) ليوا للكيلو، أي أنه أقل قليلاً من أربع كيلات بدولار، والعنب بعضه كتب عليه سعره بـ (٥٠) ليوا، وهذا هو الجيد، وما هو أقل منه سعره (٤٠) ليوا، وهناك عنب أسود أقل جودة كتب عليه سعره (٣٥) ليوا.

وهذا عجب من العجب مرده إلى خصب البلاد وكثرة إنتاجها، إلى جانب قلة ذات اليد عند المواطنين، وضعف قدرتهم الشرائية بسبب تدني الأوضاع الاقتصادية وضعف الدخول.

كما يدل أيضاً على ضعف الحكومة وفساد إدارتها، وإلا لكانت وفرت مخازن لهذه الفواكه الرخيصة تخزنها فيها وتصدرها طوال العام، أو لكانت اتفقت مع تجار من الخارج على ذلك، ولا شك أنهم لا يثقون بقدرة الحكومة على الوفاء بالشروط التجارية التي يبرمونها معها.

في سوق خاصكوفو

ولا يقتصر الرخص في الأسعار هنا على الفواكه والخضرات، وإنما يشمل أيضاً أشياء مهمة مثل العسل الصافي الذي وجدت الكيلو الواحد منه يباع بـ (٣٩٥) ليوا، أي بأقل قليل من دولار ونصف، وهناك زجاجات صغيرة مليئة بهذا العسل، يبيعون الواحدة منها بأقل من دولار، وقد اشترينا واحدة منها ذقنا عسلها فأعجبنا، وذكر لنا أهل البلاد بأنه عسل صافٍ غير مغشوش.

والحقيقة أنني عندما رأيت هذه الخضرات والفاكهة معروضة في السوق بهذه الأسعار التي لا تصدق لرخصها، إلى جانب ما كنت رأيته في هذا الصباح من وفرة المراعي وصلاحية البلاد لتربية الحيوان، ذكرت المقولة المشهورة في مثل هذه الحالة بأن بلغاريا (بلاد غنية فيها شعب فقير).

وقد رسخ هذه الفكرة في ذهني وجود نهر صغير في المدينة قرب هذا السوق، هو في حجم نهر بردى، لم يبالِ أهل البلاد به من مرافقينا حتى يعرفوا اسمه، وقالوا: إنه نهر صغير لا يعرفون له اسماً، وإنما يوجد نهر

كبير يبعد عن المدينة بثمانية كيلات اسمه نهر (مريت).

الجامع المعتدى عليه:

وصلنا إلى الجامع الكبير ويسمونه (شائي جامع) بمعنى جامع المركز، ويقع وسط المدينة في أغلى أحيائها وأنفسها.

منارة شائي جامع

وهو مسجد تاريخي، يقولون: إن إنشاءه كان منذ ٣٧٠ سنة.

ورغم ذلك اعتدى عليه المعتدون، فأحرقوه في ١٣ مارس عام ١٩٩٠م قبيل سقوط الشيوعية، وقيل في أسباب ذلك أن الشيوعيين زعموا أن في المدينة مسجدين أحدهما يكفي، هكذا أشاع المسلمون، والواقع أن أحداً

لم يقل ذلك صراحة، وإنما ذلك ما يعرفه المسلمون من التعصب عند أهل البلاد ضد المسلمين، ولا يعرف من الذي أحرقه، وإنما أعلن المسؤولون أن طفلة عمرها (١٤) سنة كانت معها حمامة تلعب بها، عقدت بها ناراً ورمت بها في المسجد. قالوا ذلك هرباً من المسؤولية، وإلا فإنه غير معقول كما يقول إخواننا، لان حريق المسجد كان في الرابعة قبل الفجر، ويعتقدون أن بعضهم رمى بداخله بخرقة ملوثة بالبنزين فأحرقته، لأنه كان من الخشب القديم.

وقد أظهرت السلطات المسؤولة في الدولة أسفها واستنكارها لحريق هذا المسجد التاريخي، وتبرعت بـ (٨٠٠) ألف ليوا لإعادة بنائه، وذلك مبلغ كبير في ذلك الحين، لان الدولار الأمريكي وقتها كان يصرف بـ (١٢) ليوا، وأعلن رئيس الجمهورية آنذاك (بيتر ميلادونوف) من التلفاز الحكومي في كلمة قصيرة خصصها لحادثة إحراق هذا المسجد بعد حدوثها، فقال: الحكومة خصصت لإعادة بنائه (٨٠٠) ألف ليوا، وأتعهد أن تسلم مفتاحه بعد أن يتم تعميره كاملاً في ظرف أربعة أشهر.

هذا وقد أعيد بناء المسجد كما كان عليه شكلاً، وإلى أقوى من ذلك مضموناً، لأنه كان من الخشب فأعيد بناؤه من الإسمنت المسلح، ولكن على الشكل الذي كان عليه أولاً، ومن ذلك أن الأجزاء الداخلية فيه التي يراها من يدخله قد ألبست كلها الخشب، حتى بدا للناظر فيها كأنما هي مبنية من الخشب، وقد قال إخواننا بثقة واطمئنان: إنهم لا يخافون الآن على المسجد من الحريق.

هذا وقد أسهمت رابطة العالم الإسلامي في مكة بدفع مبلغ مناسب

من المال لإعمار المسجد، كما وردت إليهم مساعدة من تركيا إلا أنها أقل مما تلقوه من الرابطة، وأخبرونا أن المسجد يمتلئ بالمصلين في كل جمعة، وذلك لكون عددهم يزيد على خمسمائة مصلٍ بقليل، وأنه أحياناً يضيق بهم حتى يصلوا خارجه في رصيف الشارع.

ومع أنه كانت للمسجد أوقاف كثيرة من دكاكين وعقارات عديدة تشمل الشارع الذي فيه كله، فإنهم الآن يجمعون التبرعات للمصاريف المتكررة للمسجد من كهرباء وتدفئة، وأن الحكومة الشيوعية صادرت تلك المحلات التجارية الموقوفة على المسجد، ولم تعوض أهلها عنها ولا تزال مصادرة، مع أننا رأيناها محلات تجارية عامرة بل مزدهرة، وذلك لكون المسجد واقعاً في القلب التجاري للمدينة.

إن الإخوة المسلمين ينوون المطالبة بإعادة الأوقاف إليهم، غير أنه ليس لديهم النفوذ الكافي في الحكومة للقدرة على ذلك، إضافة إلى أن بعض المسؤولين يقولون: إن المسجد لا يحتاج لتغطية النفقات اليومية المتكررة لأكثر من غلة محل أو محلين منها، وليس ذهاب الأوقاف العظيمة التابعة للمسجد هو الوحيد الذي انتقص منه، بل إن مساحة المسجد تقلصت من ألفي متر مربع عند إنشائه إلى (٥٠٠) متر فقط في الوقت الحالي، لأنه كانت تتبعه حديقة ومرافق من أفناء مكشوفة إلى غرف لأغراض أخرى.

وقد حاولوا أن يعوضوا عن ذلك ببناء غرف أسفل منه خصوصها لدراسة أولاد المسلمين، يدرسون فيها الأطفال من بنين وبنات. أخبرنا القائمون عليه أن الأولاد مقسمون إلى سبع فرق، لأن المكان لا يسعهم مجتمعين، ولكون أوقات فراغهم مختلفة، فالذين يدرسون منهم في

المدارس الحكومية في الصباح يأتون إلى المسجد في الليل، والذين يدرسون في المساء يأتون إلى المسجد للدراسة في الصباح وهكذا.

في محراب مسجد (شائي جامع) في خاصكوفو

وعندهم تدريس خاص للمسلمات ذوات الأسنان من ٢٠ إلى ٥٠ سنة، يبلغ عدد الدارسات فيه (٢٠) امرأة.

وبعد التقاط صورة تذكارية في المسجد، والاستماع إلى بعض المعلومات عنه، قمنا بجولة فيما حوله من الأسواق التجارية، فرأينا السلع فيها قليلة، والناس يبدو على وجوههم نقص التغذية، وعلى ملابسهم العوز نتيجة لسوء الحالة الاقتصادية ولعوامل أخرى بالنسبة إلى الوجوه التي لا يرى المرء فيها وجهاً مشرقاً إلا في النادر، وإن كانت كلها وجوه بيض الألوان، فبياضها لا يكاد يختلف عن بياض الأوروبيين الغربيين، ويوجد الشعر الأصفر عليهم بكثرة، وإن لم يكن الأكثر.

والشوارع في القسم التجاري هذا لا بأس بها من حيث وجود

الأرصفة، ولكنها رديئة التزفيت، وبعضها قد تكسر ولم يصلح، وحتى النظافة التي لا تحتاج إلى ثراء عريض ولا لخبرة تقنية هي ناقصة.

قرب المسجد المعتدى عليه في خاصكوفو

المسلمون في خاصكوفو:

يبلغ سكان مدينة خاصكوفو مائة وعشرة آلاف نسمة، فيهم اثنان وعشرون ألفاً من المسلمين، منهم عشرة آلاف مسلم من أصل تركي، وعشرة آلاف من الغجر، وألفان من البوماك وهم المسلمون الذين يتكلمون البلغارية، ويدعي البلغاريون الوطنيون انهم منهم، بخلاف الأتراك الذين يعرفون أنهم يغايرونهم في الأصل والمنشأ، ويزعمون أنهم جاؤوا من خارج البلاد من تركيا، وتمسكوا بلغتهم التركية، وحافظوا على الهوية التركية.

ومن الطريف المحزن - إن كان فيما يحزن طريف - أن الحكومة البلغارية عندما ضايقت عدداً ضخماً من المسلمين في بلغاريا إلى حد أنها

ألجأتهم إلى الفرار إلى تركيا، وتحركت الهيئات الدولية المسلمة مثل منظمة المؤتمر الإسلامي، ورابطة العالم الإسلامي للرد على ذلك، كانت السفارة التركية في بلادنا تخاطبنا في رابطة العالم الإسلامي حول الموضوع، ولكنها لا تذكر الموضوع على أنه مسألة مسلمين يطردون من بلادهم، فلا تسميهم المسلمين، وإنما تسميهم الأتراك، وتقول عنهم إنهم الأتراك المطرودون من بلغاريا، ونسيت السفارة أو تناست أنها بهذا تلتقي مع البلغاريين الذين يقولون: إن هؤلاء أتراك جاؤوا مع الأتراك المستعمرين، ويجب أن يرحلوا عن البلاد كما رحل الأتراك الحاكمون.

ونحن في رابطة العالم الإسلامي نرى أن الأمر ليس كذلك، إنما هم إخوة مسلمون اعتدى عليهم البلغاريون وضايقوهم ليخرجوهم من ديارهم، وقد فعلوا، ويجب علينا أن نبذل ما في وسعنا لإيقاف هذا الظلم الواقع عليهم، ولو كان الأمر متعلقاً بالقومية وحدها دون النظر إلى الأخوة الإسلامية، لما كلفنا أنفسنا النظر في الأمر، ولقلنا بلسان الحال أو لسان المقال: إن الأمر في مساعدتهم متروك للقوميين الأتراك الذين يشتركون معهم في القومية التركية. وهذا واضح، ولذلك لم يوجه البلغاريون الضغط نفسه إلى المسلمين البوماك الذين يتكلمون البلغارية، لأنهم على زعمهم بلغاريون وليسوا كالأتراك الذين لا يزالون يتكلمون اللغة التركية.

هذا وفي مدينة (خاصكوفو) مسجدان، وهذا قليل بالنسبة إلى عدد المسلمين، ولكن الدعاية الشيوعية الملحدة السابقة صرفت كثيراً من المسلمين وبخاصة من الشباب عن دينهم، فصاروا يحسبون من المسلمين وإن لم يحققوا الإسلام تحقيقاً صحيحاً.

وتعتبر (خاصكوفو) عاصمة لمنطقة فيها ثلاث محافظات.

وهي المدينة الثانية في بلغاريا كلها بالنسبة إلى كثرة المسلمين بين سكانها، والمدينة الأولى في اشتمالها على أكبر عدد من المسلمين هي روسو، وقد زرتها في زيارتي الأولى لبلغاريا، وتكلمت عليها في الكتاب الذي ألفته عن بلغاريا وهو: « كنت في بلغاريا ».

وفي (خاصكوفو) هذه مفتٍ للمسلمين مما يدل على كثرة المسلمين فيها.

إلى مدينة كرزلي:

في الحادية عشرة وعشر دقائق توجهنا من (خاصكوفو) إلى مدينة (كرزلي) التي تبعد عنها (٥٠) كيلو متراً، فخرجنا إلى الريف من طريق جيد لولا ضيق فيه شديد، وقد غرسوا على جانبيه أشجار الجوز التي تثمر ثمراً جيداً، مثلما كان أهل أذربيجان قد غرسوا على جوانب شوارع عاصمة جمهوريتهم (باكو) أشجار الزيتون، ومثلما غرس أهل خوارزم أشجار التوت على طرقهم، كما أننا غرسنا في مدننا، ومنها على سبيل المثال الرياض وبريدة، النخيل التي تثمر، وهذه فكرة جيدة أن تكون أشجار الطريق ذات ظل وثمر.

ووصلنا إلى منطقة ريفية خالية من المنازل، فسألت الدكتور نديم غنجيف عن الصيد في الغابة، فذكر أنه موجود، وأن الغابات فيها غزلان وأرانب وأيايل - جمع أيِّل -، وذكر أن الحكومة تمنع الصيد في الأصل إلا لأشخاص لديهم رخص خاصة وفي أوقات معينة، وذكر أنه حدثت

واقعة قبل (١٥) يوماً لرجل ألماني حصل على رخصة من الحكومة لصيد أيِّل واحد، فاصطاده وأخذ معه رأسه وقرنيه، وذلك مقابل (٤٠) ألف مارك ألماني، لأنه ليس من مواطني البلاد. وقال :أنا لدي رخصة صيد، وأدفع لذلك ضريبة سنوية أدفعها إلى الحكومة، وذكر أن الرخصة لا تعطيها الحكومة للصيد مطلقاً، وإنما تعطيها لصيد نوع واحد مثل الأرانب أو الغزلان أو الأيايل، ولعدد محدود منها.

ومعظم الريف الذي نسير فيه الآن قد قطعت منه أشجار الغابات، وصار على هيئة حقول، إلا أنها من أعشاب ناضرة، وهم يفعلون ذلك من أجل تفريغ الأرض للزراعة الحقلية.

ولا يزال منظر الريف على جماله المعهود لأنه مؤلف من ربى متطامنة، وقد رأيت على جانب الطريق أكياساً مليئة بالفلفل للبيع، وجماعات من النساء الحسنات المظهر واقفات ينتظرن من يحملهن، ولا شك في أنهن لم يجدن الحافلات العامة التي وإن كانت تأتي ولكن ببطء وعلى غير انتظام في المواعيد كما أخبرونا.

مدينة كرزلي:

وبعضهم يلفظ بها (قرزلي) بالقاف، وقد وصلناها في الثانية عشرة إلا عشر دقائق، وهي بلدة متوسطة بالنسبة إلى مدن بلغاريا غير الكبيرة، ما عدا العاصمة (صوفيا)، وقد أخبرنا الإخوة المرافقون أن سكان (قرزلي) يبلغ عددهم خمسين ألفاً، فيهم نسبة من المسلمين تقارب النصف، وظني أنهم يقصدون بذلك المدينة وما حولها من القرى، ورئيس البلدية فيها غير

مسلم، وقد نوهوا بذلك كالمستنكرين له، إذ يفترض أن يكون رئيسها مسلماً.

اخترقنا سوقها الذي هو جميل نظيف، ووجدنا وسط المدينة مرصوفاً بالحجارة الصغيرة، ويتميز أيضاً بالنظافة، وغير بعيد من ذلك في الحكم على المظهر منظر الشابات من أهلها اللاتي يكدن يتميزن بمنظر اللاتي ينلن كفايتهن من الغذاء، وأما ملابسهن فإنها مثل ملابس غيرهن من النساء والرجال في هذه البلاد دون المتوسط بسبب الحالة الاقتصادية المتردية، وإن كان أكثرها ليس مجافيا للذوق.

والمدينة على نهرين: أحدهما اسمه (آروا)، والآخر (فارتيسا)، وقد مررنا على كل واحد منهما.

في داخل مسجد كرزلي في بلغاريا

وخرجنا من المدينة إلى ضاحية مرتفعة جميلة المنظر، فوجدنا أهل القرية المسلمين ينتظروننا عند نهر (فارتيسا)، وكانوا ينتظرون منذ بعض

الوقت، لأننا تأخرنا عليهم.

ذكروا أن المسلمين كثير في سكان المدينة، وفيها مسجدان: أحدهما جديد هو الذي زرناه، والثاني تاريخي.

ووقفنا أول وقفة عند مدرسة، فوجدنا بعض طلابها يخرجون منها لانتهاء الدراسة اليوم، ولكن بعضهم بقي، وكلهم من أبناء المسلمين بيض الألوان مع شقرة في شعور بعضهم؛ بحيث لا تفرق بينهم في المظهر وبين الأوروبيين، وذكر مدير المدرسة أن عدد طلابها هو (١٢٠)، وأنها مدرسة إسلامية عربية بلغارية بمعنى أنها تطبق صلب المنهج الحكومي أو عماده، وتضيف إليه قراءة القرآن الكريم، ودراسة بعض العلوم الإسلامية.

وقد طلبنا من أحدهم أن يسمعنا شيئاً من القرآن، فقرأ سورة الطارق قراءة جيدة، وهذا الفصل هو الحادي عشر كما يسمونه، لأن المدرسة ثانوية تعترف الحكومة بشهاداتها، وتقبل من يتخرجون منها في عدد من الكليات الجامعية الحكومية.

داخل فصل دراسي في المدرسة الإسلامية في كرزلي في بلغاريا

ثم زرنا الفصل النهائي في المدرسة، فطلب منا مدير المدرسة أن نختار أحد الطلاب ليتلو علينا آيات قرآنية، فاختار أحدنا أحد الطلاب فتلا آيات القرءان الكريم تلاوة طيبة بحيث عندما سمعته لم أفرق بينه وبين تلاوة أبنائنا من الطلاب العرب، فلا لكنة في تلاوته ولا عجمة، وهو يعطي الحروف الحلقية الصعبة على غير العربي حقها من الإخراج والنطق الصحيح، مما يعني أنه قد مرن مراناً كافياً عليها، وقد أخبرتهم بإعجابنا بذلك، وشكرت المدرس الذي كان في الفصل واسمه مصطفى خوج، وأظن أنه مدرس القرآن الكريم على عنايته.

ثم انتقلنا إلى مكتب مدير المدرسة، فقدم لنا القهوة ومعها البسكويت والشراب البارد من الكوكا كولا.

وألقى مدير المدرسة الأخ يوسف علي مصطفى خطبة قصيرة قال فيما قاله منها: أنتم جئتم من مركز الإسلام؛ حيث ولد الرسول ﷺ وبدأ نشر الدعوة الإسلامية هناك.

ثم قال: نحن نعتز بزيارتكم لمدرستنا؛ بل لمنطقتنا، فأهلاً وسهلاً بكم، وزيارة سعيدة. ثم تحدث عن المدرسة الإسلامية فذكر أنها افتتحت في شهر أكتوبر عام ١٩٩٠ م بعناية دار الفتوى البلغارية، وكان عدد طلابها عند الافتتاح ثلاثين في فصلين ولهم أربعة مدرسين ومربٍ واحد في ثلاث غرف، والآن أصبح فيها ١٦٠ طالباً و١٥ مدرساً، وكل المدرسين هؤلاء يحملون شهادات عالية إلا اثنين منهم، فإنهما يحملان شهادات نصف عالية.

وذكر أن مدة الدراسة في المدرسة ٤ سنوات، من الصف التاسع إلى

الصف الثاني عشر النهائي.

خطوة جديرة بالاحتذاء:

قال المدير والمدرسون ومرافقونا يسمعون: لقد خرَّجنا دفعتين من المدرسة، نعطي كل طالب من المتخرجين شهادتين اثنتين: إحداهما (شهادة إمام وخطيب)، والثانية شهادة الدولة الثانوية المعتادة، وهي التي تعترف بها الحكومة.

تذكارية مع طلبة المدرسة الإسلامية في كرزلي ببلغاريا في حديقة المسجد

قال: ويمارس الآن ثلاثة من طلابها الإمامة، ويدرسون الطلاب المسلمين الموجودين في القرى القرآن الكريم، يخرجون إليهم في القرى ويدرسونهم، لأن هؤلاء لا يستطيعون أن يتعلموا عندنا في المدرسة لبعدها عنهم، ولحاجة أهلهم إليهم، قال: والقرى سعيدة بهم، لأنهم يأتون إليهم حاملين الخير والتعليم الإسلامي.

أما نفقات المدرسة فإن بعضها من دار الفتوى، ولا أدري أراد بذلك دار الفتوى في صوفيا أم في خاصكوفو أم في (مادان) التي سنصل إليها بعد قليل بإذن الله. قال: وبعض النفقات يأتي من صدقات المسلمين داخل البلاد، قال: وشيء يأتي من جماعة النور في تركيا على هيئة تبرعات منتظمة.

قالوا: ومبنى المدرسة مستأجر من بلدية المدينة بثمانين ألف ليوا في الشهر، ويدفعون أيضاً ضريبة للحكومة ليست كبيرة.

قالوا: ونخطط الآن لبناء مبنى للمدرسة على أرض ذكروا أنهم بصدد شرائها حتى يستغنوا عن هذا المبنى الحكومي الذي يدفعون إيجاره، وإن لم يكن مرتفعاً بالنسبة إلى المبنى، وقد وعدتهم بالنظر في مساعدتهم على ذلك بعد أن يتقدموا بطلب بواسطة المفتي ورئيس المجلس الإسلامي، إذا شهدا لهم بأنهم قد اشتروا الأرض بالفعل، وشرعوا في البناء عليها.

وقد تجولنا في المبنى فوجدناه واسعاً جيداً، في فنائه شجرة ضخمة من التي تسدل أغصانها كما تسدل المرأة شعرها الذي نقضته ،وطأطأت رأسها لكي يبدو منسدلاً نحو الأرض، والتقطت للمدرسة صورة تبدو الشجرة في أيمنها.

مسجد قرزلي:

بدا المسجد بمنارته البيضاء، وهو ذو سقف من الآجر الأحمر، وبجانبه مساكن طلبة المدرسة وهي نظيفة، إلا أن المشكلة فيها أنها

مزدحمة بالطلاب، لأنهم جعلوا في كل غرفة عشرة من الطلاب.

تذكارية عند مسجد كرزلي في بلغاريا

وقد جعلوا سرر الطلاب واحداً فوق الآخر كما تكون أسرة النوم في القطارات والسفن، وجعلوا عند باب كل غرفة خزانة كبيرة، فيها أربعة أدراج، لكل طالب درج منها يغلق عليه أمتعته وما يريد خزنه. وأرونا غرف الوضوء المخصصة للطلاب فرأيناها على حالة لا بأس بها من النظافة، لأنني عرفت الطلاب، وصعوبة صيانة الأماكن الجماعية لهم عندما كنت أعمل في الجامعة الإسلامية في المدينة المنورة. ثم انتقلنا إلى غرفة المدرسين وهي مؤثثة بأثاث لا بأس به، ولم نجلس فيها لأن وقت صلاة الظهر قد حان، فانصرفنا إلى المسجد؛ حيث رأيناهم جمعوا فيه الطلاب والمدرسين، فصلينا الظهر خلف إمام المسجد، ثم ألقيت فيهم

وعمادهم المدرسون والطلاب كلمة حسب رغبتهم، نقلت إليهم تحيات إخوانهم في مكة المكرمة، حيث رابطة العالم الإسلامي التي تمثل الجمعيات الإسلامية في أنحاء العالم في مجالسها وهيئاتها المختلفة، وطلبت منهم الحرص على التعلم، لأنهم طليعة المسلمين في هذه البلاد، وأنهم مؤهلون لقيادتهم قيادة دينية، وإننا في رابطة العالم الإسلامي ننظر إليهم نظرة أمل وإعجاب، وقد ترجم كلمتي إليهم الدكتور نديم غنجيف.

تذكارية عند الشجرة ذات الغصون المسدلة في فناء المدرسة الإسلامية في كرزلي ببلغاريا

وبعد ذلك جرى حديث مع المسؤولين عن المسجد، فذكروا أنه أنشئ في عام ١٩٤٢م، أنشأه المهاجرون من مدينة بورصة هم وأولادهم، وبنوه ولا يزال رئيس جمعية المسجد منهم.

ثم خرجنا معهم إلى حديقة ملحقة بالمسجد مزهرة نضرة، فاجتمعوا لالتقاط صورة تذكارية من مصوِّرات لهم، ومن مصوِّرات نحملها، وكانت

الشمس مشرقة مما جعل الصور واضحة.

مومجل قراد :

وكان الأولى بنا أن نسميها مدينة (مومجل) لأن قراد باللغة البلغارية تعني مدينة، وإذاً يكون معنى الاسم: (مدينة مومجل)، ولكنني لم أرد أن أذكرها باسم مترجم لاسمها بديلاً من نص الاسم الذي تعرف به.

وتقع على بعد (١٠) كيلات من مدينة (قرزلي)، ولكن لها بلدية مستقلة، وعدد سكانها ثمانية آلاف نسمة ٧٠ ٪ منهم مسلمون.

ولم نطل الوقوف في (مومجل قراد) وإنما أسرعنا في الذهاب إلى مدينة (مادن) التي ينتظرنا أهلها بموجب موعد سابق، وهي المدينة الرئيسية في المنطقة التي هي منطقة سكن المسلمين البوماك، وتقع مجاورة للحدود اليونانية، ومررنا بقرية تسمى بونية، مسجدها شامخ المئذنة لم نقف عنده لأنه مكتمل، ثم مررنا بقرية أخرى غير بعيدة منها، استرعى انتباهي فيها وجود المسجد التي تنتصب منارته شامخة، فتكون أعلى بناء في القرية وتسمى (كوبيلانة) ومعناها: الفرس.

وكل سكان هذه القرية مسلمون من الأتراك، إذْ لم نصل بعد إلى منطقة إخواننا المسلمين البوماك.

لقد تعجبت من وجود المسلمين في هذه الأماكن، وهو ما لم نعرفه مفصلاً من قبل إذ كانت جولتي السابقة في بلغاريا في مناطق الأتراك، أي المناطق التي يسكن فيها الإخوة المسلمون البلغاريون من أصل تركي، وإن لم تكن خالصة لهم، وتقع في شمال بلغاريا وشرقها، فذكر لي الدكتور

نديم غنجيف أن هناك دلائل تدل على وجود للمسلمين في هذه البلاد قبل الغزو التركي لها، واستشهد على ذلك بوجود شاهد على أحد القبور كتب عليه بالعربية تاريخه المصادف لعام ٩٧٠م، وأنه واقع في جبل مرتفع أظنه قال في غار من الجبل، ولذلك احتفظ بالكتابة هذه المدة الطويلة.

قال: وهناك مسجد كان موجوداً قبل دخول الأتراك إلى هذه البلاد، ولكن طريقنا لا يمر به. كذا قال، والأمر يحتاج إلى بحث وتمحيص، وليس بالمستغرب أن يوجد في البلاد مسلمون أفراداً أو جماعات صغيرة، لأن متاجرة البلدان الإسلامية حتى مع القسطنطينية التي هي إسطنبول كانت موجودة قبل فتحها على يد السلطان محمد الفاتح.

قرية كالشته:

مر الطريق بقرية اسمها (كالشته)، ومعنى اسمها: الصخرة الكبيرة، وهي صغيرة ذكروا أنها مؤلفة من عشرين بيتاً، كلهم مسلمون ولها مسجد ذو منارة متواضعة رأيناها من الطريق ولم نقف عندها.

وتعتمد هذه القرية وما حولها في الاقتصاد على الزراعة وتربية الماشية بخلاف منطقة البوماك التي نحن ذاهبون إليها أو أكثرها، فإن اقتصادها يقوم على التعدين، إذ يعمل المسلمون فيها في استخراج المعادن منها، وهم أغنى من هؤلاء الذين يعتمدون على الزراعة كما أخبرنا الإخوة المرافقون.

عند البقرة الصفراء:

وهذه ترجمة لاسم مكان وقفنا فيه، اسمه بلغتهم: (بوي لاند)،

ومعناه: البقرة الصفراء، وهو مكان عالٍ يشرف على المنطقة إلى مسافات بعيدة، ووجدنا فيه شجرة ذات ثمر يشبه النبق الذي هو ثمر السدر، قال: إن القوم هنا يصنعون منه نوعاً من الشاي، وذكر أن الأطباء يقولون: إن فيه مقداراً من فيتامين (س) أكثر مما في الليمون.

والمنظر عجيب فهو ربى عالية تلفها الغابات، وبعدها ربى أخرى مثلها بعيدة.

ولم نطل الوقوف في (البقرة الصفراء) - إن صح التعبير - بل استأنفنا السير بعد أن التقطنا صوراً لهذا المنظر الجميل، فمررنا ببلدة اسمها (آرتينو)، سكانها (١٢) ألف نسمة، ورئيس بلديتها مسلم، وذلك أن سكانها جميعهم من المسلمين إلا عشر أسر من المسيحيين، ورئيس البلدية مسلم تركي، ونائبه مسلم من البوماك.

لم نقف في بلدة (آرتينو) لأن مسجدها لا يحتاج إلى شيء، بل مكتمل.

والبلدة نظيفة مثل سائر قرى المسلمين التي تتسم بالنظافة وحسن المظهر، ويعتمد اقتصاد هذه البلدة على الزراعة، ففيها معمل واحد للجبن، وان كانت لا تخلو من الصناعة إذ فيها مصانع للقماش، ولكن أكثرية أهلها يشتغلون في الزراعة، وذكر لنا أن من بين مزروعاتهم الطباق، وأن هذا الذي يزرع فيه يتميز عالمياً بكثرة الطلب عليه.

ومررنا بجبل فيه معدن للزنك كان الألمان قد ابتدؤوا تعدين الزنك فيه قبل (٦٠) سنة، وقد ذهبوا ولم يبق منهم احد هنا في الوقت الحاضر.

وقد وصلنا إلى منطقة جبلية ظللنا نسير فيها فترة وهي جبال تكسوها الغابات، وتكاد البيوت الريفية تختفي بين أشجارها، وهي منطقة إسلامية بغالبية سكانها، ومع ذلك ذكروا أن أهم المزروعات فيها هي الطباق الذي هو الدخان، وأنه يصدر للخارج لغلاء ثمنه فيه.

منطقة البوماك:

المنطقة التي تحد بلاد البوماك المسلمين والأتراك المسلمين في بلغاريا

يكره أكثرنا أن يذكر شيئاً يدل على التفريق بين المسلمين على أساس العرق أو اللون أو اللغة، أما اللون فإنه لا فرق، وأما العرق واللغة فإنهما موجودان، إذ يتألف المسلمون البلغار من طائفتين رئيستين هما: الترك والبوماك، فالترك يتكلمون اللغة التركية، ويعتقدون كما يعتقد الناس هنا أنهم أتراك جاؤوا إلى هذه البلاد أثناء الحكم التركي - كما سبق - وإن كان الصحيح أن بعضهم هم من أهل البلاد الذين دخلوا في

الإسلام واتخذوا التركية لغة لهم، لكونهم عرفوا الدين الإسلامي على أيدي الأتراك. أما البوماك فإنهم يتكلمون اللغة البلغارية، وبهذا يتميزون تميزاً ظاهراً على الأتراك، وإن كانوا يكرهون ما يشعر بالتفرقة بين المسلمين، لأن الدين الإسلامي يجمع بين الطرفين.

أما نحن فإننا نذكر هنا ما شاهدناه لننقله إلى القارئ الكريم.

فقد هبطنا وادياً ذكر الإخوة المرافقون أنه يفصل بين المنطقة التي يسكنها المسلمون الأتراك وبين المنطقة التي يسكنها المسلمون البوماك، بحيث انتهت عنده حدود سكن الأتراك وابتدأت منه حدود المنطقة التي يسكنها البوماك، وليس معنى ذلك أن القوم لا يساكن بعضهم بعضاً، ولا أن المنطقة خالية من غير سكن، وإنما المقصود أكثرية سكانها.

وأول قرية دخلناها من قرى البوماك اسمها (بل أيزور).

وقال الدكتور نديم غنجيف معلقاً على دخولنا منطقة البوماك: كلهم إسلام، يريد أن الطرفين كلاهما مسلم.

ثم انحدرنا مع وادٍ يجري فيه نهر (آردا)، وهو الذي رأيناه عند قرزل ينحدر إليها من عند هذه المنطقة الجبلية، وقد أقاموا عليه جسراً رديئاً.

ثم اعترضنا جبل لم يستطع الطريق أن يبتعد عنه، فلجأ إلى سفح ضيق فيه، وصار يماشي نهر (آردا) الذي يجري في بطن الوادي، وقد ظل الطريق بين جبلين يكادان يلتقيان، وليس في الوادي متسع لأية عمارة إلاّ نهر (آردا) الذي يسرع في الجريان في هذه المنطقة، والطريق الذي يسير على قدم الجبل.

قرية لاسكا :

مررنا بقرية مسلمة للبوماك، أكثر ما فيها ظهوراً مسجدها الذي بنوه في مكان بارز فوق القرية التي تقع على سفح جبل بمنارته الشامخة التي ترى على البعد ناصعة البياض، مثلما أن الدين الإسلامي دين الطهر والنقاء.

ولاحظت أننا منذ دخلنا منطقة البوماك أصبحت البيوت أحسن مظهراً وأفضل بنياناً، وقد بادرني الدكتور نديم غنجيف قبل أن أذكر له هذا الأمر بقوله: انظر إلى بيوتهم، إنها أحسن من بيوت القرى التي سبقتها، لأنهم هنا يعملون في التعدين، وأولئك يعملون في الزراعة، وفرق بين العملين في الدخل.

مسجد قرية بوينه في بلغاريا

وإلى جانب المظهر الجيد للبيوت، فإن مساحاتها تبدو أوسع أيضاً، والغريب أن أكثرها مكون من ثلاث طبقات، تكون الطبقة العليا منها

في العادة أصغر من اللتين تحتها.

وبعد أن تجاوزنا قرية (لاسكا) المسلمة سادت المنطقة غابات جبلية، ولا يزال نهر (آردا) يماشي الطريق حتى قطعناه من جسر فوقه يتجه منه طريق جهة الشمال.

هذه مادان:

وصلنا مدينة مادان بعد أن قطعنا مائة كيلو من مدينة (قرزلي) التي اسمها في اللغة التركية يعني التصفية، وأما (مادان) فإن اسمها عربي فصيح، لم يتغير منه إلا اختفاء العين منه لأنها حرف حلقي وحلول ألف محلها. فهو (مَعْدِن) الذي يعني المنجم من مناجم الأرض التي فيها المعادن.

هكذا نوه أهل البلدة والمرافقون من أهل بلغاريا، وقالوا: إننا نعرف ذلك من كون كلمة (مادان) بمعنى معدن مستعملة في لغتنا، ونعرف أنها دخلت من العربية، لأن في لغتنا معنى غير ذلك لكلمة (مادان).

وقالوا: وسبب التسمية ظاهر من كونها عاصمة التعدين في هذه المنطقة، ويرى المرء منها آثار استخراج المعادن من الجبال الخضر.

قبل الدخول إليها اعترضنا لأول مرة شرطيان، وتكلما مع الدكتور نديم غنجيف لأنه الذي يسوق بنا سيارته بنفسه وبعدها السيارة الثانية التي معنا، قال: أخبرتهم أننا في زيارة لهذه المدينة سنغادر بعدها هذا اليوم فتركوه يدخل دون أن يطلبوا منه الاطلاع على أوراق السيارة أو الأوراق التي تثبت شخصيته.

وقد أخبروني بعد ذلك أن سبب وجود هذين الشرطيين أن هذه

المنطقة هي منطقة حدود مع اليونان، إذْ لا تبعد الحدود اليونانية عن مدينة (مادان) إلا بـ (٢٠) كيلاً.

كان دخولنا المدينة في الثانية وعشر دقائق، فسلكنا الشارع الرئيسي فيها الذي هو امتداد للطريق الذي قدمنا منه، وهو شارع واسع جيد قد جملوه بغرس أشجار عليه صارت خضراء وارفة الظلال، مع أنه كالمدينة واقع في وادٍ ضيق، وإن لم يكن بالغ الضيق، بين جبلين عاليين.

قبل أن نتوغل كثيراً في المدينة رأينا مسجدها على البعد شامخاً، هو أكثر أبنية القرية ظهوراً وتميزاً في المنظر لاسيما مع قبة له كبيرة عالية، ويكفي أن نعرف أن ارتفاع القبة من أرض المسجد التي هي الطابق الأرضي (٣٧) متراً. وقد اختاروا له موقعاً مرتفعاً مشرفاً جعله رائع المظهر سامقاً في السماء، ومارأيت مثل أهل هذه المنطقة في الحرص على بناء المساجد في أماكن مرتفعة، بحيث تُرى من مسافات بعيدة، وتكون ظاهرة لمن يزور المنطقة من عدة جهات.

حشد من المستقبلين:

وجدنا عند باب المسجد حشداً من المستقبلين من الإخوة المسلمين، فيهم مفتو المناطق المجاورة وأئمة المساجد فيها، وفيهم رئيس جمعية المسجد الأخ المجاهد في سبيل الله (شوكت حليم منسكي)الذي قام على بناء هذا الجامع العظيم.

لقد سلم علينا هذا الأخ الكريم وبكى عند اللقاء، لأنه تذكر وصوله إلى مكة المكرمة وأداء فريضة الحج في العام الماضي ضيفاً على

رابطة العالم الإسلامي.

دخلنا معهم إلى المسجد الجامع الذي انتهوا من بناء هيكله الخرساني ومنارته، وهيأوا فيه مكاناً للصلاة رغم كونه لم يكمل، إلا أن مرافق تابعة له قد اكتملت مثل مكاتب الإدارة التي سيأتي ذكرها، وهي في مكان ملاصق له.

عندما دخلنا المسجد ورأينا من الداخل قبته الشامخة تبين أن منظره من الداخل ليس أدنى من منظره من الخارج، فقبته ترتفع (٣٥) متراً، ومنارته تنتصب (٤٥) متراً. ولا يتصور المرء منا الذي رأى دولته تضطلع بالمشاريع الإسلامية الضخمة إلا أن هذا المسجد قد بنته دولة، إذْ لا يتصور أن يقوى الأفراد على بنائه، وقبته الشامخة على غرار القباب التركية في المساجد، إلا أنها تحملها أعمدة ظاهرة، والمسجد ليس فيه أعمدة غيرها، وهي دائرة بدوران القبة، ومع ذلك ذكروا لنا أنهم لم يتلقوا مساعدة على بنائه إلا من رابطة العالم الإسلامي.

وفي المسجد طابق أرضي ينزل إليه بدرج واسع، وفي هذا الطابق سيكون مطعم ضخم يقدم الطعام الحلال للمسلمين وغيرهم على أساس تجاري متسامح يذهب دخله إلى جمعية المسجد.

وذكروا لنا عجباً من أمرهم وهو أنهم سيجعلون فيه غرفاً للنوم يخصصونها لأولاد المسلمين الذين يأتون من القرى للمدينة للدراسة في الكليات والمعاهد الحكومية وغيرها، حتى يعيشوا قريباً من المسجد، بحيث لا يفتقدون الجو الإسلامي، ولا تؤثر عليهم السكنى عند غير المسلمين.

وهذا أمر لم نسمع به عند غيرهم من أهل أوروبا، كما ستكون فيه مدرسة لتعليم الكبار، وهو واسع يكفي لذلك كله. أما المدرسة الرئيسية التي سيتعلم فيها الأطفال فإنها في مبنى ملاصق للمسجد خارجة عن المصلى، ومن الطابق الأرضي الذي هو مرتفع عن أرض الشارع العام، لأن موقع المسجد- كما قلت - في مكان مرتفع. صعدنا إلى طابق ثانٍ فوق المصلى الرئيسي يعتبر الثالث بالنسبة إلى الطابق الأرضي.

وهذا الطابق أشبه ما يكون بالرواق أو الشرفة الدائرة بدوران المسجد ما عدا وسطه الذي يغطيه وسط القبة، وفي جانب منه مصلى واسع للنساء.

ثم نزلنا إلى الطابق الأول حيث خرجنا منه إلى مبنى ملحق بالمسجد فيه غرف الإدارة، وفيه غرفة استقبال مؤثثة بأثاث ممتاز، وهي واسعة نظيفة حتى يخيل إليك أنها غرفة استقبال في فندق من فنادق الدرجة الأولى، بجانبها فصول عديدة للدراسة هي المدرسة التي ستكون للصغار، وهي مؤثثة بالمقاعد الدراسية، والفصول مبنية على الطراز الحديث الذي يراعي التهوية والإنارة الكافية للطلاب.

وهناك غرفة كبيرة أسموها غرفة الضيوف فيها مائدة للطعام.

غداء المجتهدين:

والمجتهدون هنا هم الذين أعدوا الغداء، وهم جمعية المسجد، وليسوا الذين أكلوا الطعام الذين هم نحن، ونحن لا ننأى بأنفسنا عن أن نكون مجتهدين في الدين، ولكننا نحقر أنفسنا عندما نقارن بين عملنا الذي

تتوافر فيه الإمكانات الكثيرة وبين عملهم الذي لا يتوافر له إلا اجتهادهم وإخلاصهم.

في الساعة الرابعة تماماً كنا ندخل قاعة الضيوف في هذا المبنى الملحق بالجامع، وهو على جزء من أرضه ومبني من النفقة التي تنفق عليه، فوجدنا الإخوة من أهل المسجد قد أعدوا مائدة طويلة قد وضعت فوقها بعض الصحون، ثم جاؤوا بعد ذلك ببقية الطعام، وهو مؤلف من الفاصولياء الناشفة التي يستعملونها هنا بكثرة، والخبز والكباب، ونوع آخر من الشواء، وسلطة من الخيار والطماطم الذي يزرعونه وهو لذيذ الطعم جيد، ومع ذلك جبن أبيض من الجبن البلغاري الشهير، وأما المشروبات فإنها الغازية التي منها الماء المعدني، وشراب الفاكهة، وبعد ذلك القهوة والشاي.

لقد أكلنا هنيئاً مع هؤلاء الإخوة الكرام، وتحدثنا معهم في أوضاعهم في المنطقة، وبخاصة فيما يتعلق بأمور دينهم، وهو الأمر الذي نحرص على استيضاحه واستجلاء ما لا نعرفه مما يتعلق به.

المسلمون في مادان:

يؤلف المسلمون في مادان وما حولها الأكثرية من بين السكان، إذ يبلغ عددهم حسب الإحصاءات الرسمية (١٢) ألف نسمة يؤلفون ثلثي السكان، ويؤلف غير المسلمين (٨) آلاف نسمة، ولهم في مادان التي يسمونها محافظة مادان حيث تشمل المدينة وما قرب منها من ضواحٍ (٨) مساجد، (٣) منها في مادان نفسها.

ويعتبر هذا المسجد الجامع الذي يبنونه الآن أكبر مسجد في المنطقة، ويأملون بأن يصبح مركزاً إسلامياً مؤثراً في هذه المنطقة من بلغاريا التي تقترب من حدود اليونان، ويسكنها البوماك المسلمون الذين تتألف الأكثرية المسلمة من سكان (مادان) منهم.

ويبدو الفرق واضحاً ما بينهم وبين الإخوة المسلمين في بلغاريا الذين زرنا مناطقهم في مرة سابقة، وذكرتها في كتاب ((كنت في بلغاريا)) بأن هؤلاء البوماك يتكلمون اللغة البلغارية، على حين يتكلم أولئك اللغة التركية.

وفي هذه القاعة التي تناولنا فيها الطعام قدم لهم رفيقنا وزميلنا في الرحلة إلى بلغاريا اللواء المتقاعد (كمال سراج الدين المرغلاني) ثمانية آلاف دولار أمريكي، كان أحضرها معه للمساعدة على إنهاء أعمال الطلاء للمسجد وما بقي من إكماله، وكان أوصل إليهم في السابق مساعدة كنا قررناها في رابطة العالم الإسلامي وهي (٢٥) ألف دولار أمريكي كانت هي المساعدة المالية الرئيسية والوحيدة التي تسلموها -كما قالوا- من خارج البلاد.

واللواء كمال سراج الدين هو عضو مجلس الشورى في المملكة العربية السعودية، ومتعاون مع الرابطة محتسباً في ذلك الأجر من الله.

وقد أعلنت لهم بهذه المناسبة أن رابطة العالم الإسلامي مستعدة لتقديم فراش المسجد بعد انتهاء العمل فيه، وقد اقترحت عليهم أن يقيموا حفلاً واسعاً لافتتاح المسجد يدعون إليه عدداً من الإخوة المسلمين في العالم، وبخاصة من الأثرياء المهتمين بالعمل الإسلامي في بلادنا، وفي

أقطار الخليج العربي حتى يطلعوا على عملهم وعلى حاجة المسلمين غيرهم إلى المساعدة، ونحن مستعدون لإرسال قائمة بهؤلاء الإخوة إليهم إذا طلبوها.

كما أعطينا المفتين وأئمة المساجد الذين حضروا الاجتماع هدايا شخصية بصفة سرية تشجيعاً لهم على العمل الإسلامي، وتقوية للصلة ما بينهم وبين الرابطة.

بلدة تيرن:

ودعنا الإخوة الكرام النشطين، بل المجاهدين في سبيل الله إن شاء الله من أهل مادان وما جاورها في الساعة الخامسة عصراً، وانطلقنا إلى مدينة أخرى، فكانت أولى الوقفات في مكان يشرف على مدينة جميلة المنظر لكونها تقع على كتف جبل أخضر، وتنتصب منارة الجامع فيها عالية في السماء، وهي أعلى مكان فيها على الإطلاق.

وقد أعجبني منظرها عندما أقبلنا عليها ورأيناها كذلك، فأوقفت الموكب لالتقاط صورة لها وصورة تذكارية أخرى للرفقة تظهر فيها المدينة لكوننا لن نقف فيها لأن مسجدها مكتمل ولا داعي للوقوف فيها، وقد حضر إمام المسلمين فيها، وكذلك رئيس جمعية المسجد إلى (مادان) وقابلناهما مع من قابلناهم من كبار المسلمين هناك.

ويبلغ عدد سكان (تيرن) خمسة آلاف نسمة كلهم مسلمون.

مسجد بلا منارة :

المنارة أو المنار كما كانت تسمى في العصور الإسلامية القديمة أمر حادث لم يكن معروفاً في المساجد في صدر الإسلام، ففي عهد الرسول ﷺ كان بلال يؤذن على أعلى دار قرب المسجد النبوي، حتى اعتبر بعض الناس وجود المنار في المسجد بدعة محدثة، ولكن وجودها الآن صار أمراً مطلوباً، إذْ به يتميز المسجد عن غيره من الأبنية والمعابد، وصارت مع القبة ذات الهندسة الإسلامية المميزة شعاراً من شعار المسلمين، ودليلاً على وجودهم في المنطقة، ولذلك صرنا مثل غيرنا نحث المسلمين، وبخاصة في بلاد الأقليات المسلمة، على الحرص على بناء المنارة للمسجد حتى يعرف بوجودهم المسلمون وغيرهم.

وقد حدثني جماعة من المسلمين الذين يسكنون في مناطق ساحلية، ومنهم على سبيل المثال أعضاء الجمعية الإسلامية في مدينة (باراناقوا) البرازيلية الواقعة على ساحل المحيط الأطلسي بأنهم عندما بنوا منارة المسجد، وصارت ترى من عرض البحر كثر عندهم المصلون من العاملين في السفن والبواخر التي تعبر المنطقة، أو التي تأتي للبرازيل وتنطلق منها مما لم يكونوا يظنونه من قبل. قالوا: وقد أخبرنا الإخوة المسلمون العاملون في السفن أنهم عندما شاهدوا منارة المسجد عرفوا بوجوده، وبالتالي حضروا للصلاة فيه، ومثل ذلك قاله لنا إخواننا في جزيرة كورساو الواقعة في البحر الكاريبي إلى الشمال من فنزويلا، وكانوا بنوا مسجدهم على تلة عالية لا يفصل بينه وبين البحر فاصل إلا طريق للسيارات. قالوا: فكان المسلمون الذين يعملون على السفن والبواخر يأتون للصلاة للمسجد، ونحن

نعرف ولا ندري كيف عرفوا بوجود المسجد فيها، إلا أنهم يذكرون أن رؤية المنارة دلتهم على وجود المسجد. ذكرت هذا اليوم لأننا مررنا بعد بلدة (تيرن) بقرية قريبة منها لم نرَ فيها منارة، وذكر لنا الدكتور نديم غنجيف بأن أهلها مسلمون، فسألته: لماذا لا يوجد فيها مسجد! فأجاب: إن فيها مسجداً، ولكنه بدون منارة.

واصلنا السير فيما يشبه الوادي بين جبال خضر غير عالية تركب القرى أكتافها وتنحدر إلى أكنافها حينما يتسع الوادي فيصبح صالحاً لذلك.

المؤلف في الطريق بين مادن وسموليان في بلغاريا

وأجمل ما في النظر هنا منظر الأشجار التي صهرتها الريح الخريفية الباردة، فأحالت لونها الأخضر إلى حمراء وصفراء، أو إلى لون فيه الحمرة والصفرة ممتزجين، وذلك في أطراف الأغصان وأعاليها المعرضة للريح، أما بواطن الأشجار وهي معظمها فإن الأوراق فيها لا تزال خضراء لم تجهز

عليها ريح الخريف بعد.

مدينة سموليان:

بعد سير طويل في الوادي الضيق الأخضر مررنا خلاله على عدة تجمعات للمنازل، وصلنا مدينة مهمة هنا اسمها (سموليان)، وهي عاصمة محافظة بهذا الاسم (سموليان).

ذكروا أن اسمها مأخوذ من مادة اسمها (سموليان) يستخرجونها من شجرة تنبت عندهم يقولون لها: (تشام).

وجدنا مفتي (سموليان) الشيخ عارف قرا إبراهيم قد سبقنا إلى البلدة، وكان معنا في (مادن)، ومع أن الشيخ هو مفتي سموليان فإن تخصصه هو مهندس بناء، ولم يكن تدريس العلوم الإسلامية مسموحاً به في زمن الحكم الشيوعي، ولكنه درس على أبيه، وكان جده حافظاً للقرآن، كما كان في الاستقبال الأخ الحاج (حسن بكري) رئيس الجماعة الإسلامية.

وقفنا عند مسجدها وكان قد خرب في زمن الشيوعيين، وهم يعيدون الآن بناءه، وقد أنجزوا بناء الطابق الأول الذي جعلوا أسفله طابقاً أرضياً ليكون مدرسة لأبناء المسلمين.

وبناؤه قوي بالإسمنت المسلح تتولاه شركة محلية للبناء.

وقد فرغوا من بناء أصل المنارة.

وقد ساعدهم مرافقنا اللواء المتقاعد كمال سراج الدين بمبلغ جيد،

كما أعطاهم الآن (٣٥٠٠) دولار، ويقول بتواضعه المعروف: إن هذه النقود قد جمعها من الإخوة المتبرعين لهذا الغرض، وقد وعدتهم بتقديم مساعدة من رابطة العالم الإسلامي إذا أنفقوا هذا المبلغ مع ما لديهم من التبرعات المحلية. وتلقينا تقريراً من دار الفتوى البلغارية والمجلس الإسلامي البلغاري بذلك. لأن المسجد يحتاج إلى نفقة كبيرة وبخاصة أنهم يريدون أن يهدموا غرفاً قديمة البناء ملحقة بالمسجد ويعيدوا بناءها لتكون تابعة له.

وأرضه واسعة تبلغ مساحتها (٢٧٠٠) متر مع أنها أرض غير مستوية شأن أكثر الأراضي في البلدة التي تعتبر بلدة جبلية لأنها واقعة في وادٍ بين الجبال كما قدمت.

المسلمون في سموليان:

جلسنا فترة في مكتب مفتي سموليان من أجل إعطائه النقود، والمذاكرة في شؤون المسلمين في هذه المنطقة.

وكان معنا الأخ الشيخ (بصري محمود) مفتي بلغاريا الذي كان قد حضر إلى مطار إسطنبول لاستقبالنا، ورافقنا في جميع الرحلة، كما كان معنا الشيخ الدكتور نديم غنجيف الذي كان مفتي بلغاريا من قبل، وهو الآن رئيس المجلس الروحي للمسلمين في بلغاريا، والأخ حسن بكري إلى جانب الأخ الشيخ (عارف قرا إبراهيم)، فذكروا جميعاً أن سكان مدينة سموليان يبلغ عددهم (٨٠) ألف نسمة، (٣٠) ألفاً منهم من المسلمين، وأكثرهم من البوماك.

وذكروا أن المنطقة فيها مسلمون كثير، غير أن (سموليان) فيها

كثير من غير المسلمين، لأنها هي العاصمة لمحافظة (سموليان) لذلك كانت فيها جماعات قادمة إليها من خارج المنطقة.

وذلك بخلاف ضواحي المدينة، فإن نسبة المسلمين فيها أكثر من ذلك، وفي القرى مساجد.

ومن الحقائق التاريخية التي ينبغي أن تعرف عن الواقع الإسلامي في مدينة (سموليان) هذه أنها كانت فيها دار للإفتاء مستقلة عن دار الفتوى التي في العاصمة صوفيا، واسمها (دار إفتاء بلغار محمدان) هكذا أسمتها الحكومات المتعاقبة بهذا الاسم، لأنهم كانوا يقصرون اسم المسلمين البلغاريين على البوماك المسلمين الذين يتكلمون اللغة البلغارية، بخلاف المسلمين الآخرين الذين يتكلمون التركية، فإنهم يسمونهم أتراكاً، ولذلك يسمون دار الإفتاء التي في صوفيا العاصمة يسمونها (دار الفتوى التركية) لكون المفتي فيها يكون من الأتراك، والمراجعون فيها من المسلمين الأتراك.

قالوا: وقد استمر استقلال دار الإفتاء هذه لمدة (٩٦) سنة، ولم تندمج مع دار الفتوى الواقعة في صوفيا إلا في عهد الدكتور نديم غنجيف الذي سعى إلى توحيد المسلمين. قال ولذلك أنا أكره نعت المسلمين هنا بالبوماك، وإن كان ذلك حقيقياً، لكونه يعيد إلى الذهن تفرق المسلمين على أساس قومي، مما يتنافى مع الأخوة الإسلامية.

ومما يذكر أن منطقة هذه المدينة مثل غيرها من بلاد المسلمين البوماك تقع قريبة من حدود اليونان مع بلغاريا.

تذكارية في مكتب الشيخ مفتي سموليان في بلغاريا وهو الجالس على الكرسي

إلى صوفيا:

في السادسة والنصف تركنا مدينة سموليان وقد غربت الشمس قبل فترة، وحل الظلام فكان في الوداع مفتي المحافظة وجماعة من الإخوة المسلمين الذين كانوا حضروا بعد وصولنا، وانطلقنا بسيارتينا إلى العاصمة مع منطقة جبلية لا نرى منها شيئاً لأن الظلام كان قد حل.

وكان سير السيارات بطيئاً لكون المنطقة جبلية وظلّ السير مدة طويلة مع طريق في واد يضيق حيناً ويتسع حيناً آخر.

بعد ساعة لم نقطع فيها إلا (٥٠) كيلو متراً أسهل الطريق، ولكن المشكلة كانت في ضباب غير كثيف خيم على المنطقة، فكانت السرعة معه خطرة بل مستحيلة.

وقالوا لنا: إن الضباب في هذه المنطقة أمر مألوف في الشتاء.

أما نحن فإننا لم نجد أية متعة في السير في هذا الظلام المضاعف لأننا لا نتبين الأشياء من حولنا.

وقد طال الطريق، وأظنهم قالوا إن المسافة من سموليان إلى العاصمة صوفيا تبلغ زهاء (٣٠٠) كيلو متر ، ولكننا لم نصل إلى صوفيا إلا في العاشرة والنصف.

عاصمة بلغاريا:

وصلنا العاصمة (صوفيا) وقصدنا فندق (نوفوتيل)، وهو فندق جيد أجرته (٩٥) دولاراً لليلة الواحدة.

وكانت إجراءات الدخول من تسجيل وغيره سهلة، لأن أهم ما يطلعون عليه ورقة تضعها سلطات الجوازات مع الجواز وهي موجودة معنا.

وكانت غرف الفندق هي غرف فنادق الدرجة الأولى ويتسم كل شيء فيه بالذوق الرفيع فإدارته فرنسية.

يوم الأربعاء: ١٤١٧/٦/٤ هـ - ١٩٩٦/١٠/١٦ م.

كان الإفطار في مطعم الفندق داخلاً في أجرة الغرفة على الطريقة المعتادة في الفنادق الجيدة، وهي طريقة المائدة المفتوحة التي لا تختلف إلا بكثرة الطعام وتنوعه، وليس في طعام الفندق من هذه الناحية ما يتميز به عن غيره، إلا أنهم ميزوه بأن اختاروا العاملات فيه من الشابات الجميلات اللاتي ألبسوهن لباساً خفيفاً خاصاً.

وبعد ذلك رسمنا برنامج البقاء القصير في صوفيا مختصراً يليق برحلتنا هذه التي لم نجعل فيها لغير المناطق التي لم يسبق أن رأيناها نصيباً. والعاصمة صوفيا هي من الأماكن التي تكررت زيارتي لها، وذكرت ذلك في كتاب: ((كنت في بلغاريا)) كما ذكرت الزيارة الأولى لها في كتاب: ((ذكريات من وراء الستار العقيدي)) ، وذلك لكوني زرتها إبان الحكم الشيوعي في عام ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م.

ويبلغ سكان صوفيا مليوناً و١٤١ ألفاً حسب إحصاء عام ١٩٩٠م، والمعتقد أن عددهم لا يختلف عن ذلك الآن، وتبلغ نسبة المسلمين بين سكانها ١٠ ٪، ينتسبون إلى قوميات مختلفة من أتراك وبوماك وغجر.

دار الإفتاء:

ذهبنا في العاشرة إلى المجلس الروحي الأعلى لمسلمي بلغاريا الذي يرأسه الدكتور نديم غنجيف، وذلك لزيارته وزيارة دار الإفتاء التي تقع في المبنى نفسه، وهو المبنى المعهود الذي كنا زرناها فيه قبل سنوات.

في المجلس الإسلامي كان معنا الدكتور نديم غنجيف الذي كان

هاتفه لا يكف عن الرنين، فلا يكاد يفرغ من مكالمة هاتفية حتى يبدأ بأخرى، وذلك من هاتف (جوّال) كان معه، ومن هاتف مكتبه الثابت. وقد عرفنا أن مرد بعض ذلك إلى كون الوقت الآن هو وقت انتخابات في بلغاريا إذْ تجري الانتخابات بعد أيام قلائل، والجميع يخطبون ودّ المسلمين ليصوّتوا إلى جانبهم، وذلك عن طريق الدكتور نديم غنجيف الذي قال لنا: إننا نقول لمن طلبوا منا أن نصوت لهم: إن لنا شرطاً وهو أن تعملوا على تحسين أوضاع المسلمين في البلاد.

تذكارية في دار الفتوى في صوفيا.

من اليمين: كمال سراج الدين، فالشيخ بصري المفتي العام لبلغاريا، فالمؤلف، فالدكتور نديم غنجيف، فالأستاذ رحمة الله بن عناية الله

وقد أرسلنا جوازاتنا إلى سفارة يوغسلافيا في صوفيا طالبين الحصول على سمة دخول إليها من أجل زيارة إخواننا المسلمين هناك،

وبخاصة في إقليم كوسوفا والسنجق، ولكن السفارة ذكرت أنها لا تستطيع ذلك إلا إذا رجعت إلى حكومة بلغراد وأذنت لها، ويحتاج الأمر إلى أسبوع، وقد علمت السفارة اليوغسلافية أننا سوف نسافر إلى مقدونيا، فنصحت أن نطلب السمة من سفارة يوغسلافيا في مقدونيا، ولكن تبين بعد ذلك أنها أرسلت إليها بخبرنا مما حرض سفارتهم في مقدونيا على عدم منح السمة لنا.

هذا وقد بحثنا كل ما يتعلق بالشؤون الإسلامية مما أردنا بحثه في دار الفتوى في المجلس الإسلامي البلغاري.

المعهد الإسلامي العالي:

يقع هذا المعهد في المبنى نفسه الذي تقع فيه دار الإفتاء العام ومقر المجلس الروحي الأعلى لمسلمي بلغاريا، وهو مبنى يتكون من ثلاثة أدوار في شارع براتيا ميلادينوفي BYATUA MILADINOVI؛ حيث يشغل المجلس الروحي الأعلى لمسلمي بلغاريا الذي يرأسه الدكتور نديم إبراهيم غنجيف الدور الأول، ودار الإفتاء العام التي يتولاها الشيخ بصري محمود حاجي شريف في الدور الثاني، ويعمل في الجهتين عشرة موظفين. ويقال إنهم يملكون الدور الأول فقط، وإنهم يرغبون شراء الدور الأرضي والدور الثاني حتى يمتلكوا كامل المبنى، ويقال: إن الدورين يكلف شراؤهما نحو (٧٠) ألف دولار.

المعهد الإسلامي العالي ويقع ملاصقاً لدار الإفتاء، والدراسة فيه ثلاث سنوات بعد الثانوية، ويدرس فيه (٩٠) طالباً، ويعمل فيه (١٤)

مدرساً، وثلاثة إداريين، وقد بدأت الدراسة في أكتوبر ١٩٩٠م، ولقي دعماً من رابطة العالم الإسلامي وهيئة الإغاثة الإسلامية العالمية وجمعية اقرأ الخيرية، كما أن البنك الإسلامي للتنمية وعد بالمساعدة لإيجاد مبنى مستقل له.

جامع رأس الحمّام:

خرجنا من المعهد الإسلامي العالي، وفي ذهني أسىً على ما رأيته من حاجة الإخوة المسلمين إلى تدعيمه، وجعله منارة لطلبة العلم في هذه البلاد، وكونهم لم يستطيعوا ذلك رغم ما رأيته من إقبال الطلبة ووجود الطالبات المتسترات اللاتي يبين عليهن التدين والجد في تحصيل العلم الديني، وذهبنا سيراً على الأقدام إلى جامع رأس الحمام الذي يعرف الآن باسم (جامع صوفيا) لأنه الجامع الوحيد المفتوح فيها للصلاة في الوقت الحاضر.

وكان يعرف قديماً باسم (مسجد سيف الله أفندي)، أما أهل البلاد فلا يزال يسمونه مسجد بانيو باشي بمعنى: مسجد رأس الحمّام - بتشديد الميم -.

وهو قديم البناء، كان بناؤه في عام ١٥٥٨م، ويقع في قلب مدينة صوفيا الفاخر النفيس. ورأيتهم قد أحدثوا فيه محلات للوضوء كنا تبرعنا للمسجد بمبلغ من المال لهذا الغرض، فأنفقوه عليها وجددوها مما كان مبعث ارتياحي.

ولا يزال الجامع بحاجة الآن إلى سور يحيط بأرض تابعة له، تحاول البلدية أن تجعلها توّسعة للرصيف لكونها خارجة عنه، وقالوا: إنهم الآن لا

يخشون من اعتداء البلدية على هذه الأرض، ولكنها صارت مكاناً للباعة المتجولين، وإنهم يحتاجونها للصلاة في أيام العيدين حيث يمتلئ بالمصلين.

عندما دخلنا للمسجد قبيل أذان الظهر وجدنا إمام المسجد يتلو القرآن، والناس يتقاطرون على المسجد بأعداد لم اكن أظن أنها تكون بهذه الكثرة، وأذن المؤذن فأوقف القراءة، وجعل الناس يتنفلون أربع ركعات في تسليمتين، ثم أقام المؤذن الصلاة، وبعد الصلاة تنفلوا أيضاً مع دعاء وتسبيح معتاد عندهم.

ولم نشاركهم فيه لأننا بادرنا إلى صلاة العصر جمعاً بعد صلاة الظهر لكوننا مسافرين.

وقد حضر صلاة الظهر معنا صف ونصف من المصلين، أقدر عددهم في حدود أربعين، غالبهم من الجنس الأبيض من الأتراك ومسلمي البلاد، وفيهم من العرب، واثنان من الأفارقة أحدهما من مالي.

لن أتحدث هنا عن حالة المساجد في صوفيا لأنني تحدثت عن ذلك في كتاب: « كنت في بلغاريا »، وإنما أقول: إننا خرجنا من المسجد سيراً على الأقدام في تمشية على الأسواق التجارية القريبة منه، فاشترى بعضنا منها شيئاً.

مطعم الفردوس:

ذهبنا سيراً على الأقدام إلى مطعم راقٍ فتح بعد زيارتنا الأولى، واسمه مطعم (براديس) بمعنى مطعم الفردوس، وصاحبه عربي لبناني، ويعتبر من المطاعم الراقية في صوفيا، يأتي إليه القادرون من أماكن بعيدة، وقد

كتبوا اسمه عليه بالعربية إلى جانب البلغارية، وجدناه واسعاً نظيفاً، وقدم طعاماً فاخراً متنوعاً كان من أهم ما فيه مما لا يوجد في غيره من المطاعم: المقبلات اللبنانية المتنوعة من الحمص والمتبل والتبولة، وأحضر من جميع أنواع الطعام الذي يطبخه إلينا نحن الذين كان عددنا مع المرافقين سبعة، فكان من ذلك الشواء الفاخر نوعان، من السمك والإربيان (الجمبري باللهجة المصرية)، حتى الكبة النيئة، وهي اللحم المفروم الذي يؤكل من دون طبخ أو شيّ.

كما أن الخضرات كانت متنوعة، وذلك كله بـ ٦٨ دولاراً أمريكياً لسبعة أشخاص، ورأيت الطاعمين فيه من علية القوم ومن الغرباء الأثرياء.

وهكذا رأيت في هذا المطعم اللبناني المسمى بالعربي، وهو كذلك، ما رأيته في المطاعم اللبنانية في أمريكا الجنوبية، وبخاصة في البرازيل وفي قارة أستراليا، وتعرف هناك أيضاً بالمطاعم العربية، وهي من أفخر المطاعم عندهم، ولذلك لا يرتادها إلا القادرون.

في رئاسة الوزراء:

أخبرنا الدكتور نديم غنجيف أنه وضع في برنامج زيارتنا لبلغاريا زيارة مجلس الوزراء البلغاري، والاجتماع بنائب رئيس مجلس الوزراء الدكتور (سبتوسلاف شيفاروف)، وهو المكلف بشؤون الأديان في الحكومة، وقال: أردت من ذلك أن يجتمع بكم، ويعرف ما عندكم حول العلاقات الثقافية مع الآخرين، ليعرف أن العلاقات ما بين رابطة العالم

الإسلامي ومسلمي هذه البلاد هي علاقات ثقافية خالصة، لا تعني التعصب للمسلمين دون غيرهم، ولا تعني التدخل في شؤون البلاد الداخلية، لأن هذا هو ما يشيعه أعداء الإسلام في هذه البلاد، بغية عزلنا نحن المسلمين عن الإخوة المسلمين في الخارج، وبالتالي إضعافنا بحرماننا من المعونة التي قد تأتينا منكم أو من غيركم، وذكر أن الدكتور (شيفاروف) هذا أهم الشخصيات في الحزب الحاكم، ومن أهم الشخصيات السياسية في البلاد، وأنه أظهر موقفاً ودياً من المسلمين يتلخص في العمل على مساواتهم بالمواطنين الآخرين، وهذا ما كانوا يفتقدونه في السابق.

أثناء المباحثات مع نائب رئيس وزراء بلغاريا في مكتبه، وهو الأول من اليسار في مقابلتي في الاجتماع

. ذهبنا إلى مقر رئاسة مجلس الوزراء حيث يقع مكتب الدكتور (شيفاروف) وذلك على ميدان مهم، بل هو أهم الميادين في العاصمة، واسمه ميدان (أندوكوف) على اسم جنرال روسي كان قد اشتهر إبان الحرب التي نشبت بين روسيا وتركيا، وفي ذلك الوقت، وربما لا يزال شيء منه

حتى الآن. كانت بلغاريا تعتبر روسيا بمثابة الشقيقة الكبرى لبلغاريا، وبخاصة فيما يتعلق بالعلاقات بل والحروب مع تركيا، لأن روسيا وبلغاريا تشتركان في الأصل السلافي الشرقي، وهما تشتركان أيضاً في المذهب المسيحي، إذ كلاهما تعتنق الأرثوذكسية، وحتى الأبجدية السلافية هي مشتركة بينهما.

ويقع مكتب رئاسة الوزراء مقابلاً مكتب رئيس الجمهورية الواقع على الميدان نفسه، وكان يقع عليه أيضاً مكتب الحزب الشيوعي الذي كان يحكم بلغاريا قبل انهيار الشيوعية.

وشيء حزين بالنسبة لنا، وهو أنه يقع على ركن من هذا الميدان الجامع الكبير الذي كان يسمى (بيوك جامع) بهذا المعنى زمن الحكم التركي، وكان من أهم الجوامع في صوفيا، وقد صادره البلغاريون وكسروا منارته قبل الحكم الشيوعي، من أجل محو المظهر الذي يدل على أنه مسجد ويستعمل الآن متحفاً.

حضرنا إلى المكتب في الرابعة والنصف، فوجدنا في استقبالنا بعض الموظفين ورجالاً من كبار رجال الأديان، منهم (ديمتري شانتوف) مستشار نائب رئيس مجلس الوزراء للشؤون السياسية الخارجية وعضو حزب الفلاحين، وعدداً من موظفي المراسم.

جلسنا في قاعة اجتماع في مكتب نائب رئيس الوزراء.

وقد تأخر عن الموعد المحدد للقاء، فذكر المستشار (شانتوف) أن السبب أنه في خارج العاصمة في اجتماعات انتخابية، وأنه لاشك أنه لم يستطع الحضور في الموعد المحدد بسبب السير في الطريق.

والمستشار (شانتوف) يعرف شيئاً من العربية تعلمه خلال عمله في سوريا.

وفي الرابعة والربع حضر نائب رئيس مجلس الوزراء الدكتور (سبتو سلاف شيفاروف) وهو يلهث ويعتذر ويكرر اعتذاره عن التخلف عن الموعد لسبب قهري هو أنه كان في اجتماع في مدينة مرتانا ، وتبعد عن العاصمة ٢٠٠ كيلو متر، وقد حضر الاجتماع رؤساء البلديات ورجال الإدارة.

كان الرجل طويلاً إلى النحافة ما هو، وبدا وديَّ الحديث والمظهر سياسياً محنكاً رزيناً لا أثر للانفعال أو الحماس على تصرفاته أو كلامه.

تذكارية مع نائب رئيس الوزراء في بلغاريا في مكتبه، وهو الثاني من جهة اليسار، على يمينه كمال سراج الدين، وعلى يساره المؤلف

رحب بنا ترحيباً حاراً بكلمات موزونة منتقاة كما يفعل السياسي

المتمرس، وقال: أرجو أن تكونوا لقيتم من حسن الاستقبال ما يليق بكم، وبلادنا ترحب بكم، ونحن في عهدنا هذا لا نميز بين أحد من المواطنين البلغاريين على أساس الأصل أو الدين، وإنما جميع المواطنين سواسية أمام القانون.

وقد أجبته على كلمته بالشكر على تخصيص بعض وقته رغم مشاغله لمقابلتنا، وقلت له: إننا سررنا حينما أخبرنا أخونا الدكتور نديم غنجيف أننا سنقابلكم، ومما عرفناه منه ومن غيره من مقام لكم في النفوس كبير، ومن حسن سياسة في الشعب.

وقد تبادلنا الكلمات العديدة، واسترسل الرجل معي في الحديث، حتى إن المقابلة استمرت ساعة كاملة، وكان من المقرر ألا تزيد عن ثلث ساعة، ولكنه كان يستبقينا ويطلب المزيد من الحديث معنا.

هذا، وكان يتكلم بالبلغارية، وأنا أتكلم بالعربية، والمترجم بيننا هو الدكتور محمد ربيع سلامة، وهو أخ مصري أكمل تعليمه في بلغاريا، ومن ذلك شهادة الدكتوراه، وقد أثنى الدكتور نديم غنجيف على معرفته باليلغارية وجودة ترجمته.

وهذا ملخص لما دار من حديث:

أكدت له دور رابطة العالم الإسلامي في تدعيم التعاون الثقافي بين المسلمين بدون الاشتغال بالسياسة أو التدخل في الشؤون الداخلية لأي دولة، قلت: إن الإسلام هو ديننا، وهو منطلق ثقافتنا وحضارتنا، وإن أي توجه وموقف ودي وتقدير حكومي وشعبي نحو أي جماعة إسلامية نعتبر أنه موقف ودي نحونا. وأردفت قائلاً: لاحظنا أن هناك موقفاً جيداً تجاه

المدارس الإسلامية، كما أعيد للمسلمين كثير من الأوقاف الإسلامية، والمسلمون يقومون حالياً بممارسة دورهم الوطني على قدم المساواة مع إخوانهم المواطنين.

وقد أجابني نائب رئيس مجلس الوزراء المكلف بشؤون الأديان بالشكر والتقدير على كلامي، وأشار إلى ما يتمتع به المسلمون والمسيحيون من علاقات جيدة، وكذلك علاقاتهم الطيبة مع دولة بلغاريا التي لا تتدخل في شؤونهم، ولكنها تعمل على مساعدتهم؛ إذ لا بد من العودة إلى جذور الأديان، ولا يمكن أن يغفل دور الدين في حياة الإنسان الذي يحق له اختيار الدين الذي يريده.

وقال في حديثه: لا نريد أن نخوض في المشكلات والأخطاء التي وقعت سابقاً، ولكن حكومة بلغاريا تحاول إزالة آثارها السيئة، وبالعمل يمكن إثبات ذلك، ويمكن أن يؤدي الجميع الشعائر الدينية بدون أن يؤدي ذلك إلى التخاصم، ويمكن أن يعيش الجميع تحت الشمس بوئام، ولكن لا يوجد مكان تحتها للحروب الدينية.

ثم أشار في حديثه إلى الأزمة الاقتصادية التي تمر بها بلغاريا وما تبذله حكومته من جهود لمعالجتها، ورغبتها في تحسين علاقاتها التجارية والاقتصادية مع الدول الإسلامية، وخاصة دول الخليج، ودعا إلى أن تصدر منظمة المؤتمر الإسلامي قراراً لرفع الحظر التجاري عن بلغاريا الذي فرض إبان الحكم الشيوعي في بلغاريا، مقترحاً أن توجه الدعوة إليه وإلى رئيس المجلس الروحي الأعلى لمسلمي بلغاريا لزيارة منظمة المؤتمر الإسلامي لشرح الظروف الحالية للمسلمين في بلغاريا.

ثم اختتم حديثه بأن رئيس مجلس الوزراء البلغاري ليوبن بروف يعلم عن اجتماعه بوفد الرابطة، وسينقل إليه بعد الاجتماع ما دار من أحاديث طيبة.

الاجتماع بنائب رئيس وزراء بلغاريا في مكتبه

وقد رددت عليه بالشكر على حديثه، وأن رغبته ستنقل إلى منظمة المؤتمر الإسلامي.

وأكد في ختام كلامه قائلاً: نريد أن نكون أصدقاء حتى في النواحي الروحية والثقافية والاجتماعية، وحتى في التجارة والأعمال، ونعمل معاً على تعميق علاقات الود والمحبة.

ملخص لعمل وفد الرابطة في بلغاريا

لقد بدأ وفد الرابطة برئاستي جولاته الاستطلاعية في البلقان بزيارة مسلمي بلغاريا، واجتمع إليهم وحظي بحفاوتهم، وكان محل تقديرهم في جميع المدن والقرى التي زارها، وبحث الوضع والعمل الإسلامي واحتياجه مع شخصياتهم، ومنهم:

١- الدكتور نديم إبراهيم غنجيف، رئيس المجلس الروحي الأعلى لمسلمي بلغاريا.

٢- حاجي بصري محمود حاجي شريف، مفتي عام مسلمي بلغاريا.

٣- حاجي صبري مصطفى، رئيس الجماعة الإسلامية في مدينة كرزلي.

٤- الأستاذ فائق حاجي مراد، مفتي محافظة خاصكوفو.

٥- الشيخ صلاح الدين علي، مفتي محافظة كرجالي.

٦- حاجي مؤمن شكري، مفتي محافظة بلو فيديف.

٧- الأستاذ رمضان شولاق، مدير إدارة الأوقاف في محافظة خاصكوفو.

٨- الأستاذ إيرول ذو القر، مدير إدارة المساجد في دار الإفتاء العام.

٩- الحاج عارف قرا إبراهيم، مفتي محافظة سمولیان.

١٠- الحاج علي أوزون، مفتي محافظة صوفيا.

١١- الدكتور محمد ربيع سلامة، مبعوث الرابطة في بلغاريا.

كما اجتمع وفد الرابطة بترتيب من الدكتور نديم إبراهيم غنجيف بالدكتور سبتو سلاف شيفاروف نائب رئيس مجلس الوزراء المكلف بشؤون الأديان، ورئيس حزب الفلاحين، وذلك في مكتبه في رئاسة مجلس الوزراء في صوفيا في عصر يوم الأربعاء ١٤١٧/٦/٤هـ الموافق ١٩٩٦/١٠/١٦م.

وبعد تبادل كلمات الود والترحيب أكد وفد الرابطة في حديثه على دور الرابطة في التعاون الثقافي الإسلامي كما سبق.

وقد زار وفد الرابطة في بلغاريا المدن التالية:

خاصكوفو HASKOVO.

مدينة يسكنها (١١٠) آلاف نسمة، منهم (٢٢) ألف مسلم يتكونون من (١٠) آلاف مسلم غجري، و (١٠) آلاف مسلم تركي، و(٢) ألفا مسلم بوماك، ولهم مسجدان: أحدهما مسجد جارجي يعود تاريخه لأكثر من ٣٥٠ عام، وهو على طراز تركي كبير يقع في وسط السوق، وفي ١٣ مارس ١٩٩٠م أحرقه متعصبون أرثوذكس، ولكن تم إصلاحه من تبرعات المسلمين، ومن الرابطة أيضاً، ولم تساهم الدولة بشيء إلا أن بيتر ميلادينوف رئيس جمهورية بلغاريا وعد بتقديم (٨٠٠) ألف ليفي آنذاك.

قرية كولت KULTS :

كانت تعرف باسم كيزيكيلي KIZIKLI تابعة لبلدة مانيرال باني MINERYALNI وهي قرية إسلامية يقطنها (٦٠) عائلة إسلامية عدد أفرادها (٢٨٠) مسلم يبنى فيها حالياً مسجد من دورين، ومساحته ١١×١١ متراً، وهو في دور التشطيب، وسيبلغ ارتفاع منارته (١٦,٥) متراً، وقد تبرع له الوفد بمبلغ (٢٦٥٠) دولاراً، سلم لإمامه الشيخ أحمد محمد سعد الله، وعمدة القرية الأستاذ مؤمن فائق رمضان في مكتبه.

ووعدناهم بمساعدة من الرابطة لإنشاء حمام وأماكن الوضوء وسور لإحاطة المسجد.

مدينة كرزالي KARDZALI :

يبلغ عدد سكانها أكثر من ستين ألف نسمة، منهم ثلاثون ألف مسلم أكثرهم من الأتراك ، ويعمل بها مسجدان، ورئيس البلدية مسلم، ومفتي محافظة كرزالي الشيخ صلاح الدين رمضان علي.

مومجيل غراد MOMCILGRAD:

بلدة يقطنها أكثرية مسلمة تقدر نحو ٧٠٪ من سكانها البالغ (٨) آلاف نسمة، ولهم مسجدان: أحدهما المسجد الجديد وقد بناه المهاجرون من بورصة في تركيا عام ١٩٤٢م، ثم جرى ترميمه وإقامة منارته عام ١٩٩٤م، كما يفيد بذلك الحاج سعيد قيليج رئيس الجماعة الإسلامية.

وفي البلدة مدرسة إسلامية تسمى ثانوية الأئمة والخطباء، يقول مديرها الأستاذ يوسف علي مصطفى بأن الدراسة بدأت فيها بخمسة وعشرين طالباً في أكتوبر ١٩٩٠م، ويبلغ طلابها حالياً (١٦٠) طالباً، و(١٥) مدرساً، وعشرة إداريين، وتبلغ ميزانيتها (١٤) مليون ليوا بالسنة، يتم جمعها من:

أ- رسوم من طلاب صفوف العاشر والحادي عشر والثاني عشر بقدر عشرة آلاف ليوا بالسنة.

ب- ما يقدمه المسلمون من صدقات وزكوات وتبرعات.

جـ- مساعدات من الشيخ فتح الله خوجة في تركيا.

والحكومة البلغارية لا تدفع لهم مساعدات، وإنما تأخذ منهم ضرائب بنحو (٨٠) ألف ليفوا في السنة، كما يدفعون إيجار مبنى سكن

الطلاب مبلغ (٨٠) ألف ليفوا بالسنة علماً بأن الطلاب يقيمون في ثلاثة مبانٍ، أحد هذه المباني وقف إسلامي بجوار المسجد الجديد.

ويلتحق بهذه المدرسة خريجو الإعدادية الحكومية، ويدرسون فيها المرحلة الثانوية، والتي هي لمدة أربع سنوات تبدأ من الصف التاسع، وتنتهي بالصف الثاني عشر.

ويقوم منهج الدراسة فيها على المزج بين المنهج الثانوي الحكومي والعلوم الإسلامية وفق منهج معاهد الأئمة والخطباء في تركيا، ويمنح الطالب المتخرج شهادتين: إحداهما شهادة الثانوية الحكومية، والثانية شهادة إمام وخطيب. وهكذا يتمكن المتخرج منها من الالتحاق بالجامعات الحكومية، ويمكن أن يمارس واجباته الإسلامية في الدعوة والتعليم الإسلامي. وتخرج منها حتى الآن دفعتان يعمل بعضهم أئمة ومدرسين، وقد استمع وفد الرابطة إلى تلاوات قرآنية عطرة من بعض طلابها. وإدارة المدرسة ترجو مساعدتها لبناء مدرسة نموذجية وسكن طلاب في الأرض التي منحتها لهم بلدية مموجيل غراد

بلدة مادان MADAN:

يسكنها أكثرية إسلامية من البوماك المسلمين الذين يزيد عددهم عن (١٢) ألف نسمة، لهم عدة مساجد، ويبنون أكبر مسجد في المنطقة من ثلاثة أدوار، تبلغ مساحته (١٥٠٠) متر مربع، ويبلغ ارتفاع قبته (٣٥) متر، ومنارته (٤٥) متراً كما يقول الأستاذ شوكت حليمنيسكي رئيس الجماعة الإسلامية، وهو مخطط لان يكون مركزاً إسلامياً يشتمل على مدرسة ومكتبة وسكن ومركز تجاري.

وكانت رابطة العالم الإسلامي ساعدتهم بمبلغ (٢٥) ألف دولار من سابق، ثم دفع إليهم الأستاذ كمال سراج الدين بحضور وفد الرابطة مبلغ ثمانية آلاف دولار لإكمال أعمال التشطيب اللازم، وقد وعدهم وفد الرابطة بالإسهام المالي من الرابطة لتامين الفرش والتأثيث اللازم للمسجد.

مدينة سموليان SMOLGAN:

تقع في الجنوب من حدود اليونان، يبلغ عدد سكانها (٨٠) ألف نسمة، منهم ثلاثون ألف مسلم، وأكثرهم من البوماك، ومفتي محافظة سموليان حاجي عارف قرا إبراهيم، ورئيس الجماعة الإسلامية الحاج حسن بكري، وهم يعيدون بناء مسجدهم الذي تبلغ مساحته (٤٠٠) متر مربع... وكان قد هدم لتعرضه إلى التخريب.

صوفيا SOFIA:

عاصمة جمهورية بلغاريا، في عام ١٩٩٠م قُدِّر سكانها بنحو (١.١٤١.١٤٢) نسمة، ويقدر نسبة المسلمين منهم بنحو ١٠٪ من قوميات مختلفة: أتراك، وبوماك، وغجر.

وفي صوفيا حالياً آثار ثلاثة مساجد، أحدها حُوِّل إلى متحف، والثاني إلى كنيسة، والثالث هو المسجد الوحيد المفتوح، ويعرف باسم بانيو باشي مسجد. يعني مسجد رأس الحمام، مع أن اسمه القديم هو مسجد سيف الله أفندي، وقد بني عام ١٥٥٨م، والمسجد أنيق على الطراز العثماني، ولكن نظراً لوجوده في شارع رئيسي وسط السوق دفع الناس لاستغلال ساحاته الخارجية. ويحتاج لإقامة سور يمنع تعديات الباعة عليه، ويحفظ المكان للاستفادة منه في صلاة العيدين عندما يكتظ المسجد

بالمصلين.

وقد وعدتهم بمساعدة من الرابطة لإقامة ذلك السور حول المسجد وصيانته من التعديات

ملاحظات عامة:

هذا وقد اجتمع وفد الرابطة إلى كثير من الإخوة المسلمين في المدن والقرى التي تمكن من زيارتها، واطلع على أحوالهم وظروفهم، وشاهد مشاريعهم الإسلامية التي تعكس رغبتهم في تنشيط وتصحيح مسيرتهم الإسلامية، واستخلص الوفد الملاحظات التالية:

١- الاضطهاد الوحشي والإجراءات اللاإنسانية التي مارسها الحكم الشيوعي ضد المسلمين كانت عميقة وشاملة؛ إذ لم يقتصر أثرها على حرمانهم من الثقافة الإسلامية؛ بل أدى إلى تخلفهم التعليمي والاقتصادي والسياسي، ومع أنهم يمثلون ٣٠٪ من سكان بلغاريا البالغ عددهم (٨٤٥٩٧٢٣) نسمة، إلا أن حكومة بلغاريا لا تضم أي وزير مسلم، والمسلمون يتولون الوظائف الدنيا، ويعملون في الزراعة والرعي والحرف.

علاوة على أن انهيار المؤسسات المالية والاقتصادية بعد سقوط الحكم الشيوعي زاد من سوء وضع المسلمين اقتصادياً، وخاصة العمال والموظفين الذين كانت لهم حصص في بنوك التأمين التي أعلنت إفلاسها، بالإضافة إلى توقف المصانع عن العمل، وعجزها عن دفع مرتبات عمالها، وكان وقع ذلك أشد ضرراً على المسلمين.

وفي الوقت الذي تدخلت الهيئات المسيحية وحكوماتها لدعم المسيحيين، فالمساعدات التي وصلت إلى المسلمين لا تكاد تذكر، وذلك – أيضاً – بسبب الاختلافات التي حدثت بينهم، مما أدى إلى تعثر وصول المساعدات إليهم، وانتشار حركات التنصير بينهم، وغلبة العلمانية عليهم.

٢- انخفاض مستوى التعليم وانتشار الأمية الدينية وفقدان الوعي، وهي نتائج القهر الشيوعي أتاح الفرصة لأعداء الإسلام في بث الفتن والانشقاق بين المسلمين حتى إن حركات علمانية مثل حزب حركة الحق والحريات نصب مفتين للإصلاح لهم دينياً ولكن الحزب يتخذهم أداة في يده، ولا زالت هذه العوامل تؤثر سلباً، لأن يلعب المسلمون دوراً بارزاً في الحياتين الاقتصادية والسياسية بما يتناسب ووجودهم الكبير، ويحفظ حقوقهم على الأقل في دولة يعتبرون هم أقلية فيها.

٣- يتضح أن الاختلافات والفتن التي سادت بسبب الصراع على مركز المفتي العام قد انتهت لصالح الدكتور نديم إبراهيم غنجيف الذي ترأس المجلس الروحي الأعلى لمسلمي بلغاريا، والشيخ بصري محمود شريف الذي تولى منصب المفتي العام، ويلاحظ أن رجال دور الإفتاء في المحافظات على انسجام معهما، وقد أشاد أكثر من واحد منهم بالدكتور نديم غنجيف وأنه كان له دور جيد في تنشيط العمل الإسلامي أثناء ولايته.

ويظهر أن الأسباب التي أدت إلى إثارة الفتن والاضطرابات فيما مضى

تنحصر في الآتي:

أ - المساعدات المالية التي قدمتها الهيئات الإسلامية لدار الإفتاء لإنجاز مشاريعها خاصة مع فقدان الضوابط أثارت أطماع ذوي النفوس الضعيفة ،ودفعتهم إلى الصراع والتنافس لمصالح شخصية.

ب- انهيار النظام الشيوعي وتنافس الحركات الديمقراطية والأحزاب السياسية على كسب أصوات المواطنين في سبيل الوصول إلى الحكم دفع حزب حركة الحق والحريات، وهو حزب علماني يرأسه احمد دوغان إلى رغبة السيطرة على دار الإفتاء بتعيين أشخاص يعمل من خلالهم على تحقيق أهدافه السياسية والفكرية لدى المسلمين، ويتمكن من التقريب بين بلغاريا الأوروبية وتركيا العلمانية التي دعمته.

جـ اتجاه الهيئات الإسلامية التي دخلت إلى بلغاريا لدعم وتنشيط العمل الإسلامي بدون اتصال أو تعاون مع دار الإفتاء العام، وهي الجهة الإسلامية المسؤولة رسمياً أثارت الشكوك حولها، وشجعت الأطراف على الصراع، وفتحت باب التدخل لإشعال نار الفتن والقلاقل والمزايدات.

٤- لا يوجد إحصاء معتمد لإعداد المسلمين في بلغاريا، ولكن التقديرات تفيد أن عددهم نحو ثلاثة ملايين نسمة تتكون من قوميات ست، هي:

- الأتراك: ١,٣ مليون .
- الغجر: ١ مليون.

- البوماك: ٥٠٠ ألف.
- التتار: ١٠٠ ألف.
- الألبان: ٥٠ ألف.
- المقدون: ٣٠ ألف.

واليوماك - وهم من أصل بلغاري - يعتبرون أشدهم تمسكاً بالإسلام، والغجر - بسبب جهلهم وفقرهم - يحتاجون إلى عناية أكثر بالتوعية الدينية.

والمسلمون على اختلاف قومياتهم لا يوجد لهم حزب سياسي يجمع كلمتهم، ويدافع عن حقوقهم السياسية سوى دار الإفتاء العام وفروعها في المحافظات، ويتضح أن الأحزاب السياسية تحاول أن تكسب أصواتهم، كما كان يظهر من كثرة الاتصالات الهاتفية التي كان يتلقاها الدكتور نديم غنجيف إذْ صادف زيارة وفد الرابطة فترة الاستعدادات للانتخابات في بلغاريا، ومع أن الدكتور نديم غنجيف يجيبهم بطلب تأمين مطالب المسلمين، منها: أن يكون على الأقل وكلاء بعض الوزارات من المسلمين، إلا أن الواضح أن المسلمين ليس لهم برامج سياسية واضحة يمارسون من خلالها الضغوط على عمليات الانتخابات، وقد أظهرت نتائج الانتخابات الرئاسية فوز بيتار ستوبانوف، وهو محامٍ من حزب اتحاد القوى الديمقراطية بحصوله على ٦١,٢١ ٪ من الأصوات في مقابل ٣٨,٧٩ ٪ لوزير الثقافة الاشتراكي إيفان مارازوف، وهو ممثل الحزب الاشتراكي (الشيوعي السابق) الحاكم.

٥- الوضع الاقتصادي متأزم جداً بسبب التأخير في تطبيق الإصلاحات

الاقتصادية منذ سقوط النظام الشيوعي في نوفمبر ١٩٨٩م، وقد زادت الأسعار وارتفعت معدلات البطالة، وفقدت العملة المحلية الكثير من قيمتها، وأصبحت الدولة عاجزة عن تسديد ديونها الخارجية وصرف رواتب موظفيها، ومن ذلك رواتب الأئمة، وتتطلع الدولة إلى تحسين صورتها في العالم الإسلامي بعدما أصابها من حظر وانتقاد إبان الحكم الشيوعي السابق بسبب اضطهادها لمواطنيها المسلمين. ويرغب المسلمون أن يكون لهم دور ملموس في تحسين التجارة مع دول العالم الإسلامي، وخاصة دول الخليج، وجذب الاستثمار وتنشيط العلاقات الاقتصادية.

٦- رغم انتشار الأمية الدينية، فالتعليم الإسلامي لا زال محدوداً، علاوة على أن المسلمين لا يتمتعون بدرجات عالية من التعليم العام، وهو سبب تخلفهم مما يتطلب الاهتمام العاجل برفع مستوى المسلمين بالتعليم الإسلامي لتعزيز ثقتهم بدينهم الحنيف، وكذلك تزويدهم بالعلوم الحديثة لضمان مشاركتهم في الحياة السياسية والاقتصادية والثقافية بما يعينهم على حفظ كيانهم الإسلامي وحقوقهم الإنسانية.

مغادرة صوفيا:

غادرنا صوفيا في السادسة إلا ربعاً والشمس تغرب ذاهبين إلى مقدونيا بطريق البر، وذلك على السيارتين اللتين كانتا معنا من مطار إسطنبول حتى الآن، ونحن مع الدكتور نديم غنجيف في سيارته التي يقودها بنفسه، وقد أبى إلا أن يكون معنا في وداعنا عند الحدود البرية المقدونية.

كانت الشمس تغرب ونحن نغادر لذلك لم نتمكن من رؤية ما حولنا من الطرق، وكان الطريق نفسه ضيقاً سيئاً ذكرني بالطرق في بلادنا قبل ٤٥ سنة، والسيئ في الأمر أنه لا يلقى العناية من الإصلاح، فتجد ما فسد منه بفعل الزمن، وضغط السير قد بقي على فساده دون أن يصلح، وقال لنا الدكتور نديم غنجيف: إنهم يعملون الآن في طريق آخر غيره حديث، وقد ركبنا هذا الطريق الحديث بعد أن أمضينا أكثر الطريق في الخط السيئ، ولم نجد الجديد على اسمه كما نفهمه؛ بل هو ضيق أيضاً، ولكنه جيد من حيث الزفت والنعومة في ظهره.

كانوا أخبرونا أن المسافة من صوفيا إلى الحدود تبلغ ٩٥ كيلو متراً غير أننا حسبناها أكثر من ضعف ذلك لما ذكرته.

مدينة قسنطديل:

وصلنا إليها قبيل الحدود وهي على الطريق، فوقفنا فيها لمشاهدة مسجد قديم يقع على شارعها العام التجاري اسمه (جامع محمد الفاتح)، كان هذا المسجد معموراً بالمصلين والقارئين، غير أنه هُجر الآن، وذلك

بسبب هجرة المسلمين من أهلها إلى تركيا في عام ١٩٦٩ م؛ حيث اشتدت الضغوط عليهم والمضايقات من حكومة بلغاريا، ففروا إلى تركيا، ولم يبقَ منهم أحد الآن.

ولذلك تعتبر المدينة الآن خالية من المسلمين إلا من كان منهم ماراً بها أو سائحاً إليها؛ لكونها بلدة سياحية فيها مياه معدنية.

جامع قسطنديل في بلغاريا

وقد شاهدنا المسجد ضخماً مهيب المنظر، إلا أنه حبيس التعصب الذي ذهب بأهله المسلمين منه، وقد زال ذلك التعصب أو زالت مظاهره، ولكن المسلمين لم يعودوا إلى المدينة، فأصاب المسجد الخراب والإهمال حتى نزعت أبوابه وأبواب النوافذ فيه، واحتاج إلى ترميم عاجل من أجل الإبقاء على هيكله، وقد اعتبره المسؤولون في المدينة مبنى أثرياً، إذْ كان

بناؤه في عام ١٥٣١ م، وتقوم البلدية مع الإفتاء في محاولة ترميمه وإعادته إلى حالته الأولى.

ويبلغ سكان مدينة (قسنطديل) ٧٥ ألف نسمة، ليس فيهم مسلمون في الوقت الحاضر.

وقد طلب منا الشيخ نديم غنجيف الإسهام في نفقات ترميم المسجد، وذكر أنهم لم يتسلموه رسمياً من البلدية حتى الآن، وأنهم بصدد إعداد الأوراق التي تثبت ملكيته للمسلمين كما يقولون، ويريدون بذلك اختصاص المسلمين به لأن المسجد لا يملك.

وتتبع المسجد أرض بجانبه جيدة، أنشأت فيها البلدية مظلات على هيئة (دكاكين) مؤقتة تؤجرها وتنتفع بأجرتها، على حين أن المسلمين أحوج إلى الانتفاع بأجرتها، ويمكن أن يبنوا إذا قدروا بجانبه حوانيت إذا سمح نظام البلدية بذلك، لأنه واقع في وسط السوق التجاري في المدينة.

أمضينا وقتاً في سوق المدينة وكلنا أسف على ما وصلت إليه حال هذا البيت من بيوت الله الذي يشهد على مدى الإرهاب الذي كان قد أصاب المسلمين في بلغاريا، حتى جعلهم يهربون من المدينة؛ بل من بلغاريا كلها ويهاجرون إلى تركيا، وحملهم على أن لا ينظروا حتى في إعمار هذا المسجد لأنهم كانوا قد فقدوا في زمن الشيوعية المال والأعمال الصالحة الظاهرة، حتى صار الفرد منهم لا يستطيع الحصول على أكثر مما يلزمه من الطعام الضروري للحياة.

الفصل الثاني

مقـــدونيا

مقـــــــدونيا

من الحدود إلى العاصمة:

واصلنا سيرنا باتجاه الحدود البرية بين بلغاريا ومقدونيا من مدينة (قسنطديل)، وقد ذكروا أنها لا تزيد عن ١٦ كيلو متراً.

وجدنا في الحدود أعداداً كبيرة من الشاحنات وقليلاً من سيارات الركوب، ونزل الإخوة وعلى رأسهم الدكتور نديم غنجيف ليدخلوا الحدود القريبة سيراً على الأقدام، حتى يبحثوا عن الشخص الذي سيستقبلنا فيها معه الأوامر المتعلقة بمنحنا سمة دخول إلى مقدونيا.

ثم عادوا ومعهم الأخ (علي البرقوني) على سيارة الاتحاد الإسلامي المقدوني، وقد سمحوا لها وللأخ البرقوني بالدخول إلى حدود بلغاريا لحملنا بعد أن رأوا جوازاتنا.

والأخ البرقوني مبعوث من رابطة العالم الإسلامي إلى مقدونيا من أجل الدعوة إلى الله ومساعدة الإخوة المسلمين هناك، وأخبرنا أنه قد لبث في انتظارنا ساعات كانت متوقعة، لأنه لم يتلق الإفادة من بلغاريا بالموعد المحدد لوصولنا، وذلك أن الإخوة المسلمين كانوا اتصلوا بدار الفتوى في إسكوبيا عاصمة مقدونيا، ولم يستطع هؤلاء الاتصال به.

ودعنا الإخوة الكرام من أهل بلغاريا وعلى رأسهم رئيس المجلس الإسلامي الدكتور نديم غنجيف، والمفتي العام الشيخ حاجي بصري محمود بن حاجي شريف، ودخلنا بسرعة وسهولة إلى أراضي مقدونيا، فقد منحونا سمة الدخول من الحدود، وأعطوني سمة (دبلوماسية) لأن جوازي دبلوماسي، وذلك أن رئيس الاتحاد الإسلامي المقدوني الشيخ سليمان رجبي

كان قد حصل لنا على سمات دخول أودع أمرها في الحدود.

على أراضي مقدونيا:

انطلقنا بالسيارة مع طريق جيد بالنسبة إلى الطريق في بلغاريا، إلا أن هذا الطريق المقدوني جبلي مثل طريق بلغاريا الذي يقع جزء منه في منطقة جبلية يصعب الإسراع فيها.

كان الظلام مستحكماً، فلم نستطع رؤية أي شيء من الطريق، ولذلك لم نجد متعة في السير، إلا أن هذا كان الممكن وحده الليلة، ولذلك كان الحديث داخل السيارة منحصراً بالأخ البرقوني الذي أخبرنا أن أصل أسرته من المغرب، ولكنه مولود في الكويت، ووالده يعيش الآن في الأردن، وإخوته الكثر يتوزعون على سبعة بلدان.

استمر الطريق جبلياً لمسافة ٤٥ كيلو متراً من مجموع مسافة الطريق ما بين الحدود إلى العاصمة إسكوبيا الذي يبلغ طوله ١٠٥ كيلو مترات، ولكننا أحسسنا بها أطول من ذلك بسبب الظلام، وكوننا قدمنا من صوفيا بطريق البر إلى الحدود البلغارية أيضاً.

ثم سهل الطريق فأسرع السائق بسيارته، وحسنت حالة الطريق أيضاً فصار واسعاً وأكثر نعومة.

مدينة إسكوبيا:

قصدنا فندقاً كانوا حجزوا لنا فيه من قبل، وهو فندق كونتنتال

وكان الترتيب الذي ارتضيناه أن لا نقابل الآن أي شخص، لأن الساعة قاربت الحادية عشرة ليلاً، وأننا سنستريح إلى صباح الغد.

يوم الخميس ١٤١٧/٦/٥هـ

صباح إسكوبيا:

كان ليل إسكوبيا هادئاً انقضى في نوم لم نستيقظ منه إلا بعيد الفجر، فأزحت ستارة النافذة قبل طلوع الشمس التي كان يغلف مشرقها غيم خفيف لم يلبث أن تكاثف، وانهمر مطره كما تكون عليه الحال في الأقطار الاستوائية، رغم بعد هذه المنطقة عن خط الاستواء في كل شيء.

وقد أخبرونا أن المطر يهطل عندهم في أي وقت ما عدا الشتاء؛ حيث تتساقط الثلوج، وتطل النافذة على جزء من مدينة إسكوبيا كان أهم ما فيه بالنسبة لي مئذنتا جامع بينهما قبة عربية مهيبة، ومنظر البلدة منظر البلاد الأوروبية الجنوبية التي تبدو كما لو كانت في حد من حدود أوروبا مع البلدان العربية الشمالية؛ لولا وفرة من الخضرة في الأماكن القليلة الخالية من الأبنية.

وقد غمرني شعور من الغبطة لزيارة هذه العاصمة التي كانت إقليمية عندما زرت يوغسلافيا قبل ربع قرن من الزمان، وقد أصبحت الآن عاصمة دولة بعد تفكك يوغسلافيا إلى عدة دول، منها هذه الدولة مقدونيا التي كان اليونان قد عارضوا تسميتها مقدونيا بحجة أنها تنتزع منهم شرف انتماء الإسكندر المقدوني المعروف ببعض كتبنا العربية باسم الإسكندر ذو القرنين؛ لأنهم يقولون: إنه يوناني، وإن نسبته إلى مقدونيا لا تغير من ذلك لأن جزءاً من مقدونيا الحالية كان تابعاً لليونان في القديم.

والأهم عندي في زيارة هذه العاصمة والتجول في جمهوريتها أن المسلمين يؤلفون ما يقارب نصف سكانها وإن لم تعترف حكومتها إلا بأقل من ذلك بكثير، كما شرحناه في فصل الشؤون الإسلامية في مقدونيا.

إلى رئاسة الاتحاد الإسلامي المقدوني:

كان موعد زيارة رئاسة الاتحاد الإسلامي المقدوني الذي يرأسه صديقنا الشيخ سليمان أفندي رجبي مفتي مقدونيا ورئيس العلماء قد أزف.

وذهبنا إلى حيث يقع في مبنى واسع جيد، فوجدنا في الاستقبال في الطابق الثاني عدداً من العلماء والموظفين في الاتحاد، على رأسهم الشيخ سليمان أفندي رجبي وهم:

١- الأستاذ سليمان أفندي رجبي، رئيس الاتحاد الإسلامي.

٢- الأستاذ محمد حسني، رئيس جمعية العلماء.

٣- الأستاذ إدريس سلام، مستشار الشؤون الدينية.

٤- الأستاذ رجب نور الدين، مفتي إسكوبيا.

٥- الأستاذ يوسف ضميري، مستشار ثقافي.

٦- الأستاذ زين الله فضل، مسؤول الدراسات الإسلامية العليا.

٧- الأستاذ نظام راشد، رئيس تحرير جريدة الهلال الإسلامية.

٨- الأستاذ بهجت شهاب، مهندس مسؤول عن الآثار والقنون الإسلامية.

٩- الأستاذ رشدي شعبان، المسؤول العلمي والثقافي.

كان الجميع يرحبون، ومصورو التلفزة والصحافة يصورون، وجلسنا في قاعة استقبال فخمة التأثيث في هذا المبنى الجيد الذي يملكه الاتحاد الإسلامي، فبدأ الشيخ سليمان أفندي رجبي الكلام بالتحية وتكرار الترحيب، وأثنى على معرفتي بالمسلمين، وعلاقتي بهم في العالم كله، وذكر رحلاتي في جميع أنحاء العالم، وما ألّفت من كتب في هذه الموضوعات، وتكلم على اجتماعي به في العام الماضي عندما كان يزور المملكة العربية السعودية، وما سماه بالمساعدات التي قدمتها عندما زار الرابطة في مكة المكرمة، ثم تكلم على أحوال المسلمين في مقدونيا كلاماً مفصلاً ذكرته كاملاً في الكلام على الشؤون الإسلامية في مقدونيا، ولكن يمكن أن ننقل هنا من كلامه قوله:

في الاتحاد الإسلامي المقدوني

الحكومة المقدونية لا تتدخل في شؤون المسلمين الدينية، وإنما تترك ذلك للاتحاد الإسلامي الذي أسسه المسلمون المقدونيون، وانضم إليه

أكثرهم.

وذكر أن عدد المساجد في مقدونيا أكثر من ستمائة، بعضها له ثلاثة أئمة لأهميته أو كبره أو كثرة المصلين فيه، ويكون في المسجد الواحد خادم أو أكثر من خادم، ومؤذن ومعلم صبيان. ويقوم الاتحاد الإسلامي بدفع رواتب الجميع من أئمة وعاملين في المساجد دون أي مشكلة، وذكروا أن عدد الكنائس في البلاد (٣٠٠) أي نصف عدد المساجد، إلا أن الكنائس صارت تزيد بعد سقوط النظام الشيوعي وانفتاح الطريق للهيئات التنصيرية الأجنبية، إلا أن المساجد تزيد أيضاً، وأينما توجه المرء يرى المآذن الشامخة.

وقال: نحن مستقلون في شؤوننا الإسلامية.

وذكر أنه لا يوجد إحصاء دقيق لعدد المسلمين، ولا لنسبتهم الحقيقية في مقدونيا، لأن الحكومة لم تقم بذلك، والاتحاد الأوروبي رفض أن يقوم به، ولكننا متيقنون أن المسلمين سيصبحون أكثرية في المستقبل الذي نتوقع أنه لا يزيد على ما بين ١٥ إلى ٢٠ سنة، وذلك لكون المواليد عند المسلمين أكثر، فالمسلمون يزيدون والمسيحيون ينقصون، قال: وهذا فيما أعلنوه مشكلة لهم، حتى أشيع بأن هناك خطة لتعقيم أطفال المدارس من المسلمين، وكذلك لتسميم الماشية حتى يؤثر على صحة الأجيال الناشئة من المسلمين، ولكن ذلك كله لم يتأكد لدينا.

ثم عاد إلى الترحيب وقال: إنه لمناسبة زيارتكم لبلادنا، تمت دعوة المفتين وكبار المشايخ وزعماء المسلمين للاجتماع بكم في مساء هذا اليوم.

وقد أجبت رئيس الاتحاد الإسلامي الشيخ سليمان أفندي رجبي بالشكر على ترحيبه بوفد الرابطة، وعلى ما قدمه من معلومات مهمة ومفيدة عن أحوال المسلمين وأوضاعهم، والظروف المحيطة بهم في هذه البلاد.

وقلت من بين ما قلته: إن الهدف من زيارتنا لهذه البلاد هو الاجتماع بالإخوة المسلمين العاملين في الحقل الإسلامي، وعلى رأسهم فضيلتكم والإخوة العلماء وأئمة المساجد، والاطلاع على مؤسساتهم الإسلامية من مساجد ومدارس ودور إفتاء وغيرها، وكنا قد سمعنا عن خلاف بين العلماء وقادة العمل الإسلامي هنا، إلا أن البشائر قد قابلتنا قبل قدومنا بأن ذلك كله قد زال، وأصبح من ذكريات الماضي، وصار الإخوة المسلمون يداً واحدة في العمل على رفعة دينهم وتربية أولادهم تربية إسلامية حتى يكونوا مثلهم في خدمة العمل الإسلامي أو خيراً منهم.

وقد عرفنا أن الجميع اتفقوا على أن تتولوا أيها الشيخ الجليل رئاسة الاتحاد الإسلامي، وأن يكون للعلماء والمفتين الآخرين مواقعهم في الاتحاد، وبذلك عاد الصفاء والوئام يحكم العلاقة بين العلماء وزعماء المسلمين في هذه البلاد، فالحمد لله على ذلك.

وقلت لهم: أنتم تعلمون أن الله ﷻ يأمرنا نحن المسلمين بالتعاون على البر والتقوى، ولا شك في أن تبادل الزيارات وتبادل وجهات النظر والبحث في كيفية التعاون ومداه، لا بد من وجوده قبل التعاون لأنني إذا كنت لا اعرف أخي ولا ما يحتاج إليه مني، ولا ما يستطيع تقديمه مما أحتاجه، لم أستطع أن أعرف كيف أتعاون معه، وثقوا أننا في رابطة العالم الإسلامي

مستعدون للتعاون معكم على البر والتقوى، وسنبذل كل ما نستطيعه في هذا الأمر، وأوجه التعاون عديدة يمكننا أن نبحثها معكم بالتفصيل فيما بعد بإذن الله.

كان الشيخ يحمل معه جهاز هاتف نقال يتكلم منه في بعض الأحيان، ويجيب على من يهتف به عليه في أحيان أخرى، وكان يرد أيضاً من هاتف مكتبه الثابت.

ولذلك طلبنا منه أن يساعدنا في الحصول على سمات الدخول إلى يوغسلافيا أو على الأصح ما بقي من يوغسلافيا، وهي (صربيا)، والجبل الأسود، لأننا نود أن نرى الاخوة المسلمين فيها ونساعدهم في مؤسساتهم الإسلامية، وبخاصة المسلمين في (كوسوفا) و(السنجق)، وقد امتنعت السفارة اليوغسلافية في بلغاريا من إعطائنا السمة بحجة أنه لا بد من أن تأتي الأوامر لها بذلك من بلغراد.

فأسرع الشيخ سليمان رجبي يأمر مدير مكتبه، وهو رجل شهم وسريع، أن يأخذ جوازات سفرنا وهي اثنان، ويطلب منهم باسم الاتحاد الإسلامي، وتحت كفالته منحنا سمات الدخول.

ولم يمضِ وقت طويل حتى جاءت الإجابة من سفارة يوغسلافيا في مقدونيا بأن المذكورين حاولوا الحصول على السمة من السفارة اليوغسلافية في صوفيا، ولم يستطيعوا، وأنه لا يمكن منحهم الإذن بالدخول إلا بعد الرجوع إلى الحكومة في بلغراد، وذلك يستغرق أسبوعين اثنين، وعرفنا من ذلك أنهم لا يريدون أن يمنحونا سمة الدخول إلى

بلادهم، وأنهم قد رجعوا في ذلك إلى حكومتهم، فألغينا زيارة يوغسلافيا من اعتبارنا وعزمنا على الاكتفاء بزيارة الدول الأربع في البلقان، وهي بلغاريا ومقدونيا وكرواتيا وسلوفينيا، وبعدها زيارة النمسا وسويسرا، ومما يذكر أن الاتحاد الإسلامي طلب لنا سمة دخول من كرواتيا، فرحبوا بذلك وذكروا أنهم وضعوا لنا السمات في مطار زغرب عاصمة كرواتيا. وقد ذكرت ذلك مع ذكر كيفية الدخول إلى سلوفينيا في الكتاب الثاني الذي ألفته عن دول البلقان بعنوان: ((كرواتيا وسلوفينيا)).

مدرسة عيسى بيك الإسلامية:

ذهبنا مع رئيس العلماء ورئيس الاتحاد الإسلامي الشيخ سليمان رجبي إلى منطقة غير بعيدة من العاصمة (سكوبيا) اسمها (كندوفو)، وتبعد (٢٥) كيلو متراً عن العاصمة، وذلك لزيارة مدرسة إسلامية عريقة اسمها: (مدرسة عيسى بيك الإسلامية الثانوية).

في مكتب مدير مدرسة عيسى بيك في كندوفو (مقدونيا)

وقد فتحوها في منطقة كندوفو لأن العلماء من أهل المنطقة كلهم مسلمون ألبانيون، واستقبلنا في المدرسة مديرها الأستاذ (بحري علوي)، وجمع من مدرسيها، وجلسنا في غرفة الإدارة، فألقى كلمة قصيرة تضمنت بعض المعلومات عن المدرسة وأهميتها للمسلمين في البلاد.

ثم صحبونا في جولة على أقسام المدرسة، ومن أهم ما رأينا فيها معمل لتعليم القرآن الكريم، وهو أول معمل من نوعه أراه لتعليم تلاوة القرآن الكريم وتجويده؛ إذ درج الناس عندنا على أن تكون المعامل لتعليم اللغات.

قال لنا مدير المدرسة: إننا كنا في زمن الشيوعية محكومين بعدد معين من الطلاب تحدده الحكومة، لا يجوز لنا تجاوزه، وكان هذا يحد من مصاريف المدرسة، والآن ذهب الشيوعيون، وزاد إقبال الطلبة، ولكن المشكلة هي في زيادة النفقات، لا سيما في هذا الظرف الذي تجتازه البلاد، وهو ظرف لا يساعد على التبرعات لقلة المال في أيدي الناس، دخلنا الفصل الرابع النهائي في المدرسة، فرأيته مليئاً بالطلاب الذين عليهم مظاهر التغذية الجيدة، وكلهم نظيف الثوب والبدن.

والغريب أني تكلمت معهم باللغة العربية، فذكر المدير ومدرس الفصل أنهم لا يحتاجون إلى ترجمة لكلمتي لأنهم يعرفون العربية، وقد سألتهم فأجابوا: نعم، لقد فهمنا ما قلت.

ثم دخلنا أكثر الفصول، وألقيت فيها كلها كلمات قصيرة تتضمن تحيتهم من إخوانهم في بلاد الحرمين الشريفين، وفي رابطة العالم

الإسلامي بالذات، وذكرتهم بأن المسلمين ينتظرون تخرجهم وقيامهم بالدعوة إلى الله مثلما كان أسلافهم من العلماء في هذه البلاد.

ثم انتقلنا إلى مشاهدة السكن الداخلي فوجدته نظيفاً غاية النظافة، وذكروا بهذه المناسبة أن جميع طلاب المدرسة يسكنون ويعيشون داخلها، مع أنها قائمة على التبرعات ولها (٢٥) مدرساً، وفيها مستوصف جيد.

ومن الطريف السار أنهم ذكروا أن وزارة السياحة صنفت السكن الداخلي لهذه المدرسة الإسلامية بأنه يعادل الفنادق فئة أربع نجوم. هكذا ذكر لي بعض الموظفين.

وينبغي أن ننوه هنا بما ذكروه وعرفناه من قبل ومن بعد، وهو أن هذه البلاد المقدونية فيها أكبر نسبة للعلماء بالدين الإسلامي، وحملة الشهادات العالية والعليا في الموضوعات الإسلامية بالنسبة إلى جمهوريات يوغسلافيا السابقة، ونسبة المسلمين في البلاد، فكثير من المدرسين في هذه المدرسة، أو أكثرهم يحملون شهادات عالية أو عليا كالماجستير أو الدكتوراه من البلدان الإسلامية.

وعاد مدير المدرسة إلى الحديث عنها فقال:

إنها تأسست في مقدونيا عام ١٩٨٠م، ولكنها بدأت بتاريخ ١٥/١٠/ ١٩٩٤م، بقبول الطلاب بعد الإعدادية لدراسة المرحلة الثانوية، وهي عندهم أربع سنوات، وأنها تجمع بين المنهجين الحكومي والإسلامي، ويستطيع خريجوها الالتحاق بالكليات الاجتماعية والأدبية في جامعة مقدونيا، كما

يستطيعون الالتحاق بالجامعات الإسلامية كالأزهر في القاهرة.

ويبلغ عدد الطلاب حالياً (٢٨٣) طالباً، منهم طلاب من بلغاريا وألبانيا وكوسوفا، ويعمل فيها (٢٥) مدرساً، و(٧) إداريين، وتبلغ ميزانيتها السنوية نحو (٩٣٠٠٠) ألف مارك ألماني.

والطلاب يقيمون في السكن الداخلي الذي يتكون من (٣٥) غرفة فيها (٢٦٥) سريراً، ويتناولون وجباتهم الغذائية في مطعمها، وبها إدارة صحية ومكتبة ومختبران لتعليم اللغات. والطالبات يدرسن بالانتساب، ثم يؤدين الامتحانات فيها فقط.

ويتم تأمين النفقات من تبرعات المسلمين، وتشمل صدقاتهم وزكاتهم، وقليلاً من المساعدات التي تأتي من الهيئات الإسلامية التي تمثل نحو ٢٠ ٪ من الميزانية.

مبنى كلية الدراسات الإسلامية:

انتقلنا مع الإخوة في سيارتين، وعلى رأسهم كبير العلماء الشيخ سليمان رجبي لمشاهدة مبنى كلية الدراسات الإسلامية الذي يقوم الاتحاد الإسلامي بتشييده، وسبق أن تلقينا في رابطة العالم الإسلامي طلباً للإسهام في نفقات بنائه، ولكننا توقفنا في ذلك بسبب الخلافات التي كانت قائمة بين المسلمين وزالت الآن ولله الحمد.

وجدنا المبنى ضخماً قوياً يدل على الإخلاص في العمل، فالمبنى يبدو شامخاً وسط أرض خضراء في لحف تلة خضراء جميلة، يشرف المكان

على مساحات واسعة من منطقة (فندوكو) الإسلامية الخصبة.

وقد كتبوا عليه: كلية دراسات العلوم الإسلامية، وتاريخ الابتداء بعمارته في شهر أكتوبر عام ١٩٩٥م ولم ينته بعد، ولكن ما أنجزوه منه كبير، فقد أتموا بناء ثلاث طبقات منه، مع بناء طابق أرضي (بدروم) بناء قوياً بالإسمنت المسلح المعتنى به.

ويقع المبنى على أرض مساحتها (١٠) آلاف متر مربع موقوفة له، أي أنها خالصة للكلية، مسجلة في الدوائر الحكومية المختصة.

في مبنى كلية الدراسات الإسلامية

وكل ذلك قائم على التبرعات، بعضها من الداخل، وفيها مبالغ جيدة من البلدان العربية، فمثلاً تلقوا من حاكم الشارقة (٢٥٠) ألف دولار إسهاماً منه في مباني الكلية، ويقال: إنه وعدهم بأكثر من ذلك. وكذلك البنك الإسلامي للتنمية في جدة وعدهم ببناء إحدى الوحدات التي قرروا

بناءها، فهم لم يكتفوا بالمبنى الرئيسي للكلية، وإنما قرروا أن يبنوا بجانبه مكتبة عامة، ومباني لسكن الطلاب، ومركزاً صحياً وقاعة رياضية. وسوف يبنون مسجداً ذا منارة مشرفة أرونا خارطته والرسوم المعدة له، وذكروا انهم وجدوا متبرعاً ببنائه كله من إحدى البلدان العربية، وأنهم سيبدؤون به قريباً. والحقيقة أن أمرهم عجب، وهممهم عالية، وقد أقدموا على هذا المشروع الضخم بإيمان وثقة بإكماله.

جولة في مدينة إسكوبيا:

ودعنا الشيخ سليمان رجبي وبعض المرافقين، وبقيت معنا سيارة فيها اثنان من المرافقين المقدونيين، والأستاذ علي البرقوني مبعوث الرابطة إلى مقدونيا، فذهبنا في جولة سريعة على بعض أنحاء المدينة.

بدأت الجولة في الساعة الثانية عشرة ظهراً، فوقفنا في ضاحية تسمى ضاحية كريوس، ولكريوس هذا قصة، وهو أنه رجلٌ مقدوني اتهمه الأتراك عندما كانوا يحكمون البلاد بالسرقة وجرائم أخرى فقتلوه، ويقال: إنهم ألقوه في نهر (فاردار) المجاور للحي، فأسمى المقدونيون هذه الضاحية باسمه.

وكان سبب وقوفنا في هذه الناحية مشاهدة مكان إلى الشرق من نهر (فاردار) كان فيه مسجد هدمته الحكومة بحجة أنه لم يبقَ في هذا الحي مسلمون، وأنه تبعاً لذلك لا حاجة لوجود المسجد، وقد احتج المسلمون على ذلك. وقالوا: إنه لا توجد بجانبه بيوت للمسلمين، ولكن المسلمين

المسلمين موجودون في أماكن غير بعيدة عنه.

كان ذلك في عام ١٩٨٠ م، كما أخبرونا أنه إبان الحكم الشيوعي، ومما يجدر ذكره أن المساكن تكاد تكون ثابتة دون زيادة، في زمن الحكم الشيوعي، لأنه لا تجوز المتاجرة بالبيوت للأفراد، لأنهم لا يملكون إلا مساكنهم، وفي كثير من البلدان الشيوعية لا يملك الناس حتى مساكنهم، ولذلك لا مجال لتغيير نوع السكان في المكان إلا إذا قررت الحكومة ذلك.

ويقع المسجد في حي يسمى (نزري العليا)، وذكر مرافقنا الأخ علي البرقوني أنه كان قد صلى في هذا المسجد قبل هدمه.

شارع في مدينة إسكوبيا بالقرب من حديقة المدينة

وقد أصبحت المنطقة أبنية متعددة الطبقات (عمارات)، إلا أنها غير بالغة العلو، والناس الذين يمرون من هذه الشوارع هم يتميزون بجمال

الخلقة، ونظافة الثياب، ولكن علامات الفقر ورقة الحال المتمثلة في نوع الثياب على نظافتها واضحة فيهم، لأن أكثرها ثياب رخيصة قد أنهكها الاستعمال.

وأعجبني في المنطقة شارع اسمه (شارع بيتروف)، فالتقطت فيه صورة تذكارية مع الإخوة المرافقين.

وعلى ذكر الشوارع أقول: إن شوارع المدينة تتميز بالسعة والنظافة، وأكثرها فيه عناية ظاهرة من البلدية وموظفيها، وأكثرها مشجرة بأشجار نضرة.

ومن (نزري) العليا التي فيها المسجد المهدوم، وليس فيها من المسلمين أحد في الوقت الحاضر، انتقلنا إلى محلة (نزري) السفلى، وكانت كلها للمسلمين أشبه ما تكون بالقرية الريفية، فأخذت الحكومة منازل المسلمين التي كانت - كما قلت - أشبه بالريفية وعوضتهم عنها بيوتاً أخرى، وهدمتها وأحالتها إلى منطقة حديثة.

أهي مدينة إسلامية ؟

مع كمال سراج الدين ورحمة الله بن عناية الله في شارع جورج بيتروف في إسكوبيا

واصلنا التجوال السريع في أنحاء من مدينة إسكوبيا ، فكنا أينما ذهبنا تطالعنا مآذن المساجد الجميلة والقباب المميزة ، وكلها على الطراز التركي المعتنى به حتى يستطيع المرء أن يقول إن المظهر الإسلامي لهذه المدينة في دولة مقدونيا غير المسلمة ، أكثر ظهوراً من كثير من المدن في البلدان الإسلامية.

كما يرى المرء في اللافتات التي تعلو الحوانيت أن أكثرها تحمل أسماء مسلمين.

وأكثر المساجد - إن لم تكن كلها - يرفع منها الأذان بمكبرات الصوت ، ويعتني المسلمون بصيانتها ، والمحافظة على ظهورها بالمظهر

الجيد، ويبلغ عدد المساجد في مدينة إسكوبيا وضواحيها (١١٩) مسجداً، مع أن عدد سكانها هو (٤٤٠٥٧٣) نسمة حسب إحصاء عام ١٩٩٤م، ولا شك أن المرء الذي يعرف تاريخ هذه المدينة تحت الحكم التركي وقوة المسلمين فيها في الماضي، لا يستغرب ذلك.

ولكن المتعصبين من المقدونيين، ويسميهم المسلمون هنا بـ (المقدون) لأن المقدونيين صارت تشمل المسلمين وغير المسلمين، لأنها نسبة إلى (مقدونيا) التي هي وطن الجميع، بخلاف (المقدون) التي يطلقونها على كفار المواطنين، فالمتعصبون من (المقدون) يسبون الأتراك ويصفونهم بأنهم مستعمرون، وبأن حكمهم يتسم بسمة الظلم والتعسف، ولكن المنصفين منهم يعلمون أن البلاد شهدت في العهد التركي استقراراً وأماناً استمر قروناً، وفي ظل ذلك الاستقرار والأمن شيدت أبنية جيدة، وعمرت أراضي بالزراعة كانت مهملة، ودخلت طوائف من أهل البلاد في دين الإسلام أفواجاً طواعية.

ولا يستطيع كفار المقدونيين أن يتظاهروا بسب المسلمين غير الأتراك، نظراً لكثرة المسلمين من الألبان وغيرهم فيها، إضافة إلى حرصهم على العلاقات التجارية، والمنافع الاقتصادية مع البلدان الإسلامية.

والذي جر إلى ذكر هذه الكلمات أننا وصلنا إلى شارع مهم يسمونه (الندن) على اسم حركة مقاومة مقدونية ضد الحكم التركي، قامت في عام ١٨١٢م.

وقد أسموه بذلك من باب إبقاء التعصب والكره للأتراك حياً في

النفوس، وإلا فإن عهد الأتراك قد مضى وانقضى منذ مائة سنة أو أكثر. فلِمَ نبش الماضي الذي لا صلة له بالحاضر.؟

وتكثر السيارات في شوارع المدينة، فهي أكثر من السيارات في زمن الحكم الشيوعي السابق.

حديقة المدينة:

تذكارية مع اللواء المتقاعد كمال سراج الدين في حديقة المدينة في إسكوبيا

تكثر الأشجار في الشوارع والميادين وحتى في الأفناء المكشوفة لبعض البيوت في المدينة، ومع ذلك رأينا حديقة مهمة عندهم يسمونها (قراد سي بارك) أي حديقة المدينة، وهي حديقة واسعة معتنى بها.

وتقع في وسط المدينة ولذلك اهتموا بها، في وسطها أماكن مرتفعة

فيها نوافير وأماكن مزينة، لذلك يقصدها السياح وغيرهم من الغرباء، ولهذا السبب وضعوا لافتة غريبة مكتوبة بالإنكليزية، مما يدل على أن المقصود بها هم السياح تقول: (ممنوع ممارسة الجنس وتناول المخدرات في الحديقة).

كأنما كان الذين كتبوا هذه اللافتة قد عثروا على من يفعل ذلك فيها من السياح، وأرادوا منعهم منه !!!

المبنى الذي أبى أن يستعمل:

لم نمضِ كثير وقت في (حديقة المدينة) رغم جمال الموقع وهدوئه، وإنما واصلنا الجولة في المدينة، فمررنا بالبريد المركزي وهو غريب الطراز، بحيث يبدو كالقارب، ومع ذلك هو باقٍ بدون طلاء، وربما كان هذا جزءاً من الفكرة الهندسية له.

ثم سلكنا شارعاً رئيسياً اسمه (كرستا ميسركوف) عليه مبنى المحكمة العليا الذي هو موضوع العنوان، كان المبنى مسجداً هدمته الحكومة وبنت على أرضه مبنى المحكمة العليا هذه، ولكن زجاج النوافذ فيه تكسر فأصلحوه فتكسر ثانية، ثم كرروا ذلك، وفي كل مرة يتكسر الزجاج، وهم في بلد بارد لا يمكن سكن مبنى بدون نوافذ يحميها الزجاج. قالوا: ولم يعرف سبب تكسر هذا الزجاج، وإنما بقي المبنى مهجوراً.

ولقد رأيت المبنى حديثاً ذا زجاج مكسور، وتساقطت بعض النوافذ

فيه، وقد سمعت هذه القصة أو هذا القول عنه من اثنين من المسلمين، وقد أخذوا ذلك مأخذ الجد، ربما كان مبعث ذلك ما في نفوس المسلمين من حرمة المساس بالمساجد، ولم أسمع شيئاً عن الموضوع من جهة الحكومة وعن أسباب هجر المكان وعدم استعماله.

وذكروا أن تاريخ هذا المبنى في مكان المسجد كان عام ١٩٧٣م، أي في وقت طغيان الحكم الشيوعي.

ولا ينبغي أن يفهم من ذلك أن حكومة مقدونيا تسارع إلى هدم المساجد، فالواقع أنها من أقل الحكومات في البلقان تعرضاً للمساجد، وإنما كانوا يبررون مثل فعلهم هذا بمبررات غير صحيحة، مثل عدم وجود مصلين في المسجد، أو وجود مسجد قريب منه يقوم مقامه، أو لكونه آيلاً للسقوط، مع أن هذا قليل كما ذكرت.

حديقة المدينة في إسكوبيا

هذا وكنت أبحث عن اثر للزلزال المدمر الذي سمعنا من الإذاعات والصحف عام ١٩٦٣م أنه أصاب مدينة إسكوبيا ودمر قسماً كبيراً من المباني فيها حتى سقطت بعض مآذن المساجد، فلم أجد له أثراً الآن، لأن معظم الأبنية المهمة التي أصابها الزلزال قد رممت أو أزيلت وبني غيرها في مكانها.

مأدبة الرئاسة:

كرمت رئاسة الاتحاد الإسلامي فأقامت مأدبة غداء حافلة لوفدنا، حضر معي فيها عضو الوفد اللواء المتقاعد كمال سراج الدين عضو مجلس الشورى في الوقت الحاضر، وهو من المتعاونين مع رابطة العالم الإسلامي كما قدّمت، والأستاذ رحمة الله بن عناية الله مدير إدارة الدراسات والبحوث في الرابطة.

وقد حضر المأدبة ١٤ شخصاً، وهي في مطعم راقٍ للمسلمين، كان عماد المأدبة اللحم بأنواعه ما بين شواء وصليق و(كفتة) وخضرات وبقول، وكانت مائدة سخية طعامها شهي مريء.

جامع مصطفى باشا:

بعد الانتهاء من الغداء استأنفنا الجولة في جانب آخر من مدينة إسكوبيا، فبدأنا بالاطلاع على جامع قديم مبني قبل أكثر من خمسمائة سنة، اسمه (جامع مصطفى باشا)، وهو مبني على الطراز التركي القديم

الذي هو أقرب إلى الطراز العربي المملوكي من الطراز التركي الحديث، وقرأنا تاريخ بنائه على لوحة فيه ظاهرة تاريخها شهر محرم عام ٨٩٠ هـ، وهو واسع حوله حديقة ومرافق عدة.

جامع مصطفى باشا الأثري في إسكوبيا

ويقع في حي القلعة الذي سمي على اسم قلعة تركية مبنية على تلة، قد بنيت حيطانها الخارجية بالآجر، وتشرف هذه القلعة على مدينة إسكوبيا الخضراء الجميلة، وقد صعدنا إلى مكان مرتفع في هذه القلعة، فشاهدنا منظر المدينة منها جميلاً بل رائع الجمال، فالأعشاب الطبيعية الخضر تملأ الأماكن الخالية من الأبنية والأشجار الخضرة النضرة في الحدائق وحول الشوارع، وحتى بعض البيوت تطل منها الأشجار، وبخاصة

ما كان قرب ضفاف النهر.

سوق سارة تشاركيا:

معظم البيوت في حي القلعة مبني بالحجارة والآجر، وشوارعه وأزقته مبلطة بحجارة صغيرة أو آجر، وذلك لكونه متدرج الارتفاع، يخشى على السيارات التي تسلكه أيام الأمطار والثلوج من الانزلاق، ومعظم البيوت فيه من طابق واحد أو طابقين.

دخلنا سوقاً فيه يسمونه (السوق التركي) أو السوق القديم، أرضه كلها مبلطة بالحجارة، وبعضها جعلوه على هيئة درج، وهو طويل متشعب، وكل ما فيه نظيف، بل غاية في النظافة.

دخلنا قسماً منه يسمونه (سوق الذهب)، وهو مخصص – بالفعل - لبيع المصوغات الذهبية التي أكثرها الحلي، وهو صغير بل حقير بالنسبة إلى أسواق الذهب الموجودة في البلدان العربية، وقسم منه فيه ملابس أكثرها من صناعة البلاد.

وسكان الحي مسلمون بأكثرهم، وليس ذلك فحسب، وإنما أكثر (الدكاكين) والبيوت التي فيه هي أوقاف إسلامية، ومعظم شوارع الحي مغلقة عن السيارات لضيقها وتدرجها.

وفي جانب منه مسجد اسمه (القاضي سوتشي جامع) أي مسجد القاضي سوتشي، بني - حسبما ذكروه لنا - في نهاية القرن السابع عشر الميلادي، وجدد حديثاً حيث انتهى تجديده عام ١٩٩٠م؛ فقد هدموه كلية

ثم أعادوا بناءه، وجعلوه طابقين: في الطابق الأول حوانيت (دكاكين) عديدة لوجوده في هذا السوق، وفي جانب من الطابق الأرضي محلات للوضوء على الشارع يدخل إليها منه مع باب.

ومنارته صغيرة قصيرة مجللة بالنحاس الأحمر، بخلاف المبنى القديم للمسجد، فقد كانت فيه منارة حجرية معتادة.

قابلنا في هذا السوق والأزقة الضيقة، أو لنقل التاريخية المحيطة به، عدداً من الإخوة المسلمين، منهم الشيخ إدريس إبراهيم، وهو من حفظة القرآن المشهورين المجيدين تلاوته، وذكر لنا الإخوة المرافقون أن أخته أيضاً تحفظ القرآن الكريم، وهي معلمة شهيرة أيضاً تعلم القرآن الكريم للنساء والأولاد.

ومن الأشياء المعروفة عنه أنه يختار لأولاده زوجات من اللاتي يحفظن القرآن الكريم، وزوجهم بالفعل من حافظات. كما امتنع أن يزوج بناته إلا من حفظة كتاب الله تعالى، وزوجهن بالفعل من أزواج حفظة.

وقد نوّه الإخوة بكثرة حفاظ القرآن الكريم في مقدونيا، فذكروا أحدهم وهو حافظ آدم، وآخر سمي على اسم العالم المشهور التفتازاني، فاسمه (سعد الدين التفتازاني) من الحفاظ المعروفين أيضاً، لكن الوقت لم يسمح بالاجتماع معهم.

وقد رأينا على البعد ونحن في هذا الحي جامعاً شهيراً أيضاً، هو جامع مراد باشا الذي بني عام ١٢١١هـ، وقالوا بهذه المناسبة: إن مراد باشا أيضاً حافظ شهير، بل هو من حفظة القرآن المشهورين.

الاجتماع بالعلماء والمفتين:

كان مغرب هذا اليوم حافلاً إذ كان موعداً لاجتماع بالمفتين والرؤساء الدينيين من أئمة الجوامع وعلماء الدين، ويذكر أن النظام عندهم أن يكون في كل منطقة أو مدينة دار للفتوى، يرأسها مفتٍ يكون مسؤولاً عن كل ما يتعلق بالأمور الدينية فيها.

وكانوا حددوا هذا الاجتماع في الخامسة من مغرب اليوم عندما وضعوا برنامج الزيارة قبل وصولنا إلى مقدونيا.

كان موعد الاجتماع هو الخامسة، وقد حضرنا مع أكثر الحاضرين قبل ذلك بقليل، لأن موعد صلاة المغرب يحين في الخامسة أيضاً، فصلينا صلاة المغرب جماعة معهم.

ثم بدأ الاجتماع في الخامسة والربع في قاعة الاجتماع في مقر الاتحاد الإسلامي، وعلى مائدة طويلة منعطفة الطرف، وقد حضر الاجتماع (٣٨) منهم من أنحاء مقدونيا، من أبرزهم:

١- الشيخ نجاتي عفت ليماني؛ مفتي محافظة تيتوفا.
٢- الشيخ عيسى أفندي إسماعيل؛ مفتي كومونوفا.
٣- الشيخ مجتبى شيخو؛ مفتي أستروفا.
٤- الشيخ ظفر أحمد؛ مفتي كرشيفو.
٥- الشيخ رجب نور الدين؛ مفتي إسكوبيا.
٦- الشيخ رشدي لاطا؛ مفتي دوبار.
٧- الشيخ عرفان إدريس؛ مفتي غوستوار.

٨- **الشيخ بلومب ولبوف؛ مفتي بيتولا.**

وبعد تلاوة آيات من القرآن الكريم تحدث الشيخ سليمان أفندي رجبي رئيس الاتحاد الإسلامي شاكراً حضورهم ومقدماً أعضاء وفد الرابطة إليهم، وشكر زيارتهم واهتمامهم بالإخوة المسلمين في مقدونيا، ثم قدم إلى وفد الرابطة العلماء الحاضرين ذاكراً أسماءهم ووظائفهم وأماكن عملهم.

وألقى الشيخ علي البرقوني كلمة بالمناسبة تضمنت الإشارة إلى تاريخ الإسلام في مقدونيا، والأدوار التي مرت على المسلمين ومعاناتهم من الحكم الشيوعي، وما يمارسه الصرب الأرثوذكس من إجراءات تهدف إلى تعطيل العمل الإسلامي، ولكن الاتحاد الإسلامي بتكاتف المسلمين عمل على ترميم وبناء المساجد، والإشراف على إدارة مدرسة عيسى بك الإسلامية، وإصدار جريدة باسم (الهلال)، وطبع ونشر كتب إسلامية، ويعمل على إنشاء كلية إسلامية وابتعاث الطلاب إلى جامعات ومعاهد إسلامية، وتقديم برامج إسلامية في الإذاعة والتلفاز، والمشاركة في مؤتمرات دولية وإسلامية، وتقديم المساعدات إلى اللاجئين البوسنيين.

ثم أعطوني الكلمة، فشكرت لرئاسة الاتحاد تنظيم هذا الاجتماع وللعلماء والمفتين حضورهم، وما جاء في كلماتهم من معلومات، موضحاً لهم أهداف رابطة العالم الإسلامي وعملها ونشاطها، ونقلت إليهم تحيات الإخوة المسلمين في الأراضي المقدسة والمسؤولين في الرابطة، وأشرت إلى أهمية اجتماع كلمة المسلمين وتعاونهم وتآلفهم، وخاصة في البلدان التي

يشكلون فيها أقليات.

وأعربت عن سروري وسرور أعضاء وفد الرابطة لزوال ما كان بين زعماء المسلمين من خلاف، وعودة المحبة والوئام بينهم، وأن هذا أدى إلى الاطمئنان، وخاصة أن الوفد كان يهدف من زيارته الاجتماع إليهم وإصلاح ما قيل إنه حصل بينهم من نزاع، وكانت كلمتي بالعربية دون ترجمة، لأنهم كلهم يجيدون العربية.

وبعد ذلك تحدث الدكتور رجب بوبا ياشار رئيس المشيخة الإسلامية لمسلمي كوسوفا، الذي حضر خصيصاً من صربيا لمقابلة وفد الرابطة، بعد أن علم بتعذر دخول الوفد إلى صربيا، وذكر في كلامه المعاناة والصعوبات التي يلاقيها المسلمون من السلطات الصربية في كوسوفا وتأزم الوضع هناك، وطالب في نهاية حديثه بالاهتمام بمساعدة المسلمين في صربيا.

ثم تحدث بعده بعض الحاضرين معلقين وسائلين، فمنهم من انتقد اهتمام الهيئات الاسلامية بالمسلمين في البوسنة وألبانيا، وإهمالها لبقية الجماعات الإسلامية في مقدونيا وصربيا، وطالب شخص ثانٍ بتعزيز العلاقة بين الرابطة ومسلمي مقدونيا، وقبول عضو منهم في الرابطة، وأشار شخص ثالث إلى أوضاع الطلاب المقدونيين الذين قطعت عنهم الرابطة المنح الدراسية، وهم يدرسون في تونس، ثم وجه الحاضرون دعوة لوفد الرابطة لحضور الاجتماع الخاص في مكتب دار الإفتاء في مدينة تيتوفا بعد صلاة الجمعة إتماماً لعملية المصالحة بين الشيخ نجاتي عفت

ليماني مفتي تيتوفا والشيخ سليمان أفندي رجبي رئيس الاتحاد الإسلامي، وكذلك لحضور الاحتفال الخاص بوضع الحجر الأساسي لمسجد في بلدة لابونشتا LABUNISTA التابعة لمدينة أستروغا STRUGA في ظهر يوم السبت ١٤١٧/٦/٧ هـ.

وقد أجبتهم على أسئلتهم واستفساراتهم، وطمأنتهم على اهتمام الرابطة بهم قبل الدعوة الموجهة إلينا لحضور المناسبتين، وشكرتهم على نشاطهم واهتمامهم بالعمل الإسلامي.

هذا وكانت أسئلتهم كثيرة، وسروا بما شرحته لهم عن أحوال المسلمين الحاضرة في أنحاء العالم؛ لأنهم كانوا متعطشين لسماع تلك الأخبار، ولم يجدوا من يخبرهم عنها الخبر اليقين.

وقد انتهى الاجتماع في الساعة الثامنة.

طباعة الكتب الإسلامية بالألبانية:

عقدنا بعد ذلك اجتماعاً في مقر الاتحاد الإسلامي مع رئيس الاتحاد الشيخ سليمان أفندي رجبي الذي يعرف العربية جيداً، لأنه كان قد تعلم في جامعة الكويت، حضره الدكتور رجب بويا رئيس المشيخة الإسلامية في إقليم كوسوفا في صربيا، وهو صديق قديم وكان تلميذاً لي في الجامعة الإسلامية في المدينة المنورة، وحضره عدد من المسؤولين في الاتحاد، ومنهم المسؤول المالي والمحاسب وأمين الصندوق. وجرى في الاجتماع بحث الطلب الذي كان قد قدمه المسلمون في مقدونيا لطباعة

عدد من الكتب الاسلامية باللغة الألبانية، التي هي لغة أكثرية المسلمين فيها، وكنا قررنا في رابطة العالم الإسلامي تقديم مساعدة مالية لهم على ذلك، وهي خمسة عشر ألف دولار أمريكي لهذا الغرض، واتفقنا على طبع ستة كتب من بين عدة كتب كانوا قد تقدموا بها، فسلمنا المبلغ بحضور المذكورين، كما سلمتهم مساعدة رمزية من ا لرابطة للاتحاد الإسلامي على تسيير أموره الإدارية والإعلامية الإسلامية.

وهذه هي الكتب مع أعداد النسخ التي ستطبع منها:

١- علم حال، تأليف نعيم حاج عبديتش	باللغة الألبانية	٦٠٠٠ نسخة
٢- علم حال، تأليف نعيم حاج عبديتش	باللغة المقدونية	١٧٠٠ نسخة
٣- ملخص مبادئ الإسلام،تأليف عبد الشكور خلي لي	باللغة الألبانية	٧٠٠٠ نسخة
٤- الحقائق الأساسية للإسلام، تأليف عبد الله أسعد	باللغة الألبانية	٦٠٠٠ نسخة
٥- الحقائق الأساسية للإسلام، تأليف عبد الله أسعد	باللغة التركية	١٠٠٠ نسخة
٦- الحقائق الأساسية للإسلام، تأليف عبد الله أسعد	باللغة المقدونية	١٢٠٠ نسخة

يوم الجمعة: ١٤١٧/٦/٦ هـ

إلى مدينة تيتوفوا:

مدينة تيتوفوا من المدن الرئيسية تقع على بعد ٤٣ كيلو متراً من العاصمة أسكوبيا، ويقدر عدد سكانها بـ (٨٥) ألفاً، أكثرهم من المسلمين الألبان.

ولذلك تقرر أن نزورها اليوم، ونؤدي صلاة الجمعة مع أهلها.

بدأنا يومنا بتناول الفطور في فندق كونتنتال الذي نقيم فيه، ثم دفعنا له أجره عن الليلة الواحدة ٨٠ دولار أأمريكية للشخص الواحد منفرداً في غرفة، وقد تعجبنا من كثرة النزلاء فيه الذين لا يستطيع المرء أن يفرق بينهم وبين المواطنين على البعد؛ لأن الجميع مظهرهم مظهر الأوروبيين، ولكنه قد يعرف المواطنين بتدني مستوى اللباس والمتاع والأدوات التي تكون معهم، على أنه من المستبعد أن ينزل المواطنون في مثل هذا الفندق الغالي، ولكن البلاد الآن هجرت الشيوعية، وفيها مستقبل جيد للصناعة، وخاصة الصناعات الزراعية، لذلك يكثر فيها رجال المال والباحثون عن الاستثمارات في الوقت الحاضر.

ثم انتقلنا إلى مقر الاتحاد الإسلامي الذي يقع على شارع كارسيكا ويملكه الاتحاد الإسلامي، فقضينا فيه وقتاً مع رئيس الاتحاد والموظفين فيه، وتابعنا ما كنا بدأناه من قبل، وفي الحادية عشرة والنصف غادرنا أسكوبيا قاصدين تيتوفوا على سيارة رئيس العلماء الشيخ سليمان رجبي

وبصحبته.

وكان أول ما لاحظناه عند مغادرة المدينة أن ريفها خصب جداً، ولكنني رأيت فيه كومة من القمامة لم ترفع.

ثم وصلنا إلى جبال متطامنة وربى خضر، وعندما أبديت إعجابي بها ذكروا أن الخضرة في وقت الربيع تكون أكثر، ومعلوم أننا الآن في فصل الخريف، ولكنه بالنسبة لنا هو ربيع من الربيع المبكر، لأنه لا أثر للحر هنا، بل إن الجو بارد جداً، وأينما توجه المرء بنظره يرى الخضرة بل والزهور في بعض المواقع.

وتتناثر البيوت الجميلة المظهر بسقوفها الحمر في أكناف هذه الجبال المتطامنة وأحضانها، وفوق ظهور الربى الخضر.

المآذن أكثر الأبنية ظهورا:

قلّ أن يرى المرء قرية من الطريق إلا ويرى مئذنة السجد هي أعلى مبنى فيها، وهذا أمر مفرح للمسلم، وهو يذكره - كما يذكر غير المسلمين - بوجود الإسلام والمسلمين في هذه المناطق التي يعرف أنها مناطق إسلامية، مع انه توجد مناطق يسكنها المسيحيون، أو يكون أغلب سكانها من المسيحيين، ويكون فيها كنائس، ولكن لا تكون أبراج الكنائس فيها عالية، لأن ذلك يكون في الغالب في المدن.

ويلاحظ المرء أن المزارع والحقول الزراعية التي يراها من الطريق والأرض كلها مزروعة هي صغيرة ضيقة المساحة، يعرف ذلك من حدود

الشارع، وذلك ناشئ عن الحكم الشيوعي الذي تمتلك الحكومة فيه الأراضي الواسعة، ولا يكون للعامة من الشعب إلا مساحات محدودة ضيقة من المزارع.

والطريق جيد جداً، وقد حرصوا على وضع الحواجز في المنعطفات وفي الأماكن التي تمر بالوديان وفي الأماكن العميقة .

ومع ذلك لاحظت كثافة في السيارات التي تمر عليه من سيارات الركوب الصغيرة إلى الشاحنات.

قرية جاليل نو :

مررنا بقرية اسمها (جاليل نو) أهلها كلهم مسلمون، ولاحظت كثرة أشجار العنب الذي تسنده أعواد واقفة وليس عرائش واسعة كالعنب عندنا، ورأيت بعض القرويين من رجال ونساء وأطفال يعرضون على الطريق عنباً قطف لتوه من شجره، ولم يكن الوقت والظرف يسعفنا بالوقوف عندهم وشراء شيء منه، ومعرفة نوع العنب وجودته أو رداءته.

ورأيت منارة المسجد شامخة في قرية (جاليل نو) هذه التي يسكنها مسلمون ألبان، وقبة المسجد عربية على الطراز التركي، وهي لامعة مما يدل على عنايتهم بالمسجد، وتعهده بالإصلاح والطلاء.

هذا ونحن نسير الآن متجهين إلى جهة الغرب من العاصمة (أسكوبيا) وسوف نستمر بهذا الاتجاه حتى الوصول إلى (تيتو فوا).

أشجار التفاح :

رأينا مساحات كثيرة مزروعة بأشجار التفاح المثقلة بالثمار، وقد استمر ذلك مما أكد ما سمعناه وعرفناه من قبل من كون هذه البلاد المقدونية من البلاد المشهورة بإنتاج الفاكهة وتصديرها، ويمكن وصف المنطقة بأنها (جنة أرضية) يسكنها أهلها الذين هم مسلمون.

هذه تيتو فوا :

وصلنا بسرعة إلى مشارف مدينة (تيتو فوا)، إذ هي قريبة لا يزيد بعدها عن (أسكوبيا) على ٤٣ كيلو متراً، وحديث الشيخ سليمان رجبي كان شيقاً طريفاً بالنسبة إلينا، بمعنى أنه تناول أكثر ما تناول أموراً مهمة من أحوال المسلمين بخاصة، وأحوال هذه البلاد المقدونية عامة، مما لم يكن لنا به علم من قبل .

الناحية الشرقية من مدينة تيتو فوا

كان أول ما رأينا منها أبنية عديدة متعددة الطبقات (عمارات) من التي سميتها (العمارات الشيوعية)، لأنها موجودة في جميع المدن التي كان يحكمها الشيوعيون؛ إذ الشيوعيون كانوا منعوا الأفراد من إنشاء البيوت الخاصة لهم، كما منعوا الشركات والأثرياء الأجانب من إنشاء (العمائر) عندهم تلافياً للاستغلال - كما يقولون - وأعلنوا بديلاً من ذلك أنهم يتكفلون بإنشاء مساكن شعبية لعامة الناس يؤجرونها عليهم بأجور رمزية لا ترهقهم كما يقولون، وكانت الطريقة الوحيدة عندهم لذلك هي إنشاء (عمارات) كبيرة تتألف من شقق صغيرة أو متوسطة لهذا الغرض، وكانوا يبنون تلك (العمائر) في أطراف المدن خارجة عن مركز المدينة القديمة.

ثم دخلنا أطراف المدينة التي كثرت الأشجار في شوارعها وبيوتها، ويطل عليها من الشمال جبل أخضر اسمه (شار) يجلل أكتافه غيم أبيض، وهو جبل خصب ولا بركان فيه، وإنما توجد بركة طبيعية من الماء في قمته، وهي التي تسميها العامية عندنا (قلته)، وربما كانت في موضع فوهة بركان قديم فيه.

وأرصفة الشوارع الرئيسية في المدينة جيدة، ولكن أوراق الخريف الصفر الساقطة من الأشجار تجللها إلا أنها لا تبدو كالقمامة أو النفايات المؤذية للمنظر، لان الأرصفة تحتها نظيفة من قبل.

ولما أبديت إعجابي بنظافة ما رأيته من المدينة والعناية فيها علق الإخوة على ذلك بقولهم: إن أعضاء البلدية مسلمون في أغلبهم.

وصادفت طلاباً وطالبات صغاراً قد خرجوا من مدارسهم، فكانوا

على غاية من النظافة والنضارة، خلاف ما كنت رأيت طلاب أبناء عمومتهم الألبان في ألبانيا نفسها قبل سنوات إذ كان يتجلى النقص في التغذية على وجوههم، وتتجلى الحاجة على ثيابهم، لأنهم كانوا خارجين لتوهم من حكم شيوعي متعصب أفسد الدين والدنيا .

أما هؤلاء الطلاب المقدونيون، فإنهم كانوا واقعين في السابق داخل جمهورية يوغسلافيا الاتحادية التي معنى اسمها: السلاف الجنوبيون، لأن يوغو جنوبي أو جنوبيون، و(سلافيا): سلافي، والسلاف هم جنس من الناس يسكنون البلقان، وتمتد بلادهم أو مواقع سكناهم شمالاً حتى تصل أوكرانيا، بل إن الروس الأصلاء أنفسهم يعتبرون من السلاف، ويعرف قومنا من المؤرخين العرب السلاف باسم (الصقالبة): جمع صقلبي وذلك لأن اسمهم في اللاتينية (سوكلاف).

شارع جامع الاجه في تيتوفوا

في يوغسلافيا على هيئة أقليات، مثل الألبان والسنجق من الإخوة المسلمين.

والشاهد الذي نريد أن ننوه به هنا أن (يوغسلافيا) منذ أن اختلف الرئيس تيتو في شيوعيته عن الاتحاد السوفييتي، وبادرت أمريكا والدول الغربية إلى تشجيعه واجتضانه نكاية بالروس، فإن شيوعية يوغسلافيا تميزت بالمرونة، وبالتالي بحصول الشعب على مزيد من الحرية في الدخول والخروج والعمل في الخارج، مما رفع مستواه المعيشي أكثر من الفرد في بلدان أوربا الشيوعية التي كان من أكثرها سوءاً الشيوعية الألبانية، وقد ذكرت ما شاهدته في ألبانيا خلال جولة واسعة فيها في كتاب: ((كنت في ألبانيا)) وهو مطبوع.

ولاحظت أن لباس الطالبات طويل، وأخبرني أهل البلدة بعد ذلك أن هذا هو الذي تقرر رسمياً بالنسبة إلى بنات المسلمين، أما بالنسبة للفتيات في المدارس من غير المسلمات، فإنه أقصر وأقل ستراً للساقين. الجامعة الملون:

المصلون في فناء جامع الاجه في تيتوفوا

قصدنا رأساً إلى (ألاجا جامع)، ومعناه المسجد الملون، ذكروا أنه معروف عند الناس بأنه المسجد الملون، وذلك لكون داخله منقوشاً بنقوش ورسوم ملونة لأشجار وزهور ونحوها، وهو جامع رئيسي في المدينة، فوجدناه مليئاً بالمصلين، حتى فناؤه الخارجي مليء أيضاً مما جعلني أتساءل عما إذا كنا نستطيع أن نجد مكاناً في الفناء، لان المصلين قد رصوا أنفسهم رصاً، وإن كان ذلك على هيئة صفوف منتظمة، ولكن المسؤولين في المسجد والمدينة من المسلمين لديهم علم بمجيئنا، وعلى رأسهم الشيخ (نجاتي عفة ليماني) مفتي تيتو فوا، ونحن معنا أكبر شخصية إسلامية في البلاد الشيخ سليمان رجبي رئيس الاتحاد الإسلامي في مقدونيا .

كان المؤذن يصدح بالأذان عند دخولنا بصوت رخيم وأداء جميل ونحن نخترق الصفوف خلف أحد المشايخ المستقبلين حتى وجدنا مكاننا في الصف الأول خلف الإمام مباشرة خالياً قد أعدوه من قبل.

الصلاة في جامع ألاجه في تيتوفوا

وكان المسجد نفسه وهو المصلى المسقوف مليئاً جداً بالمصلين، ليس فيه مكان لرجل واحدة، وذلك في صفوف منتظمة لا عوج فيها ولا نشاز، حتى في مثل هذه الساعة التي هي قبل الصلاة.

جمعة تيتوفوا:

صعد المنبر الشيخ (عبد الباقي القاسم) عليه عباءة سعودية، وهو متخرج من جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض، مثله في ذلك مثل مفتي (تيتو فوا) الشيخ (نجاتي عفة ليماني) الذي حصل على الماجستير من جامعة الإمام أيضاً.

ألقى الشيخ (عبد الباقي القاسم) خطبة الجمعة بالعربية كما يلقي أحد الخطباء العرب خطبته في البلدان العربية، وذلك من حيث صحة لفظه بالعربية، وعدم وجود أي لكنة، أو ما يشير إلى عجمة فيه.

المصلون في داخل جامع ألاجه في تيتوفوا

وعرفت من بعضهم أن المصلين يسمعون موعظة قبل الأذان باللغة

الألبانية، لذلك يكتفي الخطباء في بعض المساجد بالخطبة بالعربية، ومع ذلك واصل خطبته بعد العربية التي هي قصيرة باللغة الألبانية، وكانت العربية نحو ثلث الخطبة، وكان يكرر بالألبانية جملة (الله جل جلاله) مع ملاحظة أن بين المسلمين وخاصة في هذه الجمعة بالذات عدداً من الأئمة وطلبة العلم المتخرجين من الجامعات العربية يفهمون العربية، وإن كانت نسبتهم ضئيلة إلى باقي المصلين؛ لأنهم اجتمعوا هنا من القرى والمساجد الأخرى لمناسبة قدوم وفد الرابطة وبصحبته رئيس الاتحاد الإسلامي. ومع ذلك كان الشيخ قاسم يفسر بعض الأشياء بالألبانية.

وقد ذكر الشيخ القاسم في الخطبة مجيئنا وذكر أسماءنا، وأنني سوف القي كلمة في المصلين بعد الصلاة.

وبعد أن سلم الإمام قال المؤذن بصوت عالٍ: (إن الله وملائكته يصلون على النبي ﷺ يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما)، ثم سكت وبعد قليل قال : سبحان الله، ثم كذلك الحمد لله والله أكبر ، كأنما يقول ذلك ليتابعه المأمومون، وإن كانوا يتابعونه سراً، ثم دعا الإمام سراً، وبعد ذلك بدؤوا بصلاة النافلة ٦ ركعات في ٣ تسليمات، وبعضهم صلاها ٨ ركعات في ٤ تسليمات.

بعد هذه الصلاة الخاشعة – نسأل الله تعالى أن يتقبلها - نهض الشيخ (نجاتي عفة ليماني) مفتي (تيتو فوا) فقدمنا إلى الإخوة المسلمين، وذكر شيئاً من ترجمتي، وأنني أشغل وظيفة الأمين العام المساعد لرابطة العالم الإسلامي التي لها علاقات أخوية مع المسلمين في جميع أنحاء العالم.

ثم ألقيت فيهم من مكبر الصوت في المسجد كلمة طويلة، كان الشيخ أيوب سلمان رئيس الأئمة في تيتو فوا يترجمها من العربية إلى الألبانية، والشيخ أيوب متخرج من بغداد، وحاصل على الماجستير منها.

المؤلف يلقي كلمته في جامع الاجه في تيتوفو ا

وقد تضمنت كلمتي التعريف برابطة العالم الإسلامي، والسرور الذي شعرنا به عندما وصلنا إلى هذه البلاد المقدونية، والتقينا بالإخوة المسلمين فيها من العلماء والمفتين وأئمة المساجد وعامة الشعب.

وبينت لهم قوة الرابطة التي تربط بين المسلمين، وأننا في رابطة العالم الإسلامي مستعدون للتعاون معهم على البر والتقوى من دون أن نتدخل في

شؤونهم الخاصة، ولا في شؤون بلادهم العامة.

ثم أوصيتهم بتقوى الله تعالى ومراقبته في السر والعلانية، وأن يأخذ كل واحد منهم بالإسلام في كل شيء من المعاملات والسلوك في الحياة، مثلما يأخذون به في العبادات، لأنه ورد في الأثر: ((الدين المعاملة)) ولأن المسلم إذا التزم ما أمره الله به ورسوله في تعامله مع الآخرين فإنه يكون المثل الأعلى للسلوك وحسن المعاملة.

وعندما انتهيت من إلقاء كلمتي جاء الإخوة المصلون للسلام في صفوف منتظمة من دون إزعاج أو نشاز، فكنا واقفين بجانب رئيس الاتحاد الإسلامي والمشايخ، فيسلمون علينا وعليهم، ويصافحون بانتظام حتى لم يبق منهم أحد يريد أن يسلم على إخوانه القادمين من مكة المكرمة إلا وسلم. ولاحظت أنهم ليسوا كأناس في بعض البلدان البعيدة التي زرناها كانوا يسلمون علينا في صف ثم يعودون للسلام ثانياً يريدون بذلك التقرب بمصافحة إخوانهم القادمين من جوار الكعبة المشرفة.

بعد أن سلم الإخوة المصلون الذين كان عددهم كبيراً لا أظنه يقل عن ثلاثة آلاف مصلٍ، أخذنا نتجول في هذا الجامع العتيق الذي بني في القرن الخامس عشر، وعرفوا بانيه بأنه عبد الرحمن باشا، ولم يذكروا أكثر من ذلك من اسمه، مع أنه يستحق التنويه، لأنه مسجد قديم فخم البناء ذو منارة شاهقة، ومبني بطريقة جيدة صمدت للزلازل ولعاديات الزمن الأخرى.

المدرسة القرآنية:

مع المرافقين عند قسم البنات في المدرسة القرآنية في جامع ألاجه في تيتوفوا

صعدنا إلى طابق ثانٍ فوق جزء من الجامع مع درج ضيق واقف صعب المرتقى بسبب ضيق موضع الدرج إلى (المدرسة القرآنية)، وبعضهم سماها مدرسة تحفيظ القرآن الكريم وتجويده، وهذا وصف لها وليس اسمها.

فرأينا فيها عجباً من العجب إذْ رأينا طائفة من الفتيات في عمر الزهور، وفي نضارة الورود، قد لبسن لباساً سابغاً أكثره اللون الأبيض الناصع، لم يظهر منه إلا وجه الفتاة وكفاها، وقد حملن المصاحف وهن يدرسن كتاب الله تعالى تلاوة وتجويداً.

ولم نطل الوقوف عندهن لأن فيهن من تجاوزن الخامسة عشرة، فلم يرض الإخوة الجلوس عندهن لاستماع التلاوة، لأنهم يعرفون أن ذلك ليس مستساغاً عندنا، وإنما اخترقنا حاجزاً من القماش، هكذا فصلوا بين

الذكور والإناث بحاجز من القماش لضيق المكان وكثرة المقبلين على تعلم القرآن الكريم وتجويده من الأبناء والبنات خلف حاجز القماش أو الستارة، وجدنا طائفة من الأبناء تتراوح أعمارهم بين السادسة عشرة والسادسة مثلهم في ذلك مثل البنات، إلا أنني لاحظت أن البنات فيهن عدد قليل ممن تجاوزن هذا السن فيما يظهر للناظر إليهن بسرعة.

البنات في المدرسة القرآنية في جامع ألاجه في تيتوفوا

وهن جلسن على الأرض دون مقاعد، لأنهم كلهم بين بنين وبنات يجلسون على الأرض دون كراسٍ، ولكنهم فرشوها بفراش لا بأس به، لأن برد بلادهم يمنع من الجلوس دون فراش واقٍ.

استقبلنا الشيخ محمود أصلان الذي هو المدرس الوحيد للمدرسة يدرس المجموعتين من البنين والبنات ووجدناه في المدرسة وهو يتنقل بين المجموعتين.

وهو رجل صالح يبين نور الإيمان وسكينته على وجهه، عمر ٦٤ سنة وظني أنه مثل معلمي الكتاتيب في بلادنا في القديم؛ حيث يكون في

الكتاب الذي كنا نسميه مدرسة، ولا نعرف له اسماً غير هذا الاسم، لأن قومنا لم يكونوا يعرفون أنه توجد أنواع من المدارس غيره، يكلفون أحد تلامذتهم الكبار المجيدين أن يساعدهم على تعليم من هم أقل منه سناً، وأقل معرفة، أو أحدث عهداً بدخول المدرسة.

ذكر الشيخ محمود أصلان أن عدد تلامذته يصل إلى ٣٠٠ ما بين بنين وبنات، وأن الذي يمنع من زيادتهم هو ضيق المكان، حتى إن بعضهم يأتون إليه بالدور، وأن المدرسة خاصة بتلاوة القران الكريم وتجويده، وطلبنا إليه أن يسمعنا تلاوة من أحد تلامذته، فلم يتخير واحداً بعينه، وإنما طلب منا ومن الإخوة المرافقين أن نختار أحد الأبناء، فاخترنا واحداً اسمه (فاضل حسين) عمره ١٢ سنة، فقرأ قراءة مجودة متقنة يحسده عليها كثير من الطلاب الذين في سنه في بعض البلدان العربية. ثم أحضروا بنتاً في حدود العاشرة، فقرأت قراءة جيدة إلا أن الخجل كان واضحاً على وجهها، ورأيتها تضع أصبعها على الحروف في المصحف.

المؤلف على يمينه الشيخ محمود أصلان مدرس الأطفال في المدرسة القرآنية في جامع ألاجه في تيتوفوا

ومن الغريب أن الشيخ ذكر لنا أن إقبال البنات على هذه المدرسة القرآنية أكثر من إقبال الأبناء.

وهذا أمر رأيت مثيلاً له في جنوب شرق أسيا في إندونيسيا وماليزيا حيث يكون طلبة المدارس الإسلامية من الإناث أكثر من الذكور.

وقد تجلى ذلك في فطاني، وهي منطقة المسلمين في جنوب تايلند، وذكرت ذلك في كتاب : ((فطاني جنوب تايلند)) وهو كتاب مطبوع.

تجلى زهد الشيخ محمود أصلان مدرس القران هذا، وصدق تدينه عندما أعطاه أحدنا شيئاً من النقود فردها، وأبى أن يأخذها ولم يقبلها إلا بعد إلحاح وإقناع من بعض المشايخ المرافقين.

هذا وقد انتهينا من تفقد الجامع بعد الثالثة، فانطلقنا مع الإخوة في رتل من السيارات إلى مطعم ألباني نظيف اسمه (سيرينا)، وقد تغدى معنا في المطعم من لم يكن قد تغدى من قبل لأن الساعة قد بلغت الثالثة والربع عندما دخلنا المطعم.

وكان عدد الذين تغدوا معنا تسعة، وانتهزنا الاجتماع بهم في هذا المطعم النظيف وعلى طعام للمسلمين، وقلت لهم من بين ما قلته: إنني لاحظت أن عامة المصلين في الجامع قد تنفلوا بركعات عديدة محدودة لم يخل بذلك منهم أحد إلا من خرج بعد انتهاء الصلاة، وعددهم قليل لا يعتد به، فهم في هذا كالإخوة الأتراك الذي يلتزمون بالتنفل بثمان ركعات بعد صلاة الجمعة، لا يخل بها أحد منهم، ولا يستطيع من يريد أن يخرج بعد انقضاء فريضة الجمعة لأن صفوفهم تكون مرصوصة لا يوجد فيها ممر له.

مع الأطفال في المدرسة القرآنية في جامع الاجه في تيتوفوا

وهذا جعل كثيراً من العوام يعتقدون أن هذه الركعات التي هي تطوع واجبة لازمة لا يجوز الإخلال بها، مع أن بعضهم تكون صحته ليست على ما يرام، أو تكون لديه أشغال تحتم عليه أن يباشرها، أو يكون له مال يخشى عليه الضياع إذا تأخر في المسجد.

لذا أرى أن توضحوا للناس بأن هذه الركعات إنما هي نافلة، من أداها كان له أجر عظيم، وإذا قبلت عند الله فإنها خير من الدنيا وما فيها، ومن تركها فليس عليه إثم بل ليس عليه حرج لأنها غير مفروضة، وإنما المفروض هو صلاة الجمعة.

وذلك لأنني سمعت في بعض البلدان الشمالية أن بعض الشبان والفتيان يريدون أداء الصلاة، ولكن يثقل عليهم هذه الركعات التي تحتاج إلى وقت طويل، ولا يستطيعون - كما يقولون - أن يخرجوا من المسجد قبلها، لئلا يكونوا عرضة للوم أو حتى للرمي بالجهل أو الاستخفاف بالدين.

وقد علقوا على ذلك بقولهم : إن هذا صحيح، ولكن العلماء لا يوضحون ذلك للعامة حذراً من أن ينسبوهم للتساهل في الدين ومخالفة ما كان عليه الآباء والأجداد من التمسك بأداء النافلة بعد الجمعة على هذه الصفة التي تقرب أن تكون جماعية، وإن كان كل واحد يصلي لنفسه.

فقلت لهم : إن مَا قلته ليس استنكاراً للنافلة، ولكنه تحذير من أن يعتقد بعض العامة أن شيئاً منها مفروض بعد صلاة الجمعة لا بد من أدائه.

جولة في مدينة تيتوفوا :

المؤلف في مدينة تيتوفوا

ليس لاسمها علاقة باسم رئيس جمهورية يوغسلافيا السابق (تيتو)، واسمه الكامل (جوزيب بروز تيتو)، وهو كرواتي من الكروات الذين يحلو لبعض الكتاب العرب أن يسميهم (الخروات) - بالخاء - على اعتبار أن هذا هو الأصل في تسميتهم، ولكن اللغة الإنكليزية ليس فيها حرف الخاء فكتبوها كافاً.

فاسم المدينة من اللغة الألبانية، لأن الألبان قدماء السكنى في هذه البلاد مثل بعض أنحاء منطقة البلقان، فاسمها (تيتو فوا) مؤلف من كلمتين ألبانيتين: الأولى (تيت) ومعناها: ثمانية، و(فوا) معناها: هجوم بالألبانية، ولم يعرفوا سبب هذه التسمية.

وأما القول بأن الألبان أقدم من سكن المنطقة من غيرهم، فإنهم قد كرروا ذلك وعزوه إلى أسلافهم الذي يسمون (اليرِ)، ويعرفون بالأليريين كان منهم أناس سكنوا في ناحية من جبال القوقاز، والآن منهم الألبان في جمهورية ألبانيا الحديثة التي عاصمتها (تيرانا)، ولهم الأكثرية فيها، وفي مقدونيا هذه، ويقولون: إنهم يؤلفون نصف سكانها، وكذلك توجد منهم أقلية في صربيا أكثرها موجودة في إقليم (كوسوفا)، فإن سكان هذا الإقليم هم من الألبان المسلمين بأغلبية ساحقة تصل إلى ٩٠٪، وهناك أقلية ألبانية كبيرة مسلمة في جمهورية الجبل الأسود قد تصل إلى ٤٠٪ من عدد السكان.

وقد سمعت اليوم طرفتين من الإخوة الألبان: أولاهما أن معنى كلمة (اليرِ) التي كان يسمى بها الألبان القدماء هو (حُرّ) - من الحرية - على حين أن كلمة (سلاف) التي يسمى بها السلافيون وأكثرهم يعتنقون الدين المسيحي في الوقت الحاضر على اختلاف مذاهبهم فيه، إذ الصرب وأغلب السكان السلاف في صربيا والجبل الأسود هم أرثوذكس، والسلاف في كرواتيا هم من الكاثوليك.

قالوا: ومعنى كملة (سلاف): عبد - من العبودية - هكذا كانت عندما كان الرومان يلفظون بها بلفظ سكلاف. ثم إلى الوقت الحاضر الذي صارت فيه (سلاف) ولا تزال كلمة (سلاف) تعني (عبداً) باللغة الإنكليزية، وتطلق بالإمالة (سليف).

أقول: أخذ أسلافنا العرب كلمة (صقالبة) للسلافيين من اللفظ الروماني (سكلاف).

والشيء الطريف الآخر أنهم ذكروا أن الإسكندر المقدوني الفاتح الشهير كان ألبانياً من (مقدونيا) هذه، وليس كما يزعم اليونان بأنه يوناني.

وعلل بعضهم ذلك بأن اسم (مقدونيا) الحالية يتألف من كلمتين إحداهما: ماجه (MAGYE)، والثانية: ذان DHAN ، ومعنى الكلمتين: الذين يطعمون الطعام، وقد تطور اللفظ به حتى صار (مقدونيا).

وتعتبر مدينة (تيتو فوا) مدينة مسلمة بأكثرية سكانها وبالمآذن وقباب المساجد التي تزين جوها ففي داخلها سبعة مساجد رغم مرور الحكم الشيوعي عليها، بل توطده فيها لسنين طويلة.

وتتبعها مجموعة من القرى المسلمة كلها فيها مساجد.

انتهينا من الغداء في المطعم في الرابعة والربع، فذهبنا في جولة سريعة على أماكن مهمة في مدينة (تيتوفوا)، فسلكنا شارعاً رئيسياً يسمونه الشارع الدائري لكونه يدور حول قسم كبير من المدينة. رأينا من بين ما رأيناه فيه مصنعاً لصناعة الألبسة.

ومررنا بمحلات عديدة تبيع الأثاث الخشبي الذي يصنع في مصانع محلية، لأنه يقطع من غابات وأشجار موجودة في البلاد.

الجبال الخضر:

كل الجبال التي يراها المرء في هذه المدينة هي خضر، بعضها كثيف الخضرة مجلل بالأشجار، وبعضها أقل من ذلك.

وقفنا عند سطح جبل أخضر من هذه الجبال في مكان يسمى (راباتي بابا تيكه) أسفله أراضٍ وعقارات كانت أوقافاً للمسلمين استولى عليها الشيوعيون إبان حكمهم ليوغسلافيا، وفي جزء منها مقبرة إسلامية رأينا القبور فيها مثلما عليه القبور عندنا من عدم الرفع، ومن عدم البنيان، فلم أرَ فيها أيَّ مبنى، ولم أر فيها قبراً مرفوعاً أكثر مما ينبغي.

مع المفتي ورحمة الله في المرتفع قرب تيتوفوا

وقد ذكر لي المشايخ المرافقون أن المسلمين الآن يطالبون الحكومة بإعادة هذه الأوقاف الإسلامية لأنهم يملكون الأوراق التي تثبت أنها للمسلمين، وهي الآن تساوي مبالغ كبيرة من المال لأن عمارة المدينة قد توسعت، ولكون الناس صاروا الآن أحراراً في أن يبنوا لهم بيوتاً خاصة، فكثرت البيوت الخاصة، واتسع الطلب على الأراضي والعقارات.

جبل شار:

يتصل الموقع الذي ذكرته وهو (راباتي بابا تيكه) بجبل (شار) لأن الجبل فوقه متصل به، لذلك أراد الإخوة المرافقون - جزاهم الله خيراً - أن

يرونا المدينة بالصعود فوق مرتفع من جبل (شار) هذا.

وقد صعدنا إليه مع طريق يوصل إلى قلعة تركية هناك يسمونها قلعة بالاسم العربي إلا أن لفظه اختلف في ألسنة الأتراك الذين بنوا القلعة، ومن ثم صار في ألسنتهم (قلايه).

ذكروا أن الذي بنى القلعة هذه هو الذي بنى المسجد الجامع الذي صلينا فيه الجمعة، وهو الجامع الملون أو (الاجاه)، وهو عبد الرحمن باشا.

وقد ذكروا من قوة أمر هذا القائد التركي أنه حفر نفقاً من القلعة إلى المسجد رغم كون القلعة تقع على جبل مرتفع، ولكنهم ذكروا أن النفق ليس في عمق الجبل، ولكنه مستور عن الأعين، فكان يتنقل ما بين القلعة إلى المسجد عن طريق هذا النفق، وذكروا أن طول النفق يقرب من ثلاثة كيلو مترات، وأنه خرب الآن فلم يعد صالحاً للمرور.

أسفل جبل شار في تيتوفوا. على يساري مفتي تيتوفوا، وعلى يميني رئيس الأئمة

ثم ارتفعنا في الجبل إلى منتجع شتوي يستعمل في رياضة التزلج على الجليد.

ويطل المكان على مدينة (تيتوفوا) وما حولها، بل وما بعد عنها، في منظر أخضر أنيق حيث تقع المدينة فيما يشبه الوادي المتسع بين جبلين أخضرين.

ويرى المرء من هذا المكان على البعد بلدة مهمة اسمها (قوستي فار)، فيها ثلاثة مساجد، وهي واقعة في جهة الجنوب الغربي من (تيتوفوا). كما يرى قرية كافرة - والمراد أن سكانها من غير المسلمين - اسمها (بزيتنتا). وقرى صغيرة مختلطة السكان ما بين مسلمين وغير مسلمين.

كما يرى المرء نهر (بينا) داخل المدينة، مدينة (تيتوفوا)، وليس بالواسع، ولكن يوجد نهر آخر على بعد لا يزيد على ثلاثة كيلو مترات، منها هو نهر (فاردار) الذي رأيناه في (إسكوبيا)، وهو أكبر نهر في مقدونيا.

ثم انحدرنا إلى مدينة (تيتوفوا) أسفل جبل (شار) هذا فرأينا سوقاً يسمى (سوق النساء)، يعمل الناس فيه يوم واحداً في الأسبوع.

ومررنا مع شارع يصح أن يسمى بما سميت به بعض الشوارع التي رأيتها في المدن الروسية خارج موسكو، وسميت شوارعها بالشوارع الشيوعية - مع أن الشوارع لا مذاهب لها - ولكن ذلك من واقع معاينتي لهذه الشوارع، ومعاناتي من المرور فيها، فهي قديمة الزفت، وزفتها متقشر، بل متكسر والغبار يتطاير من أرصفتها.

وهذه الصفة هنا ليست لشوارع هذه المدينة التي رأيت شوارعها الرئيسية جيدة، وإنما لبعض الشوارع الجانبية.

مسجد محرم شاه:

وينطقون به (مهرم شاه)، مع أنني لاحظت أن الذين تعلموا العربية من إخواننا المقدونيين ينطقون بحروفها نطقاً صحيحاً، حتى الحروف الحلقية يلفظون كما يلفظ بها العرب من دون لكنة أو أثر لعجمة، وذلك بخلاف بعض الأعاجم كاهل الهند الذين لو أجاد أحدهم العربية فإنه لا بد أن يكون في نطقه ما يدل على أنه أعجمي اللسان، مثل نطقه ببعض الحروف الحلقية على غير الوجه الصحيح للنطق، وحتى إخراج بعض الحروف من غير مخارجها.

ويقع مسجد (محرم شاه) في منطقة قديمة من المدينة، بعض بيوتها القديمة مبني بالطين، مثلما كنا نبني بيوتنا في السابق، غير أنهم يخرجون جزءاً من السقف قليلاً يكون بمثابة المظلة الصغيرة لتقي ماء المطر والثلج، وقد توقف البناء بالطين عندهم.

جامع محرم في مدينة تيتو فوا

وكان مسجد (محرم شاه) مبنياً بالطين، ولكنهم هدموه وجددوا

بناءه بالأسمنت المسلح، وجعلوا له منارة معتادة على الطراز التركي المتأخر.

ولم نقف طويلا عند (مسجد محرم شاه)، لأن المؤذن كان يصدح بالأذان شجياً عذباً، والناس يدخلون إلى المسجد بكثافة، وقال الشيخ المفتي نجاتي عفة ليماني: إن الناس يدخلون الآن بكثرة لأنهم يصلون صلاة المغرب مباشرة بعد الآذان.

ونحن نريد أن نصلي في الجامع القديم، فواصلنا سيرنا مع شوارع (تيتوفوا)، ومررنا بالسجن فنوه المرافقون بأن أكثر الموجودين في السجن هم سياسيون، مثل مدير الجامعة الألبانية وزملاء له سجنوا لأنهم يسعون إلى إنشاء جامعة أهلية تدرس باللغة الألبانية، وتكون خاصة للألبانيين، أما الحكومة فإنها ترى أن مثل هذه الجامعة تعمق الانقسام الوطني ما بين (المقدون) والألبان.

في دار الإفتاء:

وتقع في مبنى ملحق بالجامع القديم الذي يسمى (إسكي جامع) بهذا المعنى، لأن معنى (اسكي) قديم بالتركية.

هذا وقد لبثنا في دار الفتوى بعد الصلاة ننتظر أن يصل الأخ (علي البرقوني) بجوازينا اللذين أعطيناهما الموظفين من أجل مراجعة السفارتين الكرواتية والسلوفينية في إسكوبيا للحصول على سمة الدخول منهما إلى كرواتيا التي سنذهب إليها بعد انتهاء زيارتنا لمقدونيا، ومن بعدها نذهب إلى (إسلوفينيا) بإذن الله.

ولكنه تأخر لأنه سيوصل زميلنا في الوفد اللواء المتقاعد كمال سراج الدين إلى حدود مقدونيا مع بلغاريا إذْ انتهت مرافقته لنا في إسكوبيا

وطلبنا منه أن يعود إلى بلغاريا لتسليم رواتب تبرعت بها الرابطة لبعض أئمة المساجد هناك.

مسجد إسكي جامع في مدينة تيتوفوا

ولكن الأخ البرقوني لم يحضر، ونحن لا نستطيع الآن أن نذهب إلى الفندق لأنه سيطلب منا الجوازات والانتظار إلى أجل غير مسمى صعب في دار الإفتاء.

والبرنامج يقتضي أن نذهب من (تيتوفوا) إلى مدينة (أستروغا)، وهي تبعد ١٧٦ كيلو متراً، والوقت ليل، ومن ذا الذي يرضى بأن يقطع هذه المسافة ليلاً هنا؟، إلا أن مرافقنا وأخانا في الله الشيخ (نجاتي عفة ليماني) مفتي تيتوفوا قال : إن الأمر ليس فيه إشكال، تنامون الليلة في بيتي في قرية (شالوبك)، وفي الصباح أذهب بكم في سيارتي أو في سيارة أحد الإخوة إلى (إستروقا)، لأننا كلنا مدعوون إلى هناك وسنذهب.

وقال : وقريتي تبعد ١٦ كيلو متراً عن (تيتوفوا).

وقد وافقنا على ذلك مضطرين، لأننا لا نريد أن نشغله وأهله بنا، ولا نعرف إمكان أن نجد في بيته غرفة أو ركناً للضيوف، غير أننا لا نستطيع إلا هذا.

ليلة مقدونية:

ركبنا مع الأخ الكريم الشيخ نجاتي بسيارته إلى قريته (شالوبك)، ولم نستمتع برؤية الطريق لأن الظلام كان دامساً.

ووصلنا بيته فدخل بسيارته مع بوابة كبيرة إلى فناء مكشوف واسع، ثم ذهب بنا إلى غرفة في ركن البيت مؤثثة أثاثاً كاملاً، ومدفأة من مدفئة تتقد وبجانبها حمام فيه ماء حار.

وقد أحضر بدلة نوم جديدة (بيجاما) لم تستعمل بعد، ووسائد جديدة، وأغطية جديدة.

مع المفتي الشيخ نجاتي عفة ليماني في فناء بيته في قرية شالوبك

وكنا رأينا في الغرفة عندما دخلنا إليها سريراً واحداً للنوم، ومقعداً عريضاً للجلوس، فأصلح المقعد وصار سريراً عريضاً، فأصبح فيها سريران.

وفي الغرفة جهاز للتلفزة كبير، وخزانة تحف، وكله نظيف جديد، أو مجدد.

ثم نمنا نومة مبكرة كنا بحاجة إليها.

يوم السبت : ١٤١٧/٦/٧هـ .

صباح شلوبك :

وشلوبك هي هذه القرية التي بتنا فيها ، وكان صباحها نشطاً دفيئاً بعد ليل لم يعرف البرد ، لوجود المدفئة.

وقد صحونا من النوم قبل الفجر ، لذلك صلينا الفجر في وقتها المبكر.

المؤلف في وسط قرية شلوبك قرب تيتوفوا

وجاء مضيفنا الشيخ نجاتي (يصبح) بالخير ومعه الفطور الشهي الذي كله من إنتاج هذه المنطقة ، من الخبز والجبن والبيض والسجق والحليب والعسل إلاّ الشاي فإنه مستورد ، فأكلنا من هذا الفطور الجيد ثم تجولنا في فناء بيته الذي رأينا منه في نور الصباح ما لم نره في الليل ، فرأيناه شبيهاً

بالدارة (الفيلا) وسط مساحة كبيرة مكشوفة، وهو حديث البناء جميل فيه زهور ملونة متنوعة ولكنها منسقة.

وحدثنا عن قريته (شلوبك) فقال: بلغ سكان القرية نحو ٣ آلاف نسمة، منهم ٤٠٠ أسرة من الألبان المسلمين، منهم الأسرة التي ينتمي إليها واسمها (سيلا)، وعدد أفرادها (١٥٠) فرداً، وهي أسرة من الألبان الأصلاء.

وحدثنا عن دراسته في الرياض، فذكر أنه بقي سنوات في الرياض، وذكر أن ولده الأخير وُلد في الرياض، وأنه لم يلاق أي تعب هناك من جهة الجو، وقال: إن التعب حصل عندما عدنا إلى هذه البلاد من الرياض، فقد مرض الأولاد كلهم لأنهم استنكروا الجو البارد هنا بعد جو الرياض الحار أو المعتدل.

وذكر أنه يسكن حوله من أسرة (سيلا) عدد في القرية، وأما تاريخ حياته قبل أن يعيش في الرياض لدراسة الماجستير، فذكر أنه قضى ثلاث سنوات في ألمانيا، يدعو إلى الله بين اليوغسلافيين المهاجرين إلى ألمانيا.

كان الجو في الخارج بارداً هذا الصباح، وزاد من الشعور بالبرد منظر قمم جبال قد كساها الثلج واتضح مرآها عندما سطعت عليها الشمس، وهذا الثلج هو - حسب ما نوهوا به - جديد من الثلج الذي بدأ يسقط على قمم الجبال، وينتظر أن يعم البلاد في فصل الشتاء.

وتطل على القرية من جهة الجنوب تلة خضراء تسمى (تلة شلوبك) وبها سميت هذه القرية.

وفي العودة المبكرة إلى (تيتوفوا) أعجبنا منظر مسجدها أي مسجد

(شلوبك) الذي يقع على شارعها العام، فالتقطت له صورة، وأخرى تذكارية في هذه القرية التي وإن لم يكن أهلها كلهم من المسلمين، فإن المسلمين لهم فيها مقام عظيم، من مظاهر ذلك هذا المسجد العامر ذو المنارة الشامخة.

مسجد قرية شلوبك قرب مدينة تيتوفوا في مقدونيا

وسرنا مع الطريق الذي كنا جئنا معه البارحة في الظلام، فرأيناه يقطع ريفاً خصباً نديا، كل ما فيه أخضر، ومررنا فوق جسر غير جيد على نهر (فاردار)، وهو النهر الذي يعد بحق (مقدونيّاً)، لكونه ينبع في مقدونيا ويمر بمدينة إسكوبيا، ثم بالقرب من (تيتوفوا)، ويذهب إلى اليونان حيث يصب في البحر الإدرياتيكي.

رأينا بعض المارة من الأطفال، وبخاصة أطفال المدارس، فلاحظنا أن الشقرة غالبة عليهم من مسلمين وغيرهم، إلى جانب النظافة في الثياب والأبدان في هذا الجو الأخضر الجميل الذي يتوعدهم شتاؤه بالبرد والثلج

الثقيل.

العودة إلى (تيتوفوا) :

والعودة إلى تيتوفوا من قرية (شلوبك) معناه العودة إلى دار الفتوى الواقعة في فناء (إسكي جامع) أي الجامع القديم، مع أنه ليس أقدم المساجد في المدينة.

ودار الفتوى تتألف من عدة حجرات ومكاتب نظيفة مؤثثة تأثيثاً جيداً. ذكر المفتي الشيخ نجاتي أنها تحتاج إلى آلة تصوير الأوراق، وجهاز للحاسب الآلي، فوعدناه بإعطائه ذلك من رابطة العالم الإسلامي.

ويقع (إسكي جامع) بجانب البريد المركزي، وهو أي الجامع ذو منارة تركية جميلة، وبجانبه مدرسة إسلامية مبناها طبقتان يتعلم فيها الأطفال تلاوة القرآن الكريم والعلوم الإسلامية، ولم يكونوا بدؤوا بعد. لذا لم ندخلها، وإنما تجولنا فيما حول منطقة الجامع العتيق (إسكي جامع)، فرأينا المنطقة ذات بيوت قديمة، وفيها مقبرة للمسلمين قديمة أكثر قبورها قد درس، وذهبت شواهده، وبعض شواهد القبور ساقط أو مدفون في الأرض مما يدل على قدمها.

ثم تمشيت في سوق أكثر أرباب الحوانيت فيه عليهم القلانس (الطواقي) شعار المسلمين، ولذلك سارعوا إلى السلام عليَّ.

وهذا السوق فيه بضائع رخيصة لأنها من إنتاج بلادهم، ومن ذلك مكسرات عديدة من الجوز والفستق والبندق مما كان أسلافنا العرب يسمونها بالنقول: جمع (نقل).

وتكثر الأعشاب المتسلقة التي يقصد منها مجرد التجميل، وكذلك الزهور، حتى إن مبنى دار الفتوى في فنائه زهور كثيرة متعددة الألوان.

إلى مدينة إستروقا:

في الثامنة والربع صباحاً غادرنا (تيتوفوا) قاصدين مدينة (إستروقا) التي تبعد عن هنا ١٧٦ كيلومتراً. وكان من المقرر أن نبدأ السفر قبل ذلك حتى لا نضطر إلى الإسراع في الطريق، وقد سافرنا إليها، وسافر أيضاً عامة العلماء ووجهاء المسلمين من أجل الاشتراك في احتفال كبير يقيمه أهالي قرية بجانبها لوضع الحجر الأساسي لمسجد في القرية عزيز عليهم، لأنه مسجد قديم هدموه، ويريدون إعادة بنائه الآن.

ركبنا مع المفتي الشيخ (نجاتي عفة ليماني) في سيارته الخاصة، وهي من طراز (لادا) الروسي الشبيه بطراز فيات الإيطالي، غير أن الروسية صارت الآن أقوى من الإيطالية، وإن تكن الإيطالية أكثر راحة للراكب وفيها مزايا.

وركب معنا في السيارة رئيس الأئمة في (تيتوفوا) الشيخ أيوب سلمان، وكلاهما متخرج في البلدان العربية مثل سائر الأئمة والعلماء في البلاد، فكان الحديث بالعربية غير المتكلفة هو السائد.

عند الخروج من منطقة (تيتوفوا) دفعوا (ماكس) الطريق، وهو ضريبة استعمال الطريق بما يساوي ماركاً ألمانياً واحداً، أو نحو ريالين ونصف على بوابةجباية في الطريق، وهذا المبلغ كثير لمثل هذا الطريق الذي لا يتجاوز، أو ربما لا يصل إلى ٢٠٠ كيلو متر.

مدينة قوستي فار:

مر الطريق بمدينة (قوستي فار)، وهي مدينة تعتبر مسلمة بأكثرية سكانها المسلمين الذين قد تصل نسبتهم إلى ٧٠٪ ، ولم نقف فيها، وترك الطريق معظمها يساره، وبعدها مباشرة إلى يمين الطريق قرية مسلمة أيضاً اسمها (زوونيا)، أكثر المباني فيها ظهوراً منارة مسجدها بيضاء مشرقة، ومنازلها حمر السقوف بين الخضرة الشاملة.

وقطع الطريق نهر (فاردار) فوق جسر ضيق، لأن النهر هنا صار ضيق المجرى لأنه لم يتضخم بعد، لكون منبعه غير بعيد منها.

والطريق مزدوج جيد، ثم عاد واحداً مفصولاً بين طريق السيارات القادمة والذاهبة بخط.

الرمل الثمين:

من أغرب ما رأيته أن الرمل لا يكاد يوجد عندهم رغم هذه الخضرة الشاملة، وذلك لكون بلادهم تتألف في معظمها من جبال ووديان متسعة بينها ولا يوجد رمل طبيعي، فكان عليهم إذا أرادوا الحصول على الرمل للبناء بالأسمنت أن يشتروا الرمل من الخارج، وهذا غير عملي لذلك صاروا يصنعونه من الحجارة الرملية يطحنونها في مصنع مخصص لذلك مررنا به اليوم ويحصلون على رمل للبناء.

وقال الشيخ (نجاتي) وكان حج من الرياض إلى مكة ومعه أسرته ثم عاد بالسيارة أيضاً من مكة عن طريق المدينة فالقصيم فالرياض: لقد رأيت الرمال الحمر في القصيم فحسدت أهل القصيم على ذلك، فقلت: ألا يقال

هنا : إنه لا يحسد الثرثار إلا الأبكم. وهذا مثل قديم وليس لنا مثل السوء. ولكن أن يجتمع رمل وأنهار خضر وجبال خصبة فهذا لم يحصل لأهل مقدونيا.

وعلى ذكر الغرابة في عدم وجود الرمل ونفاسته، أذكر أن أهل جزر القمر ليس عندهم رمل في جزيرتهم الرئيسية (مروني) لأن بلادهم مثل مقدونيا خضراء كلها خالية من الرمل، فكان أحدهم يتندر لذلك بقوله: إن أحسن هدية نأتي بها نحن العرب من بلادنا إلى جزر القمر هي كيس من الرمل.

مع أن جزر القمر فيها شواطئ بحرية، ولكن معظمها شواطئ بركانية، وفيها شاطئ رملي ضيق مما تجمعه أمواج البحر، ولكنه يخالطه ملح يجعله لا يصلح للبناء إلا بمعالجة.

وفي كثير من البلدان المطيرة لا يوجد رمل خالص ظاهر في بلادهم، ولكنهم يستخرجون الرمل من مجاري الأنهار مما تجلبه الأنهار معها يصفونه من الشوائب الطينية، ويستعملونه في البناء الإسمنتي.

هذا ونحن نتجه إلى حدود مقدونيا مع ألبانيا، وإن لم يكن ذلك قصداً، فمدينة (إستروقا) التي نتجه إليها الآن لا تبعد إلا ٢٣ كيلومتراً عن حدود جمهورية ألبانيا، أما (تيتوفوا) فإنها تبعد عن الحدود بـ ١٠٠ كيلو متر.

هذا وقد صعد الطريق إلى أرض جبلية فصار يشق غابات طبيعية قد تركت غفلاً، وهذه الغابات هي خضراء بطبيعة الحال، غير أن بشائر الخريف أو نذائره قد لوحت أعاليها وأطرافها بصفرة تبدو جميلة الآن لأنها

غير شاملة، إلا أنها ستكون حزينة بعد فترة عندما تنقلب صفرتها إلى صفرة الموت، فتموت أوراقها وتتجرد أغصانها حتى تغدو رمادية هامدة.

قرى مسلمة:

وصل الطريق إلى منطقة بها عدة قرى يسكنها الإخوة المسلمون الألبان، وكلها ترتفع فيها المآذن لتؤنس وحشة الغابات المجاورة، ولتقرّ بها عين المسلم الذي يمر بهذا الطريق، وهذه من الحكمة في إصرار المسلمين على رفع المآذن، وإلا فإن وجودها ليس شرطاً للصلاة، بل إنها مما أحدث بعد الصدر الأول من المسلمين.

ومن تلك القرى قرية رائعة على أيمن الطريق اسمها (زاى آز) فيها مسجد ظاهر المنارة، ومن أجمل تلك القرى قرية (ليوا ذييا) التي بنى أهلها المسجد على هذا الطريق المهم، فصار ظاهراً بمنارته الجميلة الشاهقة يصلي فيه أهل القرية، ولمن يريد ممن يسلك هذا الطريق من المسلمين.

مدينة كرشوفا:

وصلنا إلى (مدينة كرشوفا) ويبلغ عدد سكانها ٣٠ ألفاً ٦٠٪ منهم مسلمون حسب ما أخبرنا الإخوة المرافقون، ولاحظنا أننا كلما أمعنا جهة الغرب قلّت نسبة المسلمين في القرى والمدن الصغيرة.

ومدينة (كرشوفا) يشقها الطريق فيدع معظمها على يساره، وفي الجزء الأيمن منها لمن يكون مثلنا متجهاً إلى (إستروقا) صوامع للغلال

ظاهرة واضحة تخزن فيها الحبوب، ويقال: إن فيها مخازن للدقيق أيضاً.

مدخل مدينة كرشوفا

وبعد أن تجاوزنا (كرشوفا) وقعنا في ريف خصب جداً ليس فيه كثير قرى، إلا أننا رأينا قرية فيها منارة مسجد بيضاء شامخة، حتى الشاهد الذي يضعونه في أعلى المنارة هو أبيض لامع يرى من مسافات بعيدة.

وعند هذه القرية ذات المسجد الذي تسر منارته الناظرين المسلمين رأيت على الطريق مخزناً لعلف الدواب على هيئة بيت صغير من طابقين مسنم السقف، تخزن فيه وأمثاله أعلاف الماشية التي تنمو في الصيف والربيع، ومنها أعلاف من الأعشاب الطبيعية، وأخرى مزروعة بقصد أن تكون علفاً للحيوان، فتكون تلك الأعلاف المخزونة علفاً للدواب في الشتاء عندما يستحكم البرد، ولا يجد الحيوان في البرية ما يأكله، لأن كل شئ فيها يموت في الشتاء.

منتجع آزفورت :

وصلنا إلى منتجع على الطريق أقاموه أسفل نبع من ماء طبيعي صحي، ويسمونه (آزفورت)، وقد سحبوا من هذا الماء المعدني من الجبل بأنابيب، فأوصلوه إلى جانب الطريق، وأعدوا مواقف عنده للسيارات واسعة، لذلك يقف الناس عندها فيشربون ويحملون منه بسياراتهم.

عند صنابير الماء المعدني في آزفورت في مقدونيا

وقد وقفنا عنده في جو شامس معتدل جميل حيث الطريق يشق حضن جبل أخضر، أيسره الجبل وعلى يمينه واد أخضر جميل المنظر، يتعاقب بعده في المنظر ربى خضر بعدها جبال بعيدة غير عالية.

وتسمى الجبال التي ينبع منها هذا الماء المعدني (جبال كوراب)، والتقط الإخوة المرافقون في السيارة التي نركبها وهي سيارة الشيخ نجاتي وفي سيارة أخرى كانت تتبع سيارتنا فيها الأخوان محمد الحسيني وعمر

كمبري صوراً تذكارية.

ولا يكدر من الاستمتاع بهذا المنظر الجميل عند هذا النبع المفيد إلا ضيق الوقت.

قرية مالكويس :

وصلنا قرية مالكويس، وهى قرية لغير المسلمين، لذلك ليس فيها مسجد، وأهلها مقدونيون أرثوذكس، ويسميهم إخواننا المسلمون بـ(المقدون) هكذا مثلما يسمي إخواننا المسلمون في الهند الهنادك وهم كفار أهل الهند بالهنود.

ولذلك لا يسمون أنفسهم بالهنود، وإنما يقولون: المسلمون، وإذا أرادوا أن ينسبوا أنفسهم إلى الهند قالوا: نحن المسلمون الهنديون، وهنا لو قلت لجماعة من المسلمين : إنكم (مقدون) ومعناها اللفظي: مقدونيون لغضبوا، ولقالوا : إن (المقدون) هم الكفار، أما نحن فإننا (مقدونيون) مسلمون. فكأنهم جعلوا النسبة إلى البلاد (مقدوني)، وإلى أهلها الكفار (مقدون) بدن ياء.

ثم مررنا بقرية أخرى للكفار اسمها (بوتن) ليس فيها مسجد بطبيعة الحالة، ولم أرَ فيها برج كنيسة عالياً مثلما تكون المآذن في قرى المسلمين، وربما كان ذلك لأنهم لا يرفعون أبراج الكنائس الصغيرة.

ثم تجاوز الطريق قرية ثالثة لغير المسلمين أيضا لم يعرفوا اسمها.

وفي الطريق قبل الوصول إلى منحنى فيه رأينا أهل السيارات القادمة يرسلون إشارة ضوئية من مصابيح سياراتهم، ونحن في الضحى، ولكنها

واضحة من كونهم يشعلون مصابيح السيارة ويطفئونها يكررون ذلك.

وقال الإخوة : إن هذا علامة عندهم على أن الطريق فيه حاجز للشرطة يفتش الناس، وذلك لكي يستعد سائق السيارة المقبلة على حاجز الشرطة لذلك، وإذا لم تكن معه الأوراق المطلوبة يستطيع إن يعود أدراجه مع الطريق.

مع العلم بأنه لا يستطيع أن يفعل ذلك من دون تحذير، لأن رجال الشرطة واقفون بعد المنحنى بحيث يراهم السائق فجأة.

وكانت المشكلة بالنسبة إلينا أن جوازاتنا ليست معنا، فلو أوقفتنا الشرطة وسألتنا عن جوازاتنا ربما لا تقتنع بما يذكره الإخوة المرافقون لنا، ولكنهم لم يوقفوا سياراتنا، وربما كانوا يبحثون عن سيارات معينة.

عند بحيرة إستروقا:

مدينة (إستروقا) التي نقصدها سميت بهذا الاسم لكونها واقعة على بحيرة واسعة اسمها بحيرة (إستروقا)، هكذا قال لنا بعض أهلها، وقيل: بل اسم البحيرة أوخريد، وهكذا قال أهل مدينة أوخريد إنها سميت باسم مدينتهم أوخريد كما سيأتي.

رأينا إن ندخل إلى مدينة (إستروقا) من جهة مطارها، ورأينا اللافتات في هذه الضاحية منها قد كثرت تشير إلى اتجاهات الطريق، وهى مكتوبة بالحروف السلافية التي لا يستطيع من يعرف الحروف اللاتينية أن يقرأها لأنها مخالفة لها، وهى الحروف المستعملة في روسيا، ولكنهم كتبوا تحتها بالحروف اللاتينية فتسهل قراءتها على غير أهل المنطقة.

ورأينا بحيرة (إستروقا) على البعد متسعة كأنما هي الجزء من البحر.

وتؤلف البحيرة جزءاً من الحدود بين جمهورية ألبانيا ومقدونيا، وكانت هذه الحدود حدود يوغسلافيا قبل تفككها وانسلاخ مقدونيا عنها.

وكنت رأيت هذه البحيرة من الجانب الآخر، وهو الجانب الألباني، وذلك أثناء تجوالي في ألبانيا عام ١٤١٢هـ / ١٩٩٢م، وكانت ظاهرة واضحة من قلعة قديمة قرب مدينة (إشكودرا) الألبانية، وذكرت ذلك في كتاب : ((كنت في ألبانيا)) وهو مطبوع.

وصلنا (إستروقا) بعد العاشرة بقليل وكنا نظن أننا لن نصل في هذه المدة القصيرة، لذلك كان لدينا وقت للوقوف على هذه البحيرة والتمتع بمرآها واستجلاء المنطقة حولها.

فوقفنا على شاطئ البحيرة التي تحرك الريح صفحة الماء فيها تحريكاً خفيفاً لا يرى إلا عند شاطئها، فيخيل إليك أنها الأمواج كأمواج البحر الرحيمة.

كان ماء البحيرة صافياً رقراقاً، والشمس صاحية، والجو معتدل بعد أن ارتفعت الشمس، وحقول التفاح على البحيرة لا يفصل بينها إلا الطريق المزفت الذي وصلنا منه.

والأرض حول ضفاف البحيرة سندسية جميلة، من أغرب ما فيها نبات الفطر الكبير الظاهر، وقد نوه الإخوة المرافقون بأنه من الفطر السام، لذلك لا يجنيه الأهالي، ولا أدري عما إذا كان يوجد عندهم وجه للانتفاع به.

وغير بعيد من البحر مقبرة للمسلمين من أهل مدينة (إستروقا) وما حولها، جميع قبورها ذات مظهر شرعي، بمعنى أن القبور فيها غير مرفوعة أكثر مما يبيحه الشرع، وجميع القبور فيها عليها شواهد حجرية مرفوعة، وليس في المقبرة أي بناء على القبور كما رأيتها من هذه الجهة.

في دار الفتوى:

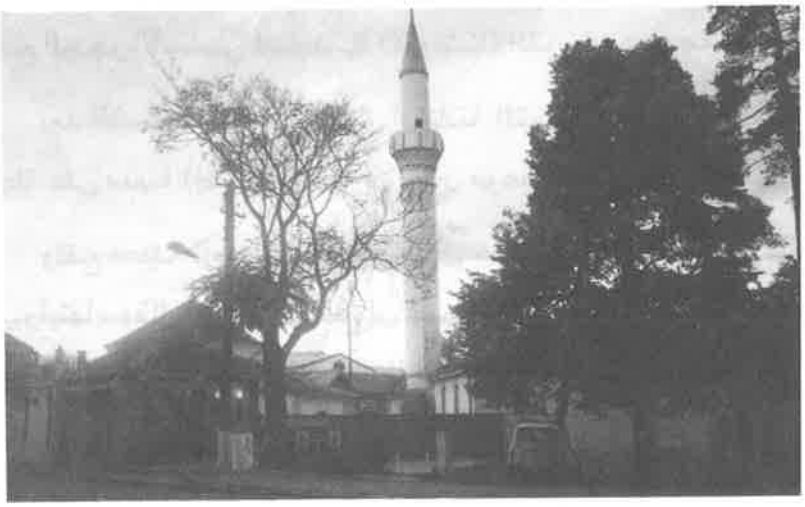

جامع مصطفى جلبي في إستروقا

دخلنا إلى مدينة (إستروقا) مع منطقة سكنية، كان أول ما استرعى انتباهي فيها منارة تركية الطراز، رشيقة القوام.

وتبين أن المسجد الذي فيه المنارة هو الذي نقصده، لأن له ملحقات في أحدها دار الفتوى لمدينة إستروقا، ويسمى المسجد (مسجد مصطفى جلبي).

كان من أهم المستقبلين في دار الفتوى الشيخ (مجتبى شيخو) مفتي

ستروقا ومعه عدد من المشايخ والأئمة، كانوا وصلوا قبلنا، ومعهم أشخاص آخرون ذوو مقام.

منهم السفير في وزارة الخارجية المقدونية (أشرف علي)، وكان حج على ضيافة رابطة العالم الإسلامي قبل ٣ سنين، والأستاذ (شعبان مراتي) سفير ألبانيا في مقدونيا، وصديقنا الشيخ سليمان رجبي رئيس الاتحاد الإسلامي المقدوني، وكلهم حضر إلى هنا مثلما حضرنا من أجل الاحتفال بوضع الحجر الأساسي لمسجد في (لابونشتا) القريبة من مدينة (إستروقا).

بعد الاستراحة في دار الفتوى أستاذنا القوم بأننا نريد أن نقوم بجولة عاجلة على مدينة (إستروقا) قبل إن يحين موعد الذهاب إلى الاحتفال.

وتقع مدينة (إستروقا) تحت جبال خضر مثل أكثر المدن المقدونية التي رأيتها، وقال لي أهل البلاد: إن جميع مدن مقدونيا تقع في لحف جبال خضر، وترى منها الربى، والجبال الخضر.

ولاحظت كثرة الزهور في الحدائق وفي الشوارع، ثم وقفنا على ما أسموه نهراً يخرج من البحيرة، وهو على هيئة النهر إلا أن مجراه معتنى به، فضفتاه مبنيتان بحجارة قوية، وسيره مستقيم كما لو أنه قناة شقت بعناية، ووفق ذوق فني رفيع.

وذكر بعضهم أنه ليس نهراً بالمعنى المفهوم، ولكنه جزء من بحيرة (أوخيري) التي يسميها بعض الناس هنا (بحيرة إستروقا) لقربها منها، وأن مدخله إلى المدينة ليس مجرى طبيعياً، ولكنه مرفوع رفعاً قليلاً حتى يعوق تدفق الماء من البحيرة فيصب في هذا المجرى الضيق الذي يشبه النهر داخلاً في المدينة، ثم يعود بعد ذلك إلى البحيرة نفسها، فهو يخرج منها ويعود إليها

بعد أن تستفيد المدينة منه فوائد عديدة، منها المنظر الجميل، وسقي الحدائق والأشجار إذا احتاجت إلى ذلك.

في دار الفتوى في إستروقا ورئيس الاتحاد الإسلامي سليمان رجبي في أيسر الصورة

أما الناس الذين في المدينة فإن نسبة غير المسلمين فيها أكثر من المسلمين، لذا يعرف أن المسلمين لا يؤلفون إلا ٤٠٪ بين سكانها، ولذلك يرى المرء أن مناظر الناس غير مظاهر الجنس الألباني المعروف، ويلاحظ أيضاً أن طائفة من نسائها يلبسن لباساً قصيراً لا يكون مثله على الألبانيات.

هذا مع أن هذه المدينة لا تبعد إلا ١٣ كيلو متراً من حدود ألبانيا مع مقدونيا.

وعلى وجه العموم فإن هذه المدينة بدت جميلة بكل ما فيها من أناس

ومنازل وحدائق.

إلى قرية لابونشتا:

تبعد قرية (لابونشتا) عن مدينة (إستروقا) ١٦ كيلومتراً، وعدد سكانها خمسة آلاف نسمة، معظمهم من المسلمين (التورباش) وهم المقدونيون الذين أسلموا، فهم من ناحية العنصر يخالفون أكثرية المسلمين في مقدونيا الذين هم من الألبان، ويجمع بين الجميع الدين الإسلامي الحنيف، لذلك هم ينضمون للمسلمين في منظماتهم التي لا تفرق بين مسلم وآخر على أساس العنصر والأصل، أو على أساس اللغة، فهؤلاء الإخوة (التورباش) يتكلمون اللغة المقدونية لا يعرفون غيرها، بخلاف الألبان الذين لهم اللغة الألبانية التي يتكلمون بها إلى جانب اللغة المقدونية التي هي من فصيلة اللغات (الصربية الكرواتية)، وتكتب بالحروف السلافية.

وكان في هذه القرية مسجد واحد مفتوح، يعرف بجامع (محمد علي باشا)، بني في عام ١٧٩٤م، وجدد بناؤه في عام ١٩٩٠م، والغرض من الذهاب إليها هو الاشتراك في الاحتفال بوضع الحجر الأساسي لمسجد كان موجوداً قبل الحكم الشيوعي، فهدمه الشيوعيون، وجعلوا مكانه مدرسة، فاستعاده الإخوة المسلمون قريباً، وجمعوا التبرعات من أجل إعادة بنائه.

غادرنا مدينة (إستروقا) قاصدين القرية مع ريف خصب معمور أكثر ما فيه ظهوراً أشجار الفاكهة المثمرة من التفاح وغيره. وعلى جانبي الطريق أشجار من أشجار الظل سامقة لا يشك من يراها أن هذه البلاد لا تعتادها

العواصف أو الرياح العاتية، وإلا لما ظلت هذه الأشجار على استقامتها، وزاد المنظر جمالا بيوت حمر السقوف نظيفة، تبدو على البعد في هذا الجو الأخضر الجميل.

ومع أننا كنا لا نزال في الريف، فإن الطريق لم يخل من ماشيات من أهل المنطقة، فرأينا المسنات على رؤوسهن المناديل قد سترن بها شعورهن، أما الشابات فقد تركن رؤوسهن نهباً للنسيم الذي يداعب خصلاتها، وللعيون التي لا يردها عنها راد، والجمال هو السائد في المكان، فإذا قلّب المرء نظره إلى البحيرة التي تقع عليها المنطقة، رأى الماء والخضرة والوجه الحسن حقيقة لا مجازاً.

عند الوصول إلى قرية لابونشتا

وفي الطريق عدد من الجرارات الزراعية، رأيت في ظهر أحدها رجلاً راكباً فيها غير مستمسك بشيء، بل واضع يديه في جيبي (بنطاله) غير مبالٍ باهتزازات الجرار.

ورأينا القرية المسلمة قبل الوصول إليها بمسافة طويلة لأنها واقعة في شعاب جبل عال يقيها ريح الشمال الباردة، ولكنها في أقدام الجبل، وليست في وادٍ منخفض من الأرض الذي تحته.

وهى حمراء المنازل، جميلة التربة التي تبين لنا عندما وصلناها، أنها طينية حمراء مما تتلقاه من الجبل عندما تنزل عليه مياه الأمطار.

وقد رأينا الثلوج المبكرة هذا العام على هامات القمم العالية من الجبل الذي عليه القرية، وإن كان الجو فيها معتدلاً، وقد كثرت كروم العنب قبل الوصول إليها مباشرة، وعنبهم بدون عرائش، وإنما يرفعون الشجرة الصغيرة من أشجاره على عود، فترى عناقيد العنب فيها كثيرة، مع أن بعض ثمرتها قد قُطع الآن.

دخلنا مع الشارع الرئيسي في القرية ونحن في موكب سيارات عدة هي التي تجمعت في دار الفتوى، انضم إليها غيرها، فكانت البيوت على الشارع نظيفة المظهر، مبنية بالآجر، فيها ذو الطبقات الثلاث وذو الطبقتين.

ومن الطريف أنني رأيت طفلاً صغيراً عليه قلنسوة (طاقية) ألبسه أهله إياها لهذه المناسبة السعيدة.

وصلنا قرب مكان الاحتفال، فإذا الألوف المؤلفة من أهل القرية، وربما القرى الأخرى من المسلمين قد اجتمعوا من جميع الأعمار، وقد ارتدوا أجمل الملابس عندهم احتفالاً بهذه المناسبة المهمة التي لا تقتصر أهميتها على كونها مناسبة إسلامية جليلة، وإنما تتعدى ذلك إلى زيارة أناسٍ من كبار القوم من وزراء ووجهاء وعلماء في البلاد، وصحفيين وأدباء وتلفازيين لقريتهم.

الاحتفال الكبير:

جانب من الاحتفال في قرية لابونشتا في مقدونيا

تجمع الجميع قرب مدرسة ابتدائية ذات فناء واسع، وهى واقعة أيضاً على ميدان في وسط القرية التي يصح أن تسمى بلدة، لأنها أكبر من القرية المعتادة بالنسبة إلى مستوى سكان المدن والقرى في مقدونيا ذات العدد القليل من السكان، والمدن غير الكبيرة، لأن (لابونشتا) هذه يقدر عدد سكانها بخمسة آلاف نسمة أو يزيد قليلاً على ذلك.

وقد امتلأ فناء المدرسة الواسع، وامتلأ معه الميدان الذي يفضي إليه، وصعد الناس على الأماكن المرتفعة في مبنى المدرسة وخارجها.

وقد جعلوا عند مدخل الاحتفال صفاً من البنات الصغيرات، ألبسوهن لباساً أبيض تقليدياً عندهم، فكن يبتدرن القادمين للمشاركة في الاحتفال من علية القوم بالتحية: (السلام عليكم) وهن واقفات، ثم يناولنه

الحلوى.

هذا وقد نقلوهن بعد أن استكمل حضور المدعوين الكبار إلى المنصة الرئيسية، وجعلوهن صفاً خلف المتكلم مواجهاً للمجتمعين.

كان مكبر الصوت عندما وصلنا، وكذلك كان قبل وصولنا، إلى أن بدأ الاحتفال يصدح بأناشيد جميلة، ذكروا أنها أناشيد إسلامية بهذه المناسبة.

الاحتفال المهيب:

جموع تستمع إلى كلمة المؤلف في احتفال قرية لابونشتا في مقدونيا

اكتمل عقد المدعوين وشغلوا جميع المقاعد الموجودة على كثرتها، وبدأ عريف الحفل الأستاذ يعقوب كاظم يذكر الغرض من الاحتفال، ونوه بوجودي فيه، وأثنى عليَّ - جزاه الله خيراً - ثم افتتح الحفل الخطابي

بتلاوة خاشعة من القرآن الكريم رتلها أحد المشايخ القراء المجيدين. ثم تقدم الشيخ (مجتبى شيخو) مفتي إستروقا الذي يعتبر المضيف لهذا الحفل العظيم لكونه جارياً في بلدة تشملها سلطته الدينية الاختيارية مع أن الحفل قد نظمته جمعية المسجد بالتعاون مع دار الفتوى، في إستروقا وبلديتها وأعيان المنطقة.

تحدث الشيخ (مجتبى شيخو) عن هذا المشروع العظيم الذي يجري الاحتفال به الآن، وذكر أن هذا مبعث سرور الجميع، وبخاصة أن هذا المسجد سيكون أول مسجد يرخص بأن تكون له قبة.

ثم ذكر حضوري الاحتفال وقال: إنني أطلب من فلان - يقصدني - أن يفتتح هذا الحفل الخطابي في هذه المناسبة المباركة، فيكون أول المتكلمين فيه، ثم نادى عليَّ، فتقدمت إلى مكبر الصوت الواقع في منصة واسعة أمام المحتفلين يصعد إليها مع درجات قصيرة، وذلك وسط تصفيق حادّ من الحاضرين الذين كان تعبيرهم عن السرور بمجيء إخوان لهم من مكة المكرمة في هذه المناسبة السعيدة بل التاريخية بالنسبة إليهم، وليس لكونهم يعرفونني، فأكثرهم لا يعرف عني شيئاً، وربما كان لم يسمع عني قبل هذه المناسبة، ولكن عريف الحفل ومفتي إستروقا ذكراني بخير، وأشارا إلى أننا جئنا من أجل الاجتماع بالإخوة المسلمين في هذه البلاد، والاطلاع على أحوالهم، وأننا سررنا للاشتراك معهم في هذا الاحتفال المبارك.

ألقيت فيهم كلمة مرتجلة، نقلت فيها إليهم تحيات إخوانهم في بلاد الحرمين الشريفين: مكة المكرمة والمدينة المنورة، وقلت لهم: إن خادم

الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبد العزيز آل سعود ملك المملكة العربية السعودية على رأس إخوانكم الذين يهدونكم تحياتهم من المملكة العربية السعودية.

المؤلف يخطب على المنصة في الاحتفال في (لابونشتا) وبجانبه المترجم علي البرقوني

وقلت: إنني أتمنى أن جميع إخواني في المملكة العربية السعودية يشاهدون الذي نشاهده الآن في هذا التجمع الإسلامي الذي قام به إخوة لهم آمنوا بالله ورسوله، وجاهدوا في إقامة المساجد والمدارس والمؤسسات الإسلامية من دون أن ينتظروا العون من أحد.

ذلك بأن الإسلام ليس دين العرب وحدهم كما يشيع بعض الأعداء والحاقدين، وإنما هو دين أرسل الله به رسوله محمداً ﷺ، وهو عربي وأصحابه الكرام بأكثريتهم من العرب، فشرفهم الله بأن جعلهم من خدمة دينه الذين حملوه إلى العالم، إلا أنه كان في صحابة رسول الله ﷺ

بل من كبارهم السابقين الأولين أناس من غير العرب، مثل صهيب الرومي وسلمان الفارسي وبلال الحبشي، ولكن الإسلام ليس فيه عنصرية، فكل من عمل عملاً صالحاً سواء أكان عربياً أم غير عربي فإنه المسلم الحق القريب من رسول الله ﷺ، ولو كان بعيد الدار أو النسب أو اللون أو اللغة.

ولذلك خاطب القرآن الكريم بنى آدم بقوله: يا أيها الذين آمنوا، ويا أيها الذين كفروا، ولم يخاطبهم بقوله: يا أيها العرب، أو يا أيها العجم، أو يا أيها الهنود.

وقد خاطب الله العرب وغيرهم من المسلمين بقوله: ﴿ وَإِن تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لاَ يَكُونُوا أَمْثَالَكُمْ ﴾ [سورة محمد: ٣٨]، فالجماعات المسلمة سواء أكانت من العرب أم غير العرب إذا لم تقم بأمر الله فإن الله سبحانه وتعالى سيبعث لديه أنصاراً من غيرهم، ينصرونه وينشرونه ويدافعون عنه.

يستمعون إلى المؤلف وهو يخطب في مقدونيا

ثم شكرتهم على اهتمامهم بدينهم الإسلامي الحنيف، ومن أهم ذلك إقامة المساجد وصيانتها، ومن ذلك إقامة هذا المسجد الجديد، مما يدل على اعتزازهم بإسلامهم وحرصهم على التمسك به.

وأوصيتهم بالحرص على تربية أولادهم تربية إسلامية، وذلك بتعليمهم أركان الإسلام وشروطه وكيفية العمل به، وقلت: إن من أهم ذلك أن نلتزم نحن الآباء بما أمرنا الله به ورسوله حتى نكون قدوة لأولادنا ولغيرهم.

ثم شرحت لهم أهداف رابطة العالم الإسلامي، وأعلنت لهم إسهام الرابطة بالتبرع لهذا المسجد بعشرة آلاف دولار أمريكية للمساعدة على إكماله.

وهنا تعالت هتافاتهم ما بين مصفق ومكبر، والذين صفقوا هم الأغلبية الساحقة، لأنهم لم يتعودوا إلا ذلك عند الإعجاب بما يقوله الخطباء في العادة.

كنت القي كلمتي بالعربية، وكان الأستاذ (علي البرقوني) مبعوث الرابطة يترجمها إلى اللغة المقدونية، إلا أنني شعرت أن ترجمته ليست على ما يرام من الوضوح ودقة التعبير عن كلماتي، لأنه كان يتردد أحياناً في صياغة الجمل أو الكلمات، وقد أخبرني بعض الإخوة من أهل مقدونيا أن الأمر كذلك، وأن ترجمته لم تكن متقنة، ولكنه عبر - بوجه إجمالي - عما قلته في كلمتي، ولم أكن علمت قبل ذلك عن المترجم، وإلا لطلبت أن يترجم أحد علمائهم الكثر الذين حصل بعضهم على الدكتوراه، وكثير منهم حاصلون على الماجستير، فضلاً عن الحاصلين على إتمام الدراسة العالية في جامعات عربية.

هذا وقد تواصل تصفيقهم وأنا نازل من المنصة عائداً إلى الكرسي الذي كنت أجلس عليه في الصف الأول.

ثم توالى المتحدثون منهم، في مقدمتهم الشيخ سليمان أفندي رجبي رئيس الاتحاد الإسلامي المقدوني ورئيس العلماء، والأستاذ (شعبان مراتي) سفير جمهورية ألبانيا في مقدونيا، والأستاذ (أشرف علي) السفير في وزارة الخارجية المقدونية، وسبق ذكره.

وضع حجر الأساس:

بعد أن تكلم خمسة أو ستة في الاحتفال الذي كان متلفزاً بكثافة، وكان المصورون للصحافة وهواة التصوير يلتقطون عشرات الصور من جميع الاتجاهات، قطعوا الاحتفال وكنت ظننت أنه انتهي، وتوجه الجميع مشاة إلى مكان المسجد الذي سيبدأ البناء فيه، وهو غير بعيد.

المؤلف يضع حجر الأساس لمسجد لابونشتا

وجدناهم وضعوا قواعد البناء وأحضروا خلطة من الإسمنت وبعض اللبن (الطوب)، فكان الرجل منا يأخذ من الإسمنت المخلوط بمجرفة طويلة ويضع في القاعدة، وبعض القوم يكبرون، ومصورو التلفزة والصحافة يصورون.

وهذا المسجد سيسمونه مسجد (دولنا)، لأن هذا كان اسم مسجد قديم في المكان هدمه الشيوعيون، ونوه الإخوة أيضاً بأن هذا المسجد سيكون أول مسجد جديد في المنطقة تسمح الحكومة بأن تكون له قبة، إذْ كانوا حرموا القباب في المساجد بحجة أنها تشبه المساجد التركية، وتشعر بالتبعية لتركيا، والمنع كان في عهد الشيوعيين، وهذا أول مسجد يسمح به بقبة بعد زوال الشيوعيين وحكمهم.

وحدث أمر غريب، وهو أنهم أحضروا خروفاً، وذبحوه على قاعدة البناء هذه التي وضعنا أساسها، ثم جاؤوا بثلاثة خرفان أخرى وذبحوها فصار الجميع أربعة خراف.

ولم أفهم المقصود منه، فسألت أحد العلماء منهم المتخرجين من البلدان العربية عن ذلك فقال: إن هذه عادة على الفرح من أجل أن يوزع لحمها على الفقراء.

وطلبت من أحد المرافقين أن يسأل رجلاً من عامة الناس فقال: لا بد من دم لحجر الأساس، ولم أفهم المقصود من ذلك حتى الآن، ولكنني لم أرهم عملوا أي شئ غير معتاد من دعاء أو نحوه عندما ذبحوها، وإنما كانوا كمن يذبح ذبيحة للأكل.

ثم عدنا إلى مكان الاحتفال وقد غامت السماء، وصارت ترسل

نقاطاً قليلة من المطر، وخشينا أن تفسد الاحتفال مع أن الجزء الأهم فيه قد انتهى.

جموع ضاقت عنها ساحة الاحتفال الواسعة في لابونشتا

وبعد العودة تكلم اثنان، ثم ختم الاحتفال بتلاوة كريمة رتلها شخص منهم لا يظن الظان منا أنه يستطيع وهو غير عربي أن يتلو هذه التلاوة، فهو يخرج الحروف العربية من مخارجها الصحيحة، ويقرأ قراءة متقنة بل عجيبة في إتقانها.

ثم تقدم الشيخ (نجاتي عفة ليماني) مفتي تيتوفوا فألقى دعاء طويلاً.

الصلاة الحافلة:

بعد هذا الاجتماع الحافل توجه الجميع سيراً على الأقدام مع أزقة البلدة الطينية التي كان أصابها المطر من قبل فصارت زلقة، وأرضها

ليست مستوية بسبب وجودها على أقدام هذا الجيل الواقف، وذلك لصلاة الظهر في مسجدها العامر، ويسمونه (مسجد محمد علي باشا).

كانت المشكلة أن الاحتفال الخطابي وإن كان انتهى، فإن علينا أن نعود بعد الصلاة إلى الاجتماع لتناول طعام الغداء الذي لا ندري كم يستغرق من الوقت، لذلك كان لا بد لنا من أن ندخل حماماً ونتوضأ، وكان الحمام بعيداً عن المسجد، ولكنه نظيف، عدت بعدها مع أخوين منهم إلى قرب المسجد حيث محلات الوضوء، والقوم يتوضؤون بكثافة، فكان الماء بارداً، بل يكاد يكون ثلجاً، وربما كان مرجع ذلك مع برودة الجو إلى كون الماء منحدراً من الجبل.

ومع ذلك رأيت القوم وهم حنفية ينزعون جواربهم من أرجلهم ويغسلونها بهذا الماء البارد، أما أنا فقد مسحت على الجوربين لأنهما صفيقان صالحان للمسح.

وصلينا صلاة الظهر في (مسجد محمد علي باشا) وقد امتلأ بالناس، حتى صلى بعضهم خارج بابه، مع أنه واسع ومفروش بفراش جيد.

ومن المفرح أنني رأيت نسبة كبيرة من المصلين من الشبان، بل والأطفال الذين حضروا مع آبائهم.

أما النساء وهن كثر في مكان الاحتفال، فلا أدري ماذا فعلن في الصلاة.

والغداء الحافل:

وعدنا سيراً على الأقدام إلى مكان الاحتفال الذي كان في فناء

المدرسة الابتدائية، ولكننا لم نقف في الفناء، بل صعدنا إلى الطابق الثاني من المدرسة حيث كانوا وضعوا موائد طويلة جداً ليتغدى عليها الناس.

وقد شغلت تلك الموائد ممرات المدرسة كلها.

مأدبة الغداء في قرية لابونشتا

وقد انتظمت صفوف الآكلين وهم بالمئات، وظني أن عددهم لا يقل عن الخمسمائة، مع العلم بأنه لم يجلس عليها إلا ذوو الأقدار من الناس، وليس كل من حضروا الاحتفال، بدليل أنه لم تجلس عليها أية امرأة ولا صبي فضلاً عن الأطفال.

قدموا في أول الأمر سلطة طماطم وملفوف، ثم جاؤوا بالأطباق الرئيسية وأهمها لحم بقري مسلوق، وكفتة وهي اللحم المطبوخ بشيء قليل من الزيت والمرق، ثم شواء وصحن من البطاطس المطحون إلى جانبه الخبز.

وكانت الحلوى محلية، كان تحليتها بالعسل دون السكر، وهي

لذيذة جداً لهذا السبب، أما الشراب فكان من الاشربة الغازية والمياه المعدنية الغازية أيضاً.

وقد أعجبت من محافظتهم على النظام عند إطعام هذا العدد الضخم من الناس، مع أنني رأيت أعداداً كبيرة من الناس متطوعين لخدمة المائدة والآكلين عليها، وليسوا من الذين يتقاضون على ذلك أجراً.

وقد جعلوا مجلسي في أول المائدة مع كبار القوم من العلماء والوجهاء.

المؤلف يتصدر جانباً من مأدبة الغداء في لابونشتا

العودة إلى دار الفتوى:

انتهى هذا الاحتفال العظيم بحقيقته ومعناه، أما معناه فهو البداءة ببناء هذا البيت من بيوت الله الذي قدروا تكاليف بنائه بنحو ٤٠٠ ألف

مارك ألماني، أي نحو مليون ريال سعودي، قدروا أنها كلها من تبرعات الأهالي رغم ظروفهم الاقتصادية غير المشجعة في الوقت الراهن.

وصلنا (دار الفتوى) قبيل أذان العصر، فجلسنا فترة قصيرة أذن العصر خلالها، فصليناها معهم في جامع مصطفى جلبي الذي تقع بجانبه دار الفتوى.

ودفعنا بعد الصلاة للجمعية المشرفة على بناء المسجد بحضور المشايخ، ومنهم مفتي إستروقا ثلاثة آلاف دولار أمريكية من مبلغ عشرة آلاف دولار الذي أعلنا لهم تبرع رابطة العالم الإسلامي به للمسجد الجديد، على أن ندفع لهم المبلغ الباقي بعد ذلك، وقد دفعناه بالفعل، وودعنا الجميع للقيام بجولة فيما حول مدينة إستروقا.

استئناف الجولة:

استأنفنا الجولة في قلب مدينة إستروقا، وكانت بصحبة الأخ (ثريا إمامي)، واسمه على اسم (ثريا) الذي نسمى به المرأة من غير تغيير، وأما نسبة إمامي فلكون آبائه كانوا من أئمة المساجد كما قال.

وقفنا في ميدان مهم غير بعيد من المسجد الذي فيه دار الفتوى، وهو مسجد مصطفى جلبي وقد جعله الشيوعيون الذين أنشأوه أهم ميدان في المدينة يحف به من جهة الشمال الغربي نهر إستروقا الخارج من بحيرة (أوهريد) أو بحيرة إستروقا كما يسميه أهل إستروقا، ومن جهة الشمال الشرقي شارع على جهته الأخرى الجامع.

والتقطت فيه صورة تذكارية، وذكر الأخ (ثريا إمامي) أن بيتهم في

هذا الميدان، وأن الشيوعيين هدموه وعوضوهم عنه بيتاً في ناحية بعيده عنه من البلدة.

المؤلف على شاطئ نهر إستروقا الخارج من البحيرة

والأخ (ثريا) متقاعد الآن، وكان يدرس الجغرافيا، وأخبرنا أنه أرسل ابنه لدراسة علوم الدين الإسلامي في تركيا، وأنه يدرس فيها الآن.

إلى مدينة أهريد:

تقع مدينة (أهريد) على البحيرة التي تسمى بحيرة (أهريد)، ولكن أهل المدن التي تقع عليها يسمونها بأسماء مدنهم، فمثلاً يسميها أهل إستروقا (بحيرة إستروقا) كما تقدم، ويسميها أهل أهريد (بحيرة أهريد)، هذا في الجانب المقدوني، أما في الجانب الألباني فقد زرت شاطئها في رحلتي إلى ألبانيا، فكانوا يسمونها (بحيرة إشكودرا) لقرب مدينة إشكودرا منها، وقد ذكرت مدينة إشكودرا وغيرها من مدن ألبانيا التي

زرتها في كتاب ((كنت في ألبانيا)) .

ركبنا مع الأخ (ثريا إمامي) في سيارته التي يسوقها بنفسه، لأنه من أهل مدينة إستروقا ويعرف المنطقة.

وسلكنا طريقاً يحاذي شاطئ البحيرة وهو متجه جهة الجنوب إلى مدينة (أوهيري) والشمس ساطعة على جبال تقع شرقاً عن المدينة كما هي الحالة المعتادة في مقدونيا أن تكون مدنها تحت جبال أو قريبة من جبال.

وفي حضن الجبل الشرقي المواجه للشمس الآن قرية لغير المسلمين اسمها (بود موليه) صغيرة وبارزة للريح الشمالية، بخلاف القرية الكبيرة أو البلدة المسلمة (لابونشتا)، فإنها مختفية عن الريح الشمالية في أحضان الجبل.

مدينة أوهريد :

يبلغ عدد سكان مدينة (أوهريد) وهي آخر مدن مقدونيا من هذه الجهة؛ إذْ بَعدَها حدود جمهورية ألبانيا، (٢٥) ألف نسمة، ٣٠ ٪ منهم من المسلمين، فهي بهذا أقل من مدينة إستروقا التي يبلغ عدد سكانها ٣٢ ألفاً ٤٥٪ منهم مسلمون.

وكان معظم سكان المدينة من المسلمين إذْ كان فيها عدد كبير من الأتراك فهجروها وذهبوا، وكان فيها قبل ذهابهم ٢٢ مسجداً، لم يبق منها الآن إلا مسجدان وتكية واحدة، وفيها كنيسة كان الأتراك حولوها إلى جامع. وفي عام ١٩٤٣ أعادها المقدونيون كنيسة، وقد صارت المدينة الآن مركزاً للأرثوذكس، إذْ فيها كلية اللاهوت الأرثوذكسية، أي

لدراسة العلوم الدينية النصرانية على المذهب الأرثوذكسي، وهو مذهب أكثرية السكان المقدونيين المسيحيين، مثلهم في ذلك مثل جيرانهم (الصرب) سكان صربيا وجمهورية الجبل الأسود وهما الجمهوريتان اللتان بقيتا من أشلاء جمهورية يوغسلافيا السابقة التي كانت تتألف من ست جمهوريات اتحادية قبل انفراط عقدها، و(مقدونيا) إحدى هذه الجمهوريات.

في مدينة أوهريد على الحدود بين ألبانيا ومقدونيا

دخلنا إلى مدينة (أوهريد)، فوجدناها جميلة الموقع إذْ تقع على بحيرة (أوهريد) وهى أنيقة الأبنية، نظيفة غاية النظافة.

وسرنا مع شارع فيها رئيسي مرصوف بحجارة فيها خشونة، وفي وسطه مسجد هدمت منارتاه واسمه (مسجد علي باشا) وكانت له مناراتان شامختان.

وقد شاء المتعصبون أن يهدموا منارتيه حتى لا يبقى فيه شيء يدل عليه، ولكن بقيت قبته وأكثر ملامحه ظاهرة.

أما السوق فإنه كأسواق المدن الأوروبية الغربية الصغيرة، لا تفرق بنية وبينها إلا في كثرة البضائع وارتفاع أسعارها، وقدرة أهلها - أي مدن أوروبا - على الشراء.

وإلا في ملابس أهل هذه المدينة المقدونية، فإنها أدنى من ملابس الأوروبيين الغربيين وبخاصة ملابس النساء، وإن كان لا يفطن لذلك إلا من بحث عنه.

ميدان جنار:

وصلنا إلى ميدان غير واسع إلا بالنسبة إلى هذه البلدة التي لا تتميز شوارعها بالسعة، ويسمى (ميدان جنار) على اسم شجرة جنار فيه معمرة، يقال: إن عمرها يصل إلى قرابة خمسمائة سنة، وشجر الجنار من الشجر المعمر الذي يعظم كثيراً، رأيته أول مرة في كشمير التي تحتلها الهند، منتشراً فيها وبخاصة في بعض المدن الإقليمية خارج العاصمة، وهو يغرس غرساً فيعظم ويطول عمره، وقد ذكرت ذلك في كتاب: ((سياحة في كشمير))، وهو كتاب مطبوع.

وهذا الشجر هو الذي يعرف في بعض البلدان العربية في القدم باسم (الدلب).

وقد كتبوا على الشجرة المعمرة أن عمرها يقارب خمسمائة عام، وهي جديرة بذلك لضخامة جذعها وعظم مظهرها، مما حمل أحد الرفاق

أن يلتقط لي صورة معها.

المؤلف عند جذع الشجرة الضخمة في مدينة أوخريد في مقدونيا

وفى (ميدان جنار) رأيت منارة شامخة بل سامقة لمسجد لا يزال عامراً بالمصلين، فأسرعت أصوّر المنارة، وحاولنا أن ندخل إليه فوجدنا بابه الخارجي مغلقا لأن الوقت ليس وقت صلاة، لكون الشمس لم تغرب بعد.

وقلت للأخ (ثريا) وأنا أرى هذه المنارة التي يؤنس منظرها قلب المسلم: لماذا لا تقومون بحملة لإعادة بناء منارتي المسجد المهدومتين، وهو المسجد الذي يقع في قلب المدينة بل في سوقها الرئيسي الذي يمر منه كل داخل إلى المدينة؟.

فأجاب: أن إعادة بناء المنارة صعب الآن لأن أهل المدينة الذين أكثريتهم من المسيحيين يريدون أن يبقى طابعها مسيحياً.

قال: مع أن المسلمين يزيدون الآن، وأن المسيحيين ينقصون الآن لأن

المواليد فيهم ليست كثيرة.

قال: وقد حصلت واقعة استغرب لها الكثير، وهي أن قرية مسلمة صغيرة ألف أطفالها، وهم ينتمون لأسرة واحدة، فصلاً كاملاً، وليس المراد أنهم كلهم إخوة أشقاء، وإنما هم ينتمون إلى أسرة واحدة. قال: ولا يكون هذا في قرى المسيحيين.

قال: ومتوسط إنجاب الأطفال عند المسلمين هو ٧ إلى ٦ للرجل الواحد.

وخرجنا مسرعين من قلب المدينة إلى شاطئ البحيرة حيث شارع الشاطئ وحديقة عامة نضرة.

واضعا الحروف السلافية:

رأيت تمثالاً لرجلين في جانب من الحديقة قد اعتنى واضعوه بهما وكتبوا عليه أنهما (كيريل) و(ميتودي) واضعا الحروف السلافية، وهي الحروف المستعملة الآن في يوغسلافيا وبلغاريا وروسيا.

كان الجو قد برد حتى شعرنا بالحاجة إلى ارتداء المعاطف، وقد شعرت بالبرد وأنا أنظر إلى تمثال هذين الرجلين مما ذكرني بتمثال لهما في مدينة باردة لأنها واقعة في المنطقة القطبية الشمالية، وهي مدينة (مورمانسك) الواقعة في أقصى شمال روسيا، داخل المنطقة القطبية الشمالية، وكانت زيارتي لها في فصل الصيف، بل في شهر يونيو الذي هو أدفأ الشهور فيها، ومع ذلك كانت درجة الحرارة فيها عندما زرتها وتمشيت فيها ٣ درجات مئوية، ورأيت فيها تمثالاً لهذين الرجلين قد نصبه الروس

لهما في هذه المدينة النائية اعترافاً بفضلهما في اختراع هذه الحروف السلافية التي تستعمل الآن في روسيا. وقد ذكرت ذلك في كتاب: ((الرحلة الروسية)) وهو مطبوع.

المؤلف في مدينة أوهريد على الحدود بين ألبانيا ومقدونيا

وأخبرني الإخوة المقدونيون أن المقدونيين أقاموا لهما تمثالاً في جامعة إسكوبيا العاصمة.

مغادرة مقدونيا:

غربت الشمس ولم نشف الغليل من رؤية (أوهريد) هذه، وكنا نود أن نجول في أماكن منها ومن غيرها، ومعنى غروب الشمس اليوم أننا لن نستطيع ذلك فيما بعد، لأننا سوف نسافر مغرب هذا اليوم إلى زغرب عاصمة كرواتيا.

لذلك أسرعنا إلى المطار الذي هو قريب لا يبعد إلا ٨ كم من أوهريد هذه، كما أنه لا يبعد أيضاً عن إستروقا إلا بمقدار هذه المسافة لأنها على جهة أخرى.

اشترينا تذكرتين من المطار للسفر من إستروقا إلى زغرب بمائتي دولار للتذكرة الواحدة، مع أن المسافة قصيرة، وهذا غالٍ جداً، ولا أدري أيأخذون من جميع الركاب هذا المقدار للتذكرة، أم ذلك خاص بالأجانب.

وذلك أن كثيراً من الأقطار الشيوعية قبل انحسار الشيوعية وبعدها تجعل لاستعمال المرافق العامة كالطائرات والقطارات وحتى المطاعم والفنادق سعرين: أحدهما للمواطنين من أهل البلاد يكون مخففاً ينسجم مع دخولهم المحدودة المغلقة أي التي لا أمل في تحسينها أو زيادتها، وآخر للأجانب الذين يفدون إليها من الخارج.

والمطار صغير والركاب فيه قليل، وذلك لصغر المدينتين القريبتين (إستروقا) و (أوهريد)، وكل الموجودين فيه ذوو مظهر أوربي خالص.

كان الإخوة المرافقون المقدونيون يسعون في إجراءات الترحيل، وكنت جلساً في مقهاة في الفندق على شاي وأوراق أسودها بما تقرأه في هذا الكتاب، ولذلك لم أرَ من الإجراءات شيئاً، إلا أن ضابط الجوازات عند المغادرة توقف عند جوازي فترة دون أن يقول لي شيئاً، ثم أعاده إليّ، فدخلنا إلى قاعة المغادرة، وركبنا مع طائرة الخطوط الكرواتية، وهي من طراز بوينج ٧٣٧ إلى زغرب عاصمة كرواتيا.

والحديث عن كرواتيا وبعدها سلوفينيا في كتاب آخر هو «كرواتيا وسلوفينيا». ولله الحمد.

الإسلام والمسلمون في مقدونيا:

تحدث الأستاذ سليمان أفندي رجبي رئيس الاتحاد الإسلامي في مقدونيا عن الوضع الإسلامي في مقدونيا بقوله: ((تذكر مصادر حكومة مقدونيا الرسمية أن المسلمين يشكلون نسبة ٣٠٪ من جملة سكان مقدونيا البالغ عددهم نحو مليوني نسمة، وفي الواقع أن نسبة المسلمين لا تقل عن ٥٠٪، وإن كانت بعض التقديرات تراهم أكثر من ذلك، فالأرثوذكس الذين يسيطرون على مقاليد السلطة لا يريدون أن يكون المسلمون أكثرية فيفقدون بذلك مكاسبهم، ومع ذلك فالحكومة تضم خمسة وزراء مسلمين، وموقفها نحو المسلمين غير عدائي، ولكن لا يخفى أننا نواجه بعض المشكلات في أعمالنا بسبب موقف القيادات الأرثوذكسية، ويتكون المسلمون عموماً من الألبان وهم الأكثرية، والأتراك والتورباش وهم المسلمون من أصل مقدوني، والبوماك وهم مسلمون من أصل بلغاري والغجر)).

وفي مقدونيا يوجد أكثر من ستمائة مسجد، وقد يصل عدد الأئمة إلى قرابة الألف إمام، منهم أكثر من ١٥٠ إماماً يحملون شهادات جامعية عليا، والباقي من خريجي الثانويات الشرعية، مثل ثانوية عيسى بك الإسلامية في سكوبيا وغيرها من المدارس الشرعية الأهلية، والاتحاد الإسلامي يضم ممثلي الجماعات الإسلامية في مجلس شورى يتكون من ٤١ عضواً ويشرف على ٨ دور للإفتاء منتشرة في أهم المقاطعات والمناطق ذات الأكثرية.

ثم تحدث عن الخلافات التي دبت بين المسلمين بعد عودة الشيخ

يعقوب سليموفسكي إلى بلاده مقدونيا ، وكان يتولى منصب رئيس العلماء في يوغسلافيا قبل الأحداث الأليمة في البوسنة ، وقال: إن المذكور حاول مع بعض الشخصيات الإسلامية تشكيل جبهة ضده وأثار بعض المشكلات ، ولكن تم بحمد الله إنهاء الخلافات وإجراء المصالحة مع الإخوة الذين كان لهم موقف مغاير ، ولم يبق إلا الشيخ يعقوب سليموفسكي ، وخلافه لا يشكل خطورة على إجماع المسلمين.

وبمناسبة زيارة وفد الرابطة تمت دعوة المفتين والشخصيات الإسلامية الأخرى للاجتماع مساءً في مقر الاتحاد الإسلامي.

وبعد أن شكرته على ما قدمه من معلومات قلت: إن وفد الرابطة يهدف من زيارته للإخوة المسلمين في مقدونيا إلى الاجتماع مع أطراف النزاع وإنهاء الخلاف بينهم وجمع كلمتهم ، لأن اختلاف زعماء المسلمين وخصومتهم لا يخدم إلا أعداءهم ، ويسعدنا أن نعلم بزوال الخلاف ، وأن روح الأخوة الإسلامية قد سادت ، كما يسرنا أننا حضرنا ذلك الاجتماع الإسلامي للاحتفال معاً بهذا الإنجاز الذي لا شك يسر المسلمين في كل مكان.

هذا وقد قدم لنا الشيخ سلمان رجبي نبذة مكتوبة عن أحوال المسلمين في مقدونيا ، رأيت أن أنقلها هنا قال:

إن بداية انبعاث نور فجر الإسلام في جمهورية مقدونيا نهاية القرن الرابع عشر هو من الحقائق التاريخية بقدوم الإمبراطورية العثمانية ، إلا أنه لا يمكننا إن نغض النظر عن أدلة واضحة وأكيدة لتواجد الدين الإسلامي وبوصوله عن طريق التجار العرب. على جميع الأحوال منذ ذلك التاريخ بدا

انتشار الإسلام ودخول الإسلام من شعوب مختلفة الذين كانوا يعيشون في تلك المنطقة، وبدا تفاعل الدعوة الإسلامية وانتشارها في هذه المنطقة.

في تلك العصور بدأ شعاع انتشار مدنية وحضارة لها رونقها وقالبها الخاص من الحياة والمعيشة، وكان الدين الإسلامي هو منبع لتلك المدنية والحضارة، فبدأت معالم الإسلام، كالجمال النادر للجوامع، والعديد من المدارس، وكذلك العمارة الإسلامية وفنونها التي للأسف الشديد هدمها أعداء الإسلام.

لقد بدأت الأيام السوداء في تاريخ المسلمين بتراجع العثمانيين عندما قام الجيش الصربي بمساعدة الفرق الإجرامية، وكان ذلك إرهاب فرض على المسلمين، لقد طردوا، ولوحقوا وشردوا، لقد أهدرت دماؤهم، وعذبوا وسجنوا الآلاف من المسلمين وقادتهم.

لقد أحرقت قرى كثيرة عن بكرة أبيها، الأمر الذي اضطر المسلمين للهجرة لتركيا لينفذوا برؤوسهم.

الحضارة الإسلامية من فنون العمارة الإسلامية هدمت وهو نفس ما حدث في البوسنة آلاف من الجوامع والمدارس والمكتبات أحرقت والحمامات والتكيات مسحت من وجه الأرض، ومع ذلك ما زالت آثار وحقيقة هذه الحضارة في قلوب المسلمين الذين يجاهدون يومياً بإحيائها وإعادتها إلى الحياة.

هذا وإن الشعب الألباني بأعداد وأفواج هائلة دخلوا في الإسلام، ولقد شردوا من ديارهم إلى تركيا. كل ذلك أدى إلى تضاؤل عناصر الإسلام من المنطقة. وهو نفس القدر الذي واجهته الشعوب الإسلامية الأخرى لهذه

المنطقة. لقد شرد الأتراك والألبان والبشناق والترباش .....

لقد كان جحود الشيوعية وبطشها مركّزاً على علمائنا، لقد قاموا بأعمال ظلم مختلفة أشكالها واتجاهاتها وتأثيراتها، مما أدى إلى تأخر علماء المسلمين خطوة قبل الشيوعيين، ومع العنف والبطش الذي كان موجهاً ضد المسلمين وعلمائهم إلا إن هذا الظلم أدى إلى تمسك المسلمين بدينهم وحبهم لله جلّ شأنه.

إن أعمال العنف والبطش وهدم حضارة المسلمين لم يحدث عليه تغير لقد تابعت الشيوعية أعمال البطش وهدم معالم الحضارة الإسلامية، ومن اغتصابها وتأميمها هذه الأملاك التي كانت تحت إدارة واحدة دينية، هي الاتحاد الإسلامي في مقدونيا. نستطيع إن نقول: إن كثيراً من المباني الحكومية السياسية تواجدت في باحات الجوامع؛ الجوامع حولت إلى مخازن تجارية، مصانع لإنتاج الكحولات، وكثير منها هدم بالمتفجرات والديناميت، وبواسطة عربات النسافات مسحت الجوامع ومحيت عن وجه الأرض. هذا بالزلزال الذي داهم مقدونيا عام ١٩٦٣ وهدم كثيراً من الجوامع، وما زال كثير من آثار الزلزال على هذه الجوامع باقياً ليومنا هذا ليذكرنا بتواجد هذه الجوامع وتاريخها العظيم.

وبالرغم من كفاح الأهالي المسلمين لإعادة بناء هذه الجوامع ذات الفنون والطابع الحضاري الإسلامي فإننا نجد مكان ذلك بنيت الكنائس.

وبإرادة الله بدأت عمليات القضاء على الشيوعية في أوروبا، وأول من بدأ ذلك الألبان المسلمون في كوسوفا ومقدونيا. وعم عمليات القضاء على الشيوعيين جميع مدن مقدونيا.

من ناحية أخرى هذه الفترة بالذات كانت عاملاً على نشاط الاتحاد الإسلامي في مقدونيا لإحياء الحياة الإسلامية بجميع أوجهها كسلطة وحيدة قام على عاتقها مسؤولية الكفاح من أجل حقوق المسلمين التي سلبت وإرجاعها لأصحابها المسلمين من أوقاف ومحلات ومخازن.

ومن جهة أخرى تولدت ظاهرة جديدة، وهى بأي حال من الأحوال غير مفهومة للمجتمع الجديد. في مكان ما الكنيسة الأرثوذكسية تعاونت معها الإدارة الحكومية، بالحرف الواحد الوزير السابق للإنشاء والتعمير في أول حكومة لمقدونيا لبنسف المعروف بعدائه للمسلمين، وأعلن ذلك مقدونيا الكبيرة يجب إن تكون حكومة مسيحية أرثوذكسية، وتعمل في هذا الاتجاه حتى تكتسب كل المنطقة المظهر المسيحي.

لقد عمل وحاول تطبيع وتحقيق فكرته ودعايته في الأماكن المشهورة والتجارية بوضع الصلبان. هذا وعلى كثير من معالم الحضارة الإسلامية كأبراج الساعات وضعت الصلبان، وكان ذلك العمل استفزازاً مباشراً للمسلمين.

في أشهر مدن المنطقة الشرقية كمدينة مانستير (بتولا) وبريلب وهذه الأبراج هي منذ عهد العثمانيين وضعت عليها صلبان طولها متران وأكثر، وثقلها عدة مئات من الكيلوجرامات، وتعتبر أبراج الساعات المقامة في ساحات الجوامع هي من تراث الحضارة الإسلامية، وهى لإعطاء مواقيت الصلاة.

هذا وفي نفس التوقيت الزمني كان استفزاز مسلمي مقدونيا، وكذلك استفزاز الاتحاد الإسلامي لمقدونيا، هو تصميم ومحاولة تحويل

جامع مدينة شتيب (جامع حسام الدين) إلى كنيسة، وهو يعتبر أقدم جامع في منطقة البلقان، ولا يمكننا نسيان ما حدث، وفي وقت الادعاء بالديمقراطية تم حرق مساجد، وفتحت مقابر المسلمين ونبشت. لقد توقعوا من أعمالهم هذه وضغوطهم على المسلمين سيتم لهم حلم توقيف أعمال الاتحاد الإسلامي في مقدونيا، وهذا سيحول المسلمين عن عقيدتهم، ولكن الأمر عكسي، لقد ثبتت هذه الأعمال ودفعت المسلمين للعمل وللكفاح.

إن الصحوة الإسلامية التي عمت المسلمين في مقدونيا والفضل الكبير يرجع أولاً لله جل شأنه، وثانياً للاتحاد الإسلامي في جمهورية مقدونيا والعاملين من العلماء، وخاصة الصحوة التي عمت بين صفوف العاملين من السياسيين والمعلمين، لم تستطع أية قوة أن تقف وتعرقل تصميم ونشاط الاتحاد الإسلامي في مقدونيا باتجاهاته المختلفة، بادئاً بتجميع صفوف المسلمين وتوحيدهم حوله، لا فرق بانتماءاتهم القومية.

المسلمون من الألبان، والأتراك، والبوشناق، والترباش، والروم متيقنون بأن الاتحاد الإسلامي فقط يستطيع الدفاع وحماية مصالحهم، لقد بدأ الأطفال في الانطلاق للمكاتب، شكلت مدارس لتحفيظ القرآن وتعليمه، وهذا النشاط نشاهده والحمد لله، وهي أصبحت ظاهرة يومية في جميع مناطق ومدن مقدونيا.

هذا وفي فترة الأربع سنوات الأخيرة تم وضع حجر الأساس وبناء المئات من الجوامع، التي منها ثمانية وثلاثون جامعاً جديداً وحديث البناء في عام ١٩٩٥، وبذلك يكون في مقدونيا ستمائة جامع عاملة نشطة. وطوال هذه

الفترة اغلب الكوادر ذات التعليم الإسلامي تخرجت من مدرسة عيسى بيك الثانوية الإسلامية، والتي فيها يكرس الاتحاد الإسلامي في جمهورية مقدونيا جميع مجهوداته وقواه مالياً ومادياً والعاملين فيه، وكذلك مساعدة ومساندة السكان المسلمين، وعلى الرغم من استطاعتهم المحدودة ويتابع عدد كبير من هؤلاء الطلاب دراساته الجامعية في كليات وجامعات الدول الإسلامية والعربية كجمهورية مصر العربية، والمملكة العربية السعودية، والكويت، وتونس، والأردن ودول أخرى، وكذلك في تركيا والبوسنة، ومع أن ذلك يشكل عبئاً مالياً كبيراً على الاتحاد الإسلامي في جمهورية مقدونيا، وهو المنظمة الوحيدة التي ترعى أحوال المسلمين والطلاب وكذلك أهالي هؤلاء الطلاب.

هذا وخلال السنوات الأربع الأخيرة كرس الاتحاد الإسلامي جميع قواه، وذلك باتصالاته وبإرساله ممثلين إلى الدول الإسلامية للالتقاء مع المسؤولين للجامعات الإسلامية لقبول الطلاب، هذا ولقد استطاع الاتحاد الإسلامي بجهوده هذه تسجيل مئات الطلاب في تلك الجامعات كمستفيدين من المنح الدراسية، وكذلك تسجيل عدد كبير من الطلاب في المدارس الثانوية لتلك الدول، وذلك لعدم مقدرة مدرسة عيسى بيك على استيعاب الطلاب المتقدمين للتعليم الإسلامي، استطاع الاتحاد الإسلامي في جمهورية مقدوينا إحياء جميع الأعياد والمناسبات الإسلامية إعلامياً، إن كان ذلك على شاشة التلفاز، أو عن طريق الإذاعات المحلية، والصحافة ذلك بمجهودات العاملين في الاتحاد وتنظيمهم لذلك، وإعداداتهم وخاصة خلال شهر رمضان المبارك من برامج مختلفة إلى قراءة القران الكريم، وتفسير للقرآن والأحاديث النبوية إلى لقاءات إسلامية، وبحث مواضيع تهم

المسلمين في حياتهم اليومية، وتشعر بذلك في كل وقت وزمان، كل ذلك من خلال التلفاز والإذاعات المحلية والصحافة، كل هذا بالرغم من الوضع الاقتصادي المتدهور، والحصار التجاري الذي عاشه السكان المسلمون لأزمة الحرب الاقتصادية.

هذا وعلى كل الأحوال وبالرغم من صعوبة المعيشة والوضع الاقتصادي المتدهور نتيجة للحصار الاقتصادي المفروض على المنطقة واصل الاتحاد الإسلامي في جمهورية مقدونيا مجهوداته في رفع مستوى الحياة الدينية للمسلمين بالإعلام وطباعة الكتب الإسلامية والترجمات المختلفة للفكر الإسلامي من اللغات المختلفة، والذي يكلف مبالغ كبيرة وعبئاً مالياً، والهلال هي الجريدة الإسلامية الوحيدة التي يصدرها الاتحاد الإسلامي، وتنشر مواضيع مختلفة إسلامية فكرية تاريخية وأحداث تهم المسلمين، هذه الجريدة والتي تصدر بثلاث لغات: الألبانية والتركية والمقدونية بالرغم من الحالة الاقتصادية السيئة قام الاتحاد الإسلامي بإصدارها كل أسبوعين مرة بعد أن كانت شهرياً مرة واحدة، وكذلك طباعة وإصدار عدد كبير من الكتب الإسلامية.

اختصاراً نستطيع القول بأن الاتحاد الإسلامي في جمهورية مقدونيا اصبح تحت إشرافه عدد كبير من المعاهد ذات الأهمية والثقل في الدور الذي تلعبه وتشكله في الحياة اليومية للمسلمين، وكذلك في رفع المفهوم الإسلامي بينهم، ويؤكد ذلك العدد الكبير من الزيارات الرسمية التي قام بها رؤساء الدول الإسلامية، وفود ومنظمات إسلامية هامة.

هذا ولقد قامت الرئاسة العليا للاتحاد الإسلامي في جمهورية

مقدونيا بإرسال ممثلين رسميين عنها إلى الاشتراك في كثير من المؤتمرات الإسلامية إن كان ذلك في أوروبا أو على مستوى العالم العربي الإسلامي، وأصبح الاتحاد الإسلامي عضواً فعالاً في المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية الذي يعقد سنوياً في القاهرة تحت إدارة الأزهر الشريف.

هذا ولقد أثرت الأزمة الاقتصادية من جراء حرب اليوسنة والهرسك مباشرة، وخاصة على حياة المسلمين في مقدونيا، حيث إن اليوسنة وبالأحرى مدينة سراييفو هي مركز الرئاسة الإسلامية لجمهوريات يوغسلافيا السابقة، ومن مركز الرئاسة كانت تصدر جميع الأمور التنظيمية للمسلمين حيث كان يدرس الطلاب العلوم الإسلامية في تلك الجمهورية. وباندلاع الحرب وتقسيم يوغسلافيا السابقة إلى جمهوريات جديدة اعترف بها دولياً، وكذلك حصول مقدونيا على الاستقلال ،وطبعياً أعلن الاتحاد الإسلامي في جمهورية مقدونيا عن استقلاله كلياً.

هذا وعدد كبير من الطلاب خريجو مدرسة عيسى بيك الثانوية الإسلامية لم يستطيعوا تكملة تعليمهم في ذلك المركز (سراييفو) بسبب الحرب. ومع أن أزمة الحرب ما اجتاحت مقدونيا، إلا أنها أثرت مباشرة على الأهالي المسلمين، وأدت بهم إلى حالة اجتماعية سيئة، وهذه الحالة أكثر شيء كان لها تأثير مباشر على التعليم، وعدد كبير من الشباب اضطر إلى السفر لدول الغرب لسد احتياجات أهله من المواد الأولية للمعيشة. أما الطلاب الذين كان في مقدرتهم التعليم، بسبب أزمة الحرب الاقتصادية انقطعوا عن الدراسة ورجعوا إلى مقدونيا. نتيجة إلى كل هذه الظروف غير المواتية وجد الاتحاد الإسلامي في جمهورية مقدونيا، وهو الجهة الوحيدة قانونياً في مسؤوليتها عن المسلمين طبقاً لدستور برلمان جمهورية مقدونيا

المادة ١٩ ، وهي المادة التي تنص على مسؤولية الاتحاد الإسلامي عن المسلمين، ورعايتهم قِام الاتحاد الإسلامي مباشرة باتخاذ خطوات فعالة، وبفرض نشاط فعال إعلامي ودراسي تخطيطي إن كان ذلك على الصعيد في جمهورية مقدونيا، أو باتصالاته بالمنظمات الإسلامية والدول الإسلامية والجهات المعنية بالتعليم لافتتاح كلية دراسات إسلامية في مقدونيا نتيجة للحاجة الماسة لهذا الأمر. وكما هو طبيعي لكل عمل يهم المسلمين وفيه مصلحة للمسلمين يتحرك أعداء المسلمين لوقف مثل هذه النشاطات أو المشاريع، قام بعض الأفراد إن كان على الصعيد المحلي أو في الدول الإسلامية بوضع العراقيل أمام هذا العمل الذي هو خير للمسلمين والإسلام، وكذلك رفض السلطات الحكومية المحلية لطلب الكلية عدة مرات مع أن كلية التدين للكنيسة مفتوحة منذ اثني عشر عاماً.

بالفعل بذل الاتحاد الإسلامي في جمهورية مقدونيا كل مجهوداته واضطر الإدارة الحكومية لمنح الترخيص لإنشاء كلية الدراسات للعلوم الإسلامية بعون الله جلّ شأنه أصبح هذا الأمر حقيقة واقعة.

الحكومة المقدونية قامت بالتوقيع على الترخيص للبدء بإنشاء كلية الدراسات الإسلامية في مدينة سكوبيا عاصمة جمهورية مقدونيا.

ببهجة وسرور كبير اجتاح أوساط المسلمين بجميع تشكيلاته الاجتماعية والسياسية عمت البهجة والسرور، وفي نور شهر رمضان المبارك يوم ليله القدر ٢٧ من رمضان ١٤١٥هـ تم وضع حجر الأساس في ضاحية كوندوفو من مدينة سكوبيا، وتحت إشراف وتنظيم الاتحاد الإسلامي في جمهورية مقدونيا اشترك في هذا الاحتفال جميع الهيئات الإسلامية

والشخصيات السياسية وممثلي البرلمان من المسلمين وشخصيات إسلامية من خارج البلاد، تم وضع حجر أساس كلية الدراسات الإسلامية في مدينة سكوبيا.

وقبل فترة زمنية معينة قام الاتحاد إسلامي في جمهورية مقدونيا بالإعلان عن مناقصة لإنشاء كلية الدراسات الإسلامية، واستطاعت الشركة الهندسية العالمية ((جرانيت)) أن تأخذ المناقصة بعرضها الموافي لجميع الشروط الهندسية والاقتصادية والقانونية، وتم توقيع عقد اتفاق إنشاء كلية الدراسات الإسلامية في عدة مراحل تبعاً للتمويل المادي للمشروع، والذي سيمكنه الاتحاد الإسلامي لاحتياجات إنشاء الكلية.

وبالفعل في شهر أكتوبر ١٩٩٥ بدأ إنشاء أول مبنى وهو المبنى الرئيسي ((مبنى كلية الدراسة)) والإنشاءات متتابعة ومستمرة، أما المباني الأخرى التابعة للكلية فلم يباشر فيها الإنشاء.

وهكذا وبالرغم من الصعوبات والعراقيل، ولكن بالأمل الكبير والإيمان العظيم بالله ومبادئ الإسلام والحب المتناهي للعلم والذي ينبع من صدق، تم بحمد الله تحقيق حلم المسلمين في مقدونيا، وإن شاء الله أصبح لهم معهد علمي إسلامي هام، والذي سيعيش قروناً يشع نور الإسلام والمعرفة، والذي فيه سيتم تعليم أبناء المسلمين.

إن هذا البناء العظيم: كلية الدراسات الإسلامية ستشع نوراً عبر التاريخ، وأمانة المستقبل للأجيال القادمة من المسلمين في مقدونيا متحدثة ذاكرة الأعمال العظيمة التي قام بها المسلمون بإنشاء هذه الكلية والتعاون بين جميع المسلمين، بغض النظر عن انتماءاتهم القومية بإنشاء هذا النور

العظيم نور الإسلام.

إن الحاجة الماسة الملحة لإنهاء وإتمام هذا الإنشاء العظيم وهذا المشروع الكبير مشروع وأمل المسلمين، إنه سيكون عون وأمل الشباب المسلمين، فهبوا في إنشاء مستقبل أبنائكم وشبابكم، إنه جزء لا يتجزأ من حياة المسلمين، فلنعمل على إتمام هذا المشروع العظيم عاملين على تحقيق مستقبل وحلم شبابنا المسلمين، وهو أمر هام من أمور ديننا الحنيف تعليم ديننا والتثقف فيه وهو أمر من الله جل وعلا، إنه حلم المستقبل لأجيال أبنائنا والنور الذي سيشع على مدى عصور التاريخ، وببذلنا وعطائنا سننتصر بإذن الله على الجهل والظلام الذي لا يمكن بحال من الأحوال أن يتحكم بنا وبديننا.

ملاحظات وفد الرابطة:

١- الوضع الاقتصادي السيئ الذي لازم مقدونيا بعد انهيار الحكم الشيوعي وتعرضها لحصار اقتصادي من اليونان وبلغاريا وصربيا بسبب إعلان استقلالها، علاوة على المشكلات التي صاحبت انهيار المؤسسات الاشتراكية بسبب التحول إلى اقتصاد السوق الحر قد أثر سلباً على النشاط التجاري والمالي، وبالطبع كان أثره مضراً على النشاط الحضاري الإسلامي إذ لازال كثير من المساجد يحتاج إلى ترميم وإصلاح والنشاط الثقافي والتعليمي يحتاج إلى دعم مادي ومعنوي، ومع ذلك فالمسلمون رغم فقرهم وضعف إمكاناتهم المادية يبذلون جهداً لدعم المؤسسات الإسلامية التي أخذت تنمو وتنشط وتؤدي دورها في المجتمع الإسلامي.

٢- الاضطهاد الشيوعي قد زال عموماً بسبب انفراط عقد الاتحاد اليوغسلافي والسوفياتي، ولكن حل مكانه ضغوط صربية أرثوذكسية تدعمها الهيئات المسيحية الأوربية المختلفة، فالأرثوذكس المقدونيون الذين يتولون مقاليد الحكم يعملون على تقليل شأن المسلمين لإبعادهم عن مراكز الحكم والقيادة، ويمارسون في سبيل ذلك كافة الإجراءات الجائرة، وبث المشكلات والفتن بين المسلمين، وقد يعتدي بعضهم على المساجد كما حدث في مسجد حسام الدين في شتيب أو يزرعون الصعوبات التي تحول دون بناء مسجد أو ترميمه، وقد يثيرون بعض التهم ضد المسلمين بأنهم يحاولون الثورة ضد الحكم، كما حدث في العاشر من نوفمبر عام ١٩٩٣ عندما أعتقل الأستاذ حسين حسكاى وكيل وزارة الدفاع بتزعم حركة ألبانية انفصالية عن مقدونيا.

٣- المشيخة الإسلامية إبان الحكم الشيوعي مع أنها هيئة مستقلة إلا أنها كانت مؤسسة ذات صبغة حكومية تعمل على الموازنة بين النظام الشيوعي القائم والنشاط الإسلامي العام، ولم يكن يتمتع بمنصب رئاسة المشيخة الإسلامية إلا من يستطيع أن يتحكم في هذه الموازنة لينال ثقة الحكومة، بصرف النظر عن مؤهلاته وكفاءته والتزامه الإسلامي ومع أن الشيوعية انهارت ومقدونيا استقلت، ويحكمها الشيوعيون السابقون باسم الديمقراطية فالمشيخة الإسلامية بقيت بدون تغيير سوى انفكاك ارتباطها برئيس العلماء في سراييفو بالبوسنة، وتشكيل الاتحاد الإسلامي الذي استمر على رئاسته الشيخ سليمان أفندي رجبي.

وقد أثار هذا الموضوع شجون بعض الشخصيات الإسلامية الذين يحملون شهادات علمية عالية من جامعات إسلامية عالمية، خاصة أن الشيخ سليمان أفندي رجبي لم يكمل دراساته الجامعية في الكويت، بالإضافة إلى تصرفاته مثل إقالة مفتي تيتوفوا الشيخ نجاتي عفة ليماني، وتعيين الأستاذ محمد حسين بدلاً عنه أثارت الخصومات ضده، وخاصة أن الشيخ يعقوب سليموفسكي المعزول من منصب رئيس العلماء في يوغسلافيا، والعائد إلى مقدونيا حاول استعادة مركزه في رئاسة المشيخة الإسلامية في مقدونيا بتكوين جبهة معارضة ضد الشيخ سليمان أفندي رجبي، وكانت هذه الأمور قد أحدثت بعض الاضطراب والانشقاق بين المسلمين، ولكن قام الحاج رشدي لاطا مفتي دوبار بجهود مشتركة مع الشيخ أيوب سلماني رئيس الأئمة في تيتوفوا لإصلاح ذات البين، وقد تم ذلك بتاريخ ١١ ربيع الثاني عام ١٤١٧هـ الموافق ٢٤ سبتمبر ١٩٩٦م، وبهذا انتهى النزاع الذي دام أكثر من ثلاثة أعوام.

وأما موقف الاتحاد الإسلامي من الهيئات الإسلامية الدولية التي ترغب العمل في مقدونيا، فيرجع إلى أن ممثلي هذه الهيئات الإسلامية يودون العمل مستقلين بدون الارتباط أو التعاون مع الاتحاد الإسلامي، وهو الجهة المسؤولة حكومياً وشعبياً، وقد يكون في نشاط بعضهم تدخل في شؤون الاتحاد الإسلامي نفسه، أو الاتصال ببعض الجهات المعارضة، فيثيرون شكوك المسؤولين بنشاط غير واضح أو غير مرخص، ويتورطون في مشكلات داخلية، وقد يكون أحياناً دافعها المصالح المالية مما يحمل الاتحاد الإسلامي للمطالبة بوقف العمل.

وكان وفد الرابطة من خلال جولاته في مناطق المسلمين والاجتماع إليهم، وزيارة مشاريعهم الإسلامية، وبحث مشكلاتهم وظروفهم لاحظ ما ذكر.

٤- في مقدونيا يتضح أن المسلمين يعيشون ظروفاً جيدة ثقافياً وعملياً، ويظهر ذلك من كثرة خريجي الجامعات الإسلامية وحملة المؤهلات الإسلامية العالية، علاوة على خريجي الكلية الإسلامية في سراييفو بالبوسنة، وقد ساعد انتشار هؤلاء المتعلمين من ذوي الثقافة الإسلامية على تنشيط التعليم الإسلامي، فهناك حركة تعليمية جيدة في المساجد والمدارس الإسلامية الخاصة بجوار المساجد.

علاوة على دورهم في التوعية والإرشاد في المساجد لهم نشاط ثقافي من خلال إصدار الكتب الإسلامية وترجمتها، ومن خلال صفحات جريدة الهلال الإسلامية التي تصدر أسبوعياً باللغات الألبانية والمقدونية والتركية.

٥- يجب الاستمرار في التعاون مع الاتحاد الإسلامي وإطلاعه على

كافة المساعدات التي تقدم من الرابطة خاصة والمملكة العربية السعودية بوجه عام، لأن ذلك يوثق تلك المساعدات، ويضمن لها أن تقع موقعها طبقاً لما أوردناه من قبل.

٦- لاحظنا أن لرابطة العالم الإسلامي والمملكة العربية السعودية مكانة محترمة عند الإخوة المسلمين في مقدونيا، لأنها تقدم إليهم المساعدات الأخوية دون أن تتدخل في شؤونهم الداخلية، ودون أن تطلب مقابل ذلك أي مطلب مادي.

٧- يجب بذل المساعدة السخية للمشروع العظيم الذي رأيناه وهو مشروع كلية الدراسات الإسلامية لأنه مهم جداً للمسلمين، وبخاصة إذا أنشئت إلى جانبها كلية أو كليات تكون في مناهجها مواد علمية تجريبية مثل كلية الإدارة، وكلية الحاسب الآلي، أو كلية المحاسبة، فذلك يضمن لأبناء المسلمين الدراسة الدينية والتأهيل للوظائف المدنية.

والله الموفق.

فهرس الموضوعات

كتب مطبوعة في الرحلات للمؤلف ... ٣
مؤلفاته المطبوعة في غير فن الرحلات. ٩
المقدمة: ١٣
الفصل الأول: بلغاريا ١٧
من جدة إلى إسطنبول: ١٩
ذكريات من مطار المدينة المنورة: ١٩
في مطار إسطنبول: ٢٣
العمل يبدأ من المطار: ٢٤
من إسطنبول إلى بلغاريا: ٢٥
ربيع الخريف: ٢٦
منتجع سليم باشا: ٢٧
الحدود بين تركيا وبلغاريا: ٢٩
على أراضي بلغاريا: ٣١
المغطس المعدني: ٣٣
العشاء البلغاري: ٣٥
صباح بلغاريا: ٤٠
الجولة في بلغاريا: ٤٢
قرية كوليت: ٤٤
إلى مدينة خاصكوفو: ٤٧
الجامع المعتدى عليه: ٥١
المسلمون في خاصكوفو: ٥٥
إلى مدينة قرزلي: ٥٧
مدينة قرزلي: ٥٨
خطوة جديرة بالاحتذاء: ٦٢
مسجد قرزلي: ٦٣
مومجل قراد: ٦٦
قرية كالشته: ٦٧
عند البقرة الصفراء: ٦٧
منطقة البوماك: ٦٩
قرية لاسكا: ٧١
هذه مادان: ٧٢
حشد من المستقبلين: ٧٣
غداء المجتهدين: ٧٥
المسلمون في مادان: ٧٦
بلدة تيرن: ٧٨
مسجد بلا منارة: ٧٩
مدينة سمولیان: ٨١
المسلمون في سموليان: ٨٢
إلى صوفيا: ٨٤
عاصمة بلغاريا: ٨٥
دار الإفتاء: ٨٦
المعهد الإسلامي العالي: ٨٨
جامع رأس الحمَّام: ٨٩
مطعم الفردوس: ٩٠
في رئاسة الوزراء: ٩١
ملخص لعمل وفد الرابطة في بلغاريا ... ٩٨
ملاحظات عامة: ١٠٣
مغادرة صوفيا: ١٠٨

مدينة قسنطديل : ١٠٨
الفصل الثاني: مقدونيا ١١١
من الحدود إلى العاصمة : ١١٣
على أراضي مقدونيا : ١١٤
مدينة إسكوبيا : ١١٤
صباح إسكوبيا : ١١٦
إلى رئاسة الاتحاد الإسلامي المقدوني : ١١٧
مدرسة عيسى بيك الإسلامية : ١٢٢
جولة في مدينة إسكوبيا : ١٢٧
أهي مدينة إسلامية ؟ ١٣٠
حديقة المدينة : ١٣٢
المبنى الذي أبى أن يستعمل : ١٣٣
مأدبة الرئاسة : ١٣٥
جامع مصطفى باشا : ١٣٥
سوق سارة تشاركيا : ١٣٧
الاجتماع بالعلماء والمفتين : ١٣٩
طباعة الكتب الإسلامية بالألبانية : ... ١٤٢
إلى مدينة تيتوفوا : ١٤٤
المآذن اكثر الأبنية ظهوراً : ١٤٥
قرية جاليل نو : ١٤٦
أشجار التفاح : ١٤٧
هذه تيتو فوا : ١٤٧
الجامع الملون : ١٥٠
جمعة تيتوفوا : ١٥٢
المدرسة القرآنية : ١٥٦
جولة في مدينة تيتوفوا : ١٦١
الجبال الخضر : ١٦٣
جبل شار : ١٦٤
مسجد محرم شاه : ١٦٧
في دار الإفتاء : ١٦٨
ليلة مقدونية : ١٧٠
صباح شلوبك : ١٧٢
العودة إلى (تيتوفوا) : ١٧٥
إلى مدينة إستروقا : ١٧٦
مدينة قوستي فار : ١٧٧
الرمل الثمين ١٧٧
قرى مسلمة : ١٧٩
مدينة كرشوفا : ١٧٩
منتجع آزفورت : ١٨١
قرية مالكويس : ١٨٢
عند بحيرة إستروقا : ١٨٣
في دار الفتوى : ١٨٥
إلى قرية لابونشتا : ١٨٨
الاحتفال الكبير : ١٩١
الاحتفال المهيب : ١٩٢
وضع حجر الأساس : ١٩٧
الصلاة الحافلة : ١٩٩
والغداء الحافل : ٢٠٠
العودة إلى دار الفتوى : ٢٠٢
استئناف الجولة : ٢٠٣
إلى مدينة أهريد : ٢٠٤
مدينة أوهريد : ٢٠٥
ميدان جنار : ٢٠٧
واضعا الحروف السلافية : ٢٠٩
مغادرة مقدونيا : ٢١٠
الإسلام والمسلمون في مقدونيا : ٢١٢
ملاحظات وفد الرابطة : ٢٢٤
فهرس الموضوعات ٢٢٩

https://dawa.center

المستودع الدعوي الرقمي
Osoul Center For Studies

١- وراء المشرقين: رحلة حول العالم وحديث في شؤون المسلمين
٢- رحلات في البيت : رحلات داخل المملكة العربية السعودية.
٣- جولة في جزائر البحر الأبيض المتوسط.
٤- ذكريات المؤتمرات (الخارجية).
٥- جولة في جزائر المحيط الأطلسي.
٦- مؤتمرات إسلامية حضرتها.
٧- رحلة المسافات الطويلة.
٨- حول العالم في خط متعرج.
٩- الإشراف على أطراف من المشرق العربي.

الرحلات الإفريقية.

١٠- الإشراف على أطراف من المغرب العربي.
١١- العودة إلى غرب إفريقية.
١٢- إلى قصى الجنوب الإفريقي.
١٣- من إفريقيا الاستوائية إلى ساوتومي.
١٤- العودة إلى المغرب الأقصى بين الصحراء والأرض الخضراء.
١٥- إلى إرتيريا بعد ٣٦ سنة.

رحلات في القارة الأوربية

١٦- البرتغال وبلجيكا وهولندا.
١٧- خلف الستار العقيدي.
١٨- إلى جنوب الشمال: بلاد السويد.
١٩- شمال الشمال: النرويج وفنلندا.
٢٠- التعليق على السفر إلى قطار البلطيق.
٢١- من كوبنهاجن إلى كيبا مروراً بباريس.
٢٢- رحلة الشمال.
٢٣- خلال وكرانيا بحثاً عن المسلمين.
٢٤- زيارة لإيطاليا وحديث في شؤون المسلمين.
٢٥- العودة إلى داغستان.
٢٦- من روسيا البيضاء إلى روسيا الحمراء.
٢٧- بلاد العربية الضائعة: جورجيا.

الرحلات الهندية

٢٨- على أعتاب الهملايا.
٢٩- رحلات في شمال الهند.
٣٠- بلاد الهند والسند: باكستان.
٣١- في أقصى شرق الهند.
٣٢- وسط الهند.
٣٣- الاعتبار في السفر إلى مليبار.
٣٤- الشمال الغربي من الهند.

الرحلات الآسيوية

٣٥- رحلات في بلاد الملايو.
٣٦- في مهد الترك: تركستان الشرقية.
٣٧- إلمامة بجنوب الفلبين.
٣٨- رحلة هونغ كونغ وما كاو.
٣٩- في أحناء إندونيسيا.
٤٠- بالي: جزيرة الأحلام.
٤١- العودة إلى ما وراء النهر.
٤٢- في شمال شرق آسيا.
٤٣- جمهورية قازاغستان: ملخص تاريخي ومشاهدات ميدانية.
٤٤- العودة إلى أوزبكستان (بعد عشر سنين).
٤٥- إلى تاجيكستان، ثانية.
٤٦- قازاغستان بعد أوزبكستان وتاجيكستان.

رحلات في القارة الأمريكية الجنوبية

٤٧- الحل والرحيل في بلاد البرازيل.
٤٨- [illegible]
٥٢- فنزويلا
٥٣- في الشرق الشمالي من البرازيل.
٥٤- رحلات فنزويلية.

رحلات في امريكا الشمالية

٥٥- وراء العمل الإسلامي في الولايات المتحدة الأمريكية
٥٦- تلبية النداء لزيارة كندا

الرحلات الصينية

٥٧- في وسط الصين.
٥٨- فوق سقف الصين.

الرحلات الكاريبية

٥٩- المارتينيك وبربادوس.
٦٠- دومنيكا وقوادلوب وأنتيقوا.
٦١- بورتوريكو وجمهورية الدومنيكان.

رحلات بلقانية

٦٢- كرواتيا وسلوفينيا.

أستراليا وجنوب المحيط الهادئ

٦٣- في شمال أستراليا.
٦٤- في جنوب أستراليا.
٦٥- في شرق أستراليا.
٦٦- في غرب أستراليا.
٦٧- غينيا الجديدة آخر الغينيات زيارة.
٦٨- الإلمام بالمحيط الهادئ من أستراليا إلى جزيرة قوام.

رحلات في جمهوريات الموز

٦٩- بلاد المكسيك وقواتيمالا.
٧٠- السفر والأوبة من كوبة.
٧١- غايتي من السفر إلى هايتي.
٧٢- التشريق بعد التغريب، في بحر الكاريب.

الرحلات الروسية

٧٣- جمهوريات القبائل الروسية.
٧٤- إقليم أورنبورغ.
٧٥- إلى الشرق الأقصى الروسي.
٧٦- مقال في السفر إلى منطقة الأورال.

الرحلات السيبيرية

٧٧- غرب سيبريا
٧٨- شمال سيبريا
٧٩- شرق سيبريا

Dar Alt lothia
978996 1229
12.00